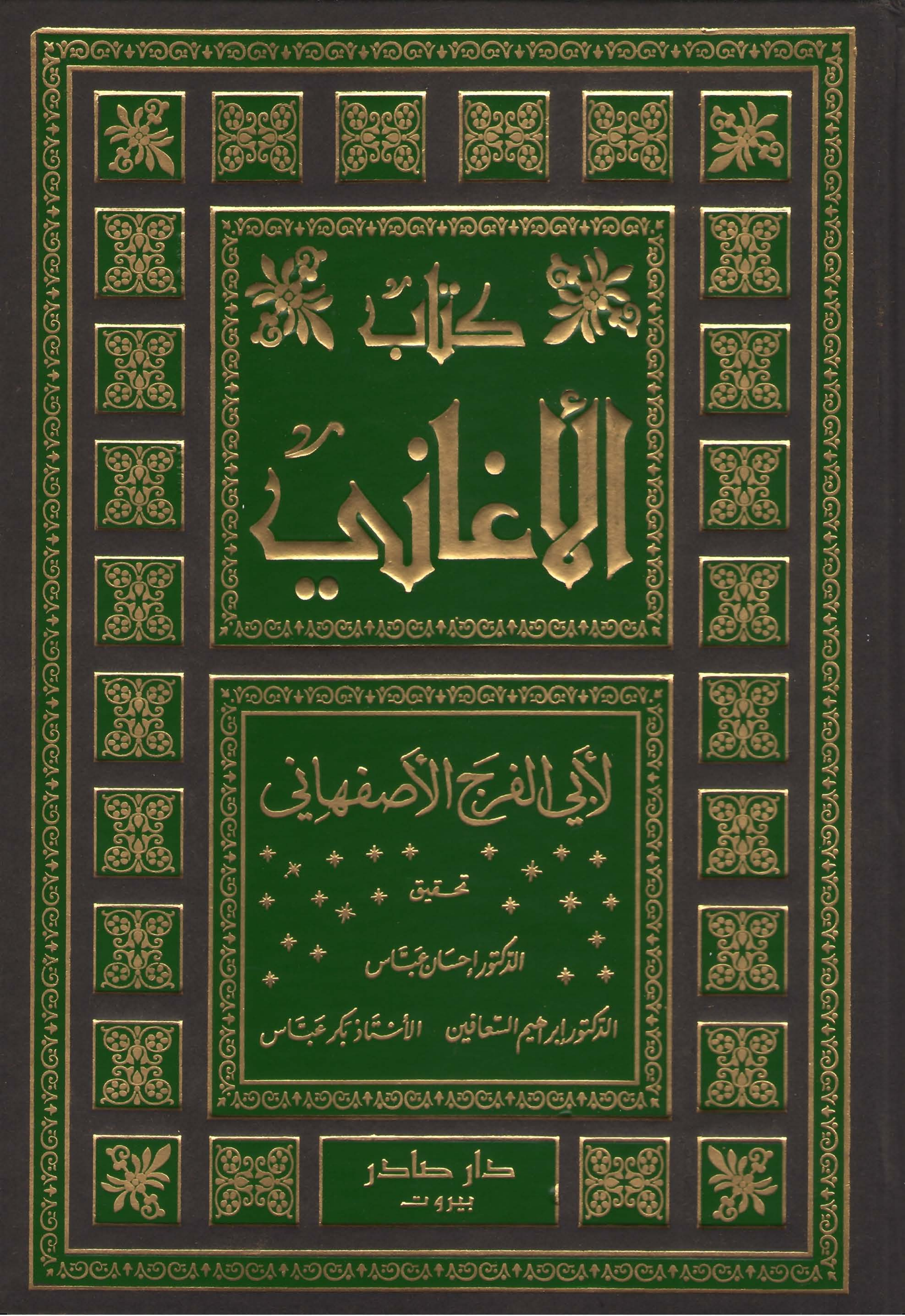

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور ابراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس
دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد السّادس

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[72] ـ أَخبار الصِّمَّة القُشيريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار ، شاعرٌ إسلاميّ بَدَوِيٌّ مُقِلّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة .

[هو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأُموية]

ولجَدّه قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبيّ ﷺ ، وهو أَحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله .

[وفد جدّه قُرّة على النبيّ ﷺ]

أَخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرَّازي وعمِّي قالا حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أَبي بكر الهُذَليّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا : وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبيّ ﷺ فأَسلمَ ، وقال له : يا رسول الله ، إنّا كنّا نعبد الآلهة[2] لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «نِعْم ذا عقلاً» .

[قصّته في حبّه وزواجه]

وقال ابن دَأْب : وكان من خبر الصِّمَّة أَنّه هَوِي امرأةً من قومه ثم من بنات عمِّه دِنْيةً[3] يُقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة ؛ فخطبها إلى أَبيها فأَبى أَن يزوّجه إيّاها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أَبي بَراء بن مالك بن مُلاعِب[4] الأَسنّة بن جعفر بن كِلاب ، فزوّجه إيّاها . وكان عامر قصيراً قبيحاً ؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تُنْكِحوها عامراً لاطّلاعكم ... إليــه يُدَهْدِهْكــم برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذي يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلمّا بَنَى بها زوجُها ، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها ؛ فزوّجه أَهلُه امرأةً

---

1 انظر أَخبار الصِّمَّة القشيريّ في ديوانه جمع وتحقيق د . عبد العزيز محمّد الفيصل ، النادي الأَدبي ــ الرياض 1981 وفي سبائك الذهب 45 وإصلاح المنطق 404 وجنى الجنتيْن 62 ومعجم البلدان 348/3 .

2 ل : آلهة .

3 دنية : أي لاصقة النّسب .

4 مُلاعب الأَسنة : كنية أَبو براء ، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فأَقام عليها مُقاماً يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وخلّف امرأته فيهم ، وقال لها : [من الطويل]

كُلي التمرَ حتّى تَهْرَمَ النخلُ واضفِرِي ... خِطامَكِ ما تدرين ما اليومُ من أُمسِ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْري لئن كنتم على النأي والقِلَى ... بكم مثلُ ما بي إنّكم لصديقُ

إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحَشا ... رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ما أَتتنا الريحُ من نحو أَرضِكم ... أَتتنا بريّاكم فطاب هُبوبُها

أَتتنا بريح المسكِ خالَطَ عنبراً ... وريحِ الخُزامَى باكرتْها جَنُوبُها

وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

هل تَجْزِينِّي العامريّةُ موقفي ... على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ[1]

مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنُها ... فأُومأْتُ إذ ما من جوابٍ ولا نُكْرِ

[موته بطبرستان]

وقال ابن دَأْب : وأَخبرني جماعة من بني قُشَير أنّ الصِّمَّة خرج في غَزِيٍّ من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأْب : وأَنشدني جماعة من بني قُشَير للصِّمَّة : [من الطويل]

صوت

أَلا تسأَلانِ اللهَ أَن يَسقِيَ الحِمَى ... بَلى فسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطالِيَا[2]

وأَسأَلُ مَن لاقيتُ هل مُطِر الحِمَى ... فهل يسأَلنْ عنّي الحِمَى كيف حاليا

الغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ولحنه فيهما من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وهو من مختار الأَغاني ونادرها .

أَخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع وعمِّي قالا حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمّد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفريّ عن

---

1 الجمر : وفي ل : الحجر .

2 المطالي : جمع مطلاة (يمدّ ويقصر) وهو مسيل ضيّق من الأَرض ، أَو هو أَرض سهلة ليّنة تنبت العضاه . وقيل : المطالي روضات ، واحدها مطلى بالقصر لا غير .

عبد العزيز بن أَبي ثابت قال حدّثني رجل من أَهل طَبَرِسْتانَ كبيرُ السنّ قال : بينا أَنا يوماً أَمشي في ضَيْعة لي فيها أَلوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأَشجار ، إذ أَنا بإنسان في البستان مطروحٍ عليه أَهدامٌ خُلْقانٌ ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم ، فأَصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيّ : [من الطويل]

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا تَرى بَشامَ الحِمَى أُخرى الليالي الغَوابرِ[1]
كأَنّ فؤادي من تذكُّرِه الحِمَى وأَهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائرِ

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه ؛ فسأَلت عنه فقيل لي : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ .

[كان ابن الأَعرابي يستحسن شعراً له]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا الخَرّاز أَحمد بن الحارث قال : كان ابن الأَعرابيّ يستحسن قول الصِمَّة : [من الطويل]

صوت

أَما وجلالِ الله لو تذكُرينني كذِكْرِيكِ ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعا
فقالتْ بَلى واللهِ ذكراً لَو آنّه يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفا لتصدّعا

غنّى في هذين البيتين عُبيد الله بن أَبي غَسّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفيهما لِعَريبَ خفيفُ رَمَل : [من الطويل]

ولّما رأَيتُ البِشْرَ قد حال بيننا وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعَا[2]
تَلَفَّتُّ نحوَ الحيّ حتى وجدتُني وَجِعتُ من الإصغاء لِيتاً وأَخْدَعا[3]

[مدح إبراهيم بن محمّد بن سليمان في شعره]

أَخبرني أَبو الطيِّب بن الوَشّاء قال : قال لي إبراهيم بن محمّد بن سليمان الأَزْديّ : لو حلَف حالفٌ أَنّ أَحسنَ أَبياتٍ قِيلت في الجاهليّة والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القُشيريّ ما حَنِث : [من الطويل]

حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ مَزارَك من رَيّا وشَعْباكُما مَعا

---

1 البشام : شجر طيِّب الريح والطعم يستاك به .

2 البشر : جبل .

3 الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأُخدع : عرق في العنق موضع الحجامَة .

فما حَسَنٌ أن تأتــيَ الأمرَ طائعاً   وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسْمعا
بكتْ عيني اليُمنــى فلمّا زجرتُها   عن الجهل بعد الحلم أسْبلتا معا[1]

صوت

[من الطويل]

وأذكُر أيّامَ الحِمَـى ثــم أنثني   على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدَّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى بِرَواجع   عليكَ ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت في هذين البيتين قُرَشيَّة الزّرقاءِ لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ.

وهذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى ريّا» تُروى لقَيْس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأوّلين أنّهما لقَيْس بن ذَرِيح وروايتهما [له] أثْبت، وقد تواترت الروايات بأنّهما له من عدّة طرق؛ والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة.

[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أنشدنا محمّد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشَيريّ قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم:

[من البسيط]

إذا نــأتْ لم تُفارِقْنــي عَلاقتُهــا   وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِي
فحال عينــيَ من يومَيْكِ واحدةٌ   تبكي لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دارِ

[تذكّر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدَّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلاَّم قال حدَّثني أبي عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بني عُقَيل قال: مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ يوماً وهو جالس وحدَه يبكي ويخاطب نفسه ويقول: لا والله ما صدَقَتْكَ فيما قالت؛ فقلت: مَن تَعني بهذا وَيْحك! أجُننتَ؟ قال: أعْني التي أقول فيها:

[من الطويل]

أمــا وجلالِ اللهِ لــو تذكُرينني   كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بــلى والله ذكراً لــو انّه   يُصَبُّ عــلى صُمِّ الصَّفا لتَصدَّعا

أُسلي نفسي عنها وأُخبرها أنّها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

1 اليمنى في الديوان: اليسرى.

[قصّته في خِطبة ابنة عمِّه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العَبْدي عن موسى بن عبد الله التَّيْميّ قال : خطب الصِّمَّة القُشيريّ بنتَ عمِّه وكان لها مُحِبّاً ، فاشتطّ عليه عمُّه في المهر ؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المال فلم يُعِنْه بشيء ؛ فسأل عَشيرتَه فأعطَوْه ؛ فأتى بالإبل عمَّه ؛ فقال : لا أقبل هذه في مهر ابنتي ، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ؛ فلمّا رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلاَّها ، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلاّفه . وتحمَّل الصِّمَّةُ راحلاً . فقالت بنت عمِّه حين رأته يتحمَّل : تاللهِ ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبْعِرة . ومضى من وجهه حتى لَحق بالثغر ؛ فقال وقد طال مُقامه واشتاقها ونَدِم على فعله : [من الطويل]

أتبكي على رَيّا ونفسُك باعدتْ مَزاركَ من رَيّـا وشَعْباكُما معا

فما حسنٌ أن تأتـي الأمرَ طائعاً وتجزَعَ أنْ داعـي الصبابة أسمعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة قـال حدَّثني حَمّـاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ : أن الصِّمَّة خطَب ابنة عمِّه هذه إلى أبيها ؛ فقال له : لا أُزوّجكها إلاّ على كذا وكذا من الإبل ؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بها ؛ فساق الإبلَ عنه إلى أخيه ؛ فلمّا جاء بها عدَّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيراً ، فقال : لا آخذها إلاّ كاملةً ؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده ما جاءَ به شيئـاً . ورجع إلى الصِّمَّة ؛ فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ؛ فقال : تاللهِ ما رأيت قطُّ ألأَمَ منكما جميعاً ؛ وإنِّي لألأم منكما إن أقمتُ بينكما ؛ ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور ، فأقام به حتى مات . وقال في ذلك : [من الطويل]

أمِنْ ذكر دارٍ بالرَّقاشيْن أصبحتْ بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجَّعا[1]

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت مزارَك من رَيّـا وشعباكُما معا

فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً وتجزَع أن داعـي الصبابة أسمعا

كأنّـك لم تشهَـد وَداعَ مُفارِقٍ ولم تَـرَ شَعْبَـيْ صاحبين تقطَّعا

بكت عينيَ اليُسرى فلما زجرتُها عن الجهل بعـد الحلم أسبَلَتا معا

1 الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكريّ وقد نسبه ليزيد بن الطثرية :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفتْ عليها رياح الصّيف بـدءاً ورجّعا

وفي الديوان (أمن أجل) .

تحمَّل أهلي مــن قنـين وغادروا ... به أهــلَ ليلى حين جِيدَ وأُمْرعا[1]
ألا يـــا خليــليّ اللذيْن تَواصيا ... بلوميَ إلاّ أن أُطيــع وأسمعا
قِفا إنّه لا بــدّ مــن رَجْع نظرة ... يَمانيّة شَتّى بهــا القــومُ أو معا
لِمُغتصَبٍ قــد عزّه القومُ أمرَه ... حياءً يَكُــفّ الدَّمعَ أن يتطلّعا
تَبرَّضُ عينيــه الصَّبابــةُ كلّمــا ... دنا الليل أو أوْفى من الأرض مَيْفَعا[2]
فليستْ عشيّاتُ الحِمَــى برواجعٍ ... إليكَ ولكن خــلٌّ عينيْك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

[من الخفيف]

قُــلْ لأسماء أَنْجزي المِيعــادا ... وآنظري أن تُزوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشأ ... م وجـاورتِ حِمْيراً أو مرَادا
أو تناءتْ بكِ النَّوى فلقد قُدْ ... تِ فــؤادي لِحَيْنــه فانقادا
ذاك أنّي عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ ... ـبّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

الشعر لداود بن سَلْم. والغناء لدَحْمان، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالوسطى. وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقّش، وطلبناه في أشعار المرقِّشَيْن[3] جميعاً فلم نجده، وكنّا نظنّه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود. وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدنـاه أو وقفنا على صحّته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منّا غيرَه، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمّده ولا اخترعناه، وإنّما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإنّ ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله.

---

1 جيد: أصابه الجود وهو المطر الغزير.
2 تبرّض: أي تأخذ الصّبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً.
3 يعني بالمرقِّشَيْن: المرقِّش الأكبر والمرقِّش الأصغر.

[73] ـ أخبار داود بن سَلْم ونسبه

[نسبه]

داود بن سَلْم[1] مولى بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ ؛ ثم يقول بعضُ الرواه ؛ إنّه مولى آل أبي بكر ، ويقول بعضهم : إنّه مولى آل طَلْحة . وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأُمويّة والعبّاسيّة ، من ساكني المدينة ، يُقال له داود الآدم[2] وداود الأَرمك .

[رآه والي المدينة يخطِر في مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك]

وكان من أقبح الناس وجهاً . وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله ؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به ، وكان يتولّى المدينةَ ، فضربه ضرباً مبرِّحاً ؛ وأَظهر أنّه إنّما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التي تخايل فيها في مِشيته . فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنّه ابنَ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

ضربَ العادلُ سعــدٌ ابنَ سلم في السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لسعــدٍ مــن أَميرٍ كلَّ حاجَـهْ

[مدح آل معمر لأنّ أمّه من مواليهم]

أَخبرني محمّد بن سليمان الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : سأَلت محمّدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم ، هل هو مولاهم ؟ فقال : كذلك يقول الناسُ هو مولانا ، أبوه رجل من النَّبَط ، وأُمّه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ؛ فانتسب إلى ولاء أُمّه . وفي ذلك يقول ويمدح ابنَ مَعْمَر : [من الكامل]

وإذا دعــا الجاني النصيرَ لنصره وارتْنــيَ الغُــرَرُ النصيرةُ مَعْمَرُ
مُتَخــازِرين كأنّ أُسْدَ خَفِيّــة بمقامهـــا مستبسِلاتٌ تَـزْأَرُ[3]
متجاسِرين بحمــل كلّ مُلِمَّــة متجبِّريــن عــلى الــذي يتجبَّرُ

1 داود بن سلم : انظر أخباره في ربيع الأبرار 13/2 والمستطرف 1 : 117 ، 1 : 164 وأمالي القالي 1 : 242 ومحاضرات الراغب الأصفهاني 1 : 653 وشرح نهج البلاغة 11 : 223 والكامل 2 : 144–145 وسراج الملوك : 161 ، والتذكرة الحمدونية 199/2 .

2 وفي ل : الأدلم .

3 تخازر الرجل : ضيّق جفنه ليحدّد النظر . الخفية : غيضة ملتفّة يتّخذها الأُسد عرينه ، وهي علم لموضع بعينه .

عُسُلُ الرِّضى فإذا أردتَ خصامَهم ... خلَط السِّمامَ بفِيك صابٌ مُمْقِرُ[1]
لا يَطْبَعون ولا تَرى أخلاقهم ... إلاّ تطيبُ كما يطيبُ العنبرُ
رفَعوا بِنايَ بعِتقِ حَوْطٍ دِنْيَةً ... جدِّي وفضلِهم الذي لا يُنكَرُ

[كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرَمْ كذّبه فيه قوم ضافوه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال: كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة، وكان يقال له: الآدم[2] لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فطرَقه قوم وهو بالعَقِيق، فصاحوا به: العَشاءَ والقِرَى يا ابنَ سَلْم؛ فقال لهم: لا عَشاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا: فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها: [من البسيط]

يا دار هندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ ... لم أقْضِ منكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ نفسي إذا ما الضيفُ نبّهني ... عَقْرَ العِشار على يُسْري وإعساري

قال: لستم من أولئكَ الذين عنيتُ.

[عزّى السري بن عبد الله عن ابنه]

قال: ودخل على السَّرِيّ بن عبد الله الهاشميّ، وقد أُصيب بابنٍ له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده: [من البسيط]

يا مَن على الأرض من عُجْم ومن عَرَبٍ ... استرْجِعُوا خاستِ الدنيا بعَبّاسِ[3]
فُجِعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم ... من ضِنْءٍ والدهم بالسيِّد الرّاسِ[4]

قال: وداود بن سلم الذي يقول: [من الخفيف]

قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا ... وانظُري أن تزوِّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً مِنَ الشأ ... م وجاورتِ حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النَّوَى فلقد قُدْ ... تِ فؤادي لحَينه فانقادا
ذاكِ أنّي عَلِقتُ منكِ جَوى الحـ ... ـبِّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غسّان محمّد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود بن سَلْم.

---

1 عُسُل: جمع عاسل وعسول أي حلو. والممقر: الشديد المرارة.
2 ل: الأدلم.
3 خاست: غدرت.
4 الضنء: الولد ويطلق على الأصل أيضاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

صوت

[من البسيط]

يا دارَ هنــد ألاَ حُيِّيــتِ من دارِ لم أقضِ منــكِ لُباناتي وأوطاري

يُتم وينسب .

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزبيرَ قال أخبرني مُصْعَب بن عثمان قال : دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ أيّامَ كان يلي المدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن ، وجاء بنو طلحة فآنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد ، فأرسل إليه فأُتي به ؛ فقال : إنّك تلاجَجْتَ عليّ ، وقد حلفتُ ألاّ أُرْسِلك حتى تعملَ لي ، فأبررْ يميني ، ففعل ؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه ؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال : [من الخفيف]

طلبــوا الفقــه والمــروءةَ والحِلْـ ـمَ وفيــكَ اجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه ، فدفعوه ، فنُحِّي عنه ؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء ؛ فلمّا سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً ، وقال للرسول : قُل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك .

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصّة في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني مُحرِز بن سعيد قال : بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ ﷺ يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ؛ فأومأ أن يُؤتَى بهما فجاءا إليه ، فأشار إلى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه ، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه ، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عُبيد الله ، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً وتشميراً ونقاءَ ثياب ؛ فأشار إليه فجلس ؛ ثم أقبل على زيد فقال له : يا ابنَ أخي ؛ تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس ، قُمْ فانصرف . ثم أقبل على ابنِ سَلْم وكان قبيحاً ، فقال له : هذا ابنُ جعفر أحتمل هذا له ، وأنت لأيٍّ شيء أحتمل هذا لك ؟ ألِلؤم أصلِك ، أم لسماجة وجهك ؟ جَرِّده يا غلام ؛ فجُرِّد فضرَبه أسواطاً . فقال ابنُ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

جلــد العادلُ سعــدٌ ابنَ سَلْم في السَّماجَهْ

فقَضــى اللهُ لسعــدٍ من أَمير كلَّ حاجَـهْ

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال : قال لي أبي وقد عُـزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بنيّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم ، فإنّ القاضي إذا عُزل لم يزل الناسُ ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم ، فإذا صوتٌ عالٍ ؛ فقال لي أيُّ شيء هذا ؟ أُرى أنّه قد أُعْجِلَ عليّ ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطاً ، فأقبل عليّ سعدٌ وعلى أبي ، فقال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشاعر : [من مجزوء الرمل]

ضرب العادلُ سعــدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ

فقضــى اللهُ لسعــدٍ مـن أَميرٍ كلَّ حاجَهْ

[كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان]

أُخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني أَبو يحيى الزُّهْرِي واسمه هارون بن عبد الله قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أَبيه قال : كان الحسنُ بن زيد قد عوَّد داودَ بن سَلْم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلَّة من الخانِقِين[1] أن يَصِلَه . فلمّا مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجٍّ أو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما ، فقال له الحسن : أَنت القائل في جعفر : [من الطويل]

وكنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ وكان المُنَى في جعفر أن يُؤمَّرا

حَوى المِنْبَرَيْنِ الطاهرَيْنِ كليْهما إذا مــا خطا عن مِنبرٍ أَمَّ مِنْبرا

كأن بني حَــوَّاء صُفُّوا أَمامَــه فَخُيِّرَ مــن أَنسابهــم فتَخيَّرا ؟

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خِيرَة اختياره ؛ وأَنا الذي أَقول : [من الطويل]

لعَمْري لئن عاقبتَ أَو جُدْتَ مُنعِماً بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرَا

لأَنتَ بما قدّمتَ أَولى بمِدْحــةٍ وأكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصُرا

هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ ويدعو عليّــاً ذا المعالي وجعفرا

1 خانقين : بلدة من نواحي السّواد في طريق همذان من بغداد .

وزيدَ النَّدَى والسِّبْطَ سِبْطَ محمّدٍ ... وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكـيَّ المطهَّرا[1]
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ ... إذا مـا نفـاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكـم نالـوا ذُراهـا فأصبحوا ... يَرَوْن بـه عـزّاً عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات . قال أبو يحيى : يعني بقوله : «وإن كان مُعْذِرا» أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار ، فذكر أن له عذراً في مدحه إيّاه بجزالة إعطائه .

[إعجاب أبي السائب المخزوميّ بشعرٍ له]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال : كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أَزْهَر (على ستّة أميال من المدينة ، حِيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر ، وأبو السائب المخزوميّ معنا ؛ وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغزَل ، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[2] فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذٍ عاملُ المنصور على المدينة ؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرِّبه : [من الوافر]

صوت

فعرَّسْنا ببطـنِ عُرَيْتِنـاتٍ ... ليَجْمَعَنـا وفاطمـةَ المَسِيرُ[3]
أَتَنْسى إذ تَعـرَّض وهـو بادٍ ... مُقلَّدُهـا كما بَـرَق الصَّبِيرُ[4]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه ... وقـد يُنْبيك بالأمـر الخبيرُ
على أنّي زَفَرْتُ غداةَ هَرْشى ... فكاد يَرِيبهـم منّـي الزَّفيرُ[5]

الغناءُ للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنّه هذا اللحنَ . قال : فأخذ أبو السائب الطبَقَ ، فوَحَّش به إلى السماء ، فوقع الفَريكُ على رأس الحسن بن زيد ؛ فقال له : ما لَك ؟ وَيْحَك ! أَجُننتَ ؟ فقال له أبو السائب : أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلاّ ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ ، قال : فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكاً ، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إيّاه . قال ابنُ

1 يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، والسبط الحسن بن علي ، وعمّه الحسين بن علي .
2 الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .
3 عريتنات : اسم واد .
4 الصّبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .
5 هرشى : ثنية قرب الجُحفة في طريق مكّة يُرى منها البحر .

أبي الزِّناد : فلمّا خرج أبو السائب قال لي : يا ابنَ أبي الزِّناد ، أَمَا سمعتَ مَدَّه : [من الوافر]

ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنّه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات . أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرازيّ وعمِّي قالا حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ .

[ما وقع بين ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت : أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة ، فمررتُ برَحْبة القضاء ، فإذا بضُبَيعةَ العَبسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس ؛ فأرسل إليّ فدعاني ، وقد كنتُ رَطَّلْتُ[1] شَعْري وربطت في أطرافه من ألوان العِهْن ؛ فقال : ما هذا ؛ فقلت شيء أتملَّح به ؛ فقال : يا حَرَسيّ قنِّعْها بالسَّوْط . قالت : فتناولتُ السوط بيدي وقلت : قاتلك الله ! ما أبينَ الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم ! سعدٌ يجلِد الناس في السَّماجة ، وأنت تجلِدهم في المَلاحة ؛ وقد قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

جلَـد العادلُ سعـدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ
فقضـى اللهُ لسعـدٍ من أميرٍ كلَّ حاجَهْ

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه ، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بي ، وكانت مولاتي تقول : لا أبيعها إلاّ أن تهوى ذلك ، وأقول : لا أُريد بأهلي بدلاً ؛ إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبة وهو في مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر ؛ فأرسل إليَّ فدعاني ، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به ، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لي حازم : الأمير يريدكِ ؛ فقلت : لا أُريد بأهلي بدلاً ؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان ، فارتعتُ لذلك فقلت : آه ؛ فقال : ما لَكِ ؟ فقلت : [من الطويل]

سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أَزَلْ أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هندِ

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت : [من الطويل]

فأبصرتُ هنداً حُرَّةً غيرَ أنّها تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ

قالت : فضحك حتى استلقَى ، وأرسلِ إلى مولاتي ليبتاعَني ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَني ؛ فقلت : والله لا أستبيعُكِ أبداً .

---

1 رطَّل شعره : ليّنه وكسره ومشّطه وأرسله .

[أرسل شعراً لقثم بن العبّاس يذكّره بجارية كان يهواها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سَلْم قال : كنت يوماً جالساً مع قُثَمَ بنِ العبّاس قبل أن يُملَّكوا بفنائه ، فمرَّت بنا جارية ، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها . فلمّا وَلِي قُثَم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يُقال له صالح . قال داود بن سَلْم : فكتبتُ إلى قُثَمَ : [من مجزوء البسيط]

يا صاحبَ العيسِ ثم راكبَها أبلغْ إذا ما لقيتَه قُثَما
أنَّ الغزال الذي أجاز بنا مُعارِضاً إذ توسَّط الحَرَما
حَوَّله صالحٌ فصار مع الإ نسِ وخلَّى الوحوشَ والسَّلَما

قال : فأرسل قثمٌ في طلب الجارية ليشتريَها ، فوجدها قد ماتت .

[وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عبد الله بن محمّد بن موسى بن طَلْحة قال حدَّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرَّبيع بن يونس : أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلمّا نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحلّوا عن راحلتِه ؛ فلمّا دخل عليه أنشأ يقول : [من المتقارب]

ولمّا دُفِعتُ لأبوابهم ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا
وجدناه يَحْمَده المُجْتدُون ويأبى على العسر إلاّ سَماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبُهم يَهابُ الهَرِير ويَنْسى النُّباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ دينار . فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه ؛ فظنَّ أنّ حَرْباً ساخطٌ عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه ؛ فقال له : سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم ، فقالوا : إنّا نُنْزِل مَن جاءنا ولا نُرْحِل مَن خرج عنّا . قال : فسمع الغاضِريّ حديثَه فأتاه فحدَّثه فقال : أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك .

وذكر محمّد بن داود بن الجرّاح أنّ عمر بن شَبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم ، فقال : أحسَنَ والله داود حيث يقول : [من الرجز]

لَجِجْتُ من حبِّيَ في تقريبه وعُمِّيتْ عيناايَ عن عيوبهِ
كذاك صرفُ الدَّهر في تقليبه لا يلبَث الحبيبُ عن حبيبهِ
أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه

قال : وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال : [من الطويل]

وما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ إلاّ ذكرتُها ... وأذكُرهـا في وقت كلّ غروبِ
وأذكرها مـا بـين ذاك وهذه ... وبالليـل أحلامـي وعنـد هُبوبي
وقد شَفَّني شَوْقي وأبعدني الهوى ... وأعيا الذي بـي طِبَّ كلّ طبيبِ
وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبابةً ... ومـا كَمَدٌ مـن عاشقٍ بعجيبِ
وكلُّ محـبٍّ قـد سلا غيرَ أنّني ... غريبُ الهوى ، يا وَيْحَ كلّ غريبِ
وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحةٍ ... فقلـت لـه أقْصِر فغيرُ مُصيبِ
أتأمـر إنسانـاً بفُرْقـة قلبـه ... أتصلُـح أجسامٌ بغير قلـوبِ

[شعر له في مدح قثم بن العبّاس]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أبو غَسّان قال : كان داود بن سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العبّاس ، وفيه يقول : [من السريع]

عَتَقْتِ من حِلّي ومن رِحْلَتي ... يا نـاقُ إن أدْنيتِني من قُثَمْ
إنّـك إن أدْنيتِ منـه غداً ... حالفني اليسر ومـات العدمْ
في وجهـه بـدرٌ وفي كفّـه ... بحـرٌ وفي العِرْنين منـه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيـل الخَنـا سمعُـه ... وما عن الخير بـه من صَمَمْ
لم يدرِ ما «لا» و«بَلى» قد دَرى ... فعافها واعتاضَ منها «نَعَمْ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبَّة قال لي إسحاق : لنَظْم العَمْياء في هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) .

[74] ـ أَخبار دَحْمان ونسبُه[1]

[كان مغنّياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحجّ]

دَحْمان لقبٌ لُقِّب به ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلى بني لَيث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنَانة . ويُكنَى أَبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأَشقر . قال إسحاق : كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأَيتُ باطلاً أَشبه بحقّ من الغناء .

قال إسحاق : وحدَّثني الزُّبيريّ أَنّ دَحْمان شَهِد لرجلٍ عند عبد العزيز[2] بن المطَّلِب [بن عبد الله] بن حَنْطَب [المَخْزوميّ] ، وهو يَلي القضاءَ لرجلٍ من أَهل المدينة على رجل من أَهل العراق بشهادة ، فأَجازها وعَدّله ؛ فقال له العِراقيّ : إنّه دَحْمان ؛ قال : أَعرفه ، ولو لم أَعرفه لسأَلتُ عنه ؛ قال : إنّه يغنّي ويعلِّم الجواري الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأَيُّنا لا يتغنَّى ! اخرُج إلى رجل عن حقّه .

[مدح أعشى سُلَيم غناءه]

وفي دحمان يقول أَعشى بني سُلَيم : [من الهزج]

إذا مـا هَـزَّج الـوادِ ... يُّ أَو ثَقَّـل دَحْمـانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هـذا ... ومـن هـذا بميـزانْ
فهـذا سيِّـد الإنس ... وهـذا سيِّـد الجانّ

وفيه يقول أَيضاً : [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمانُ خِصْيانا
فأَبْلِغُـوه عـن الأَعشى مقالتَه ... أَعشى سُلَيم أَبي عمرٍو سليمانا
قولوا يقول أَبـو عمرو لصُحْبته ... يا ليت دَحْمانَ قبل الموت غَنّانا

[كان من تلاميذ معبد وأحد رواته]

أَخبرني رِضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أَنّه حدَّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعاً : أَنّ دَحْمان كان معدَّلاً مقبولَ الشهادة عند

---

1 انظر أَخبار دحمان في نهاية الأرب 4 : 241–243 وفي التذكرة الحمدونية 9 : 24 .

2 ولي عبد العزيز قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي ، وولي قضاء مكّة .

القضاة بالمدينة ، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً ممّن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين . قال : وكان معبد في أوّل أمره مقبولَ الشهادة ، فلمّا حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأن شيئاً بَانَ عليه من دخول في محظور ، ولكن] ، لأنّه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

[منزلته في الغناء عند إبراهيم الموصليّ]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال قال إسحاق : كان دحمان يُكنى أبا عمرو ، مولى بني لَيْث ، واسمُه عبد الرحمن ، وكان يَخضِبُ رأسَه ولحيته بالحِنّاء ؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبد الله ، وكان يفضِّل الزُّبَير ابنَه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه] .

[كان المهديّ يجزل صلته]

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المَكّيّ عن عبد الله بن دَحْمان قال : رجع أبي من عند المَهْديّ وفي حاصِله مائةُ ألفِ دينار . أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أنَّ المهديَّ أعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ؛ وذلك أنّه غنّى في شعر الأحْوص : [من الهزج]

قَطُوفُ المَشْي إذ تمشي ... تَرَى في مشيها خرَقا[1]

فأعجبه وطرِب ، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْني ما شئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب ؛ فأقْطعه إيّاهما . فلمّا خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد[2] الله وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أيّام بني أُميّة فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلاّ بعد أن يرضى ؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الوافر]

سَرى ذا الهمُّ بل طَرَقا ... فَبِتُّ مسهَّداً قَلِقا
كذاك الحُبّ ممّا يُحـ ... ـدِث التسهيدَ والأرقا

---

1 قطوف المشي : بطيئته . وخرقاً : تحيّراً ودهشاً .
2 هو أبو عبيد الله بن عبيد الله الأشعريّ الكاتب الوزير .

قَطُوف المشيِ إذ تمشي ترى في مشيهـا خرَقا
وتُثْقِلها عَجيزتُها إذا ولَّت لتنطلقا

الشعر للأحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهِشاميّ أنّه لابن سُرَيج .

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أخبرني إسماعيل بنُ يُونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : مرَّ دَحْمان المغنّي وعليه رداء جيّد عَدَنيّ ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريتَ هذا يا أبا عمرو ؟ قال : [من مجزوء البسيط]

بـ * ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت
صوت

[من مجزوء البسيط]

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا لو أنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا[1]
أَحْمَوْا على عاشقٍ زيارتَه فهْو بهجْران بينهم قُطَعُ[2]
وهْو كأنّ الهُيام خالطه وما بـه غير حبِّها ذَرَعُ[3]
كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ غاديةٍ أو دُمْيةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ[4]
اللهُ بيني وبين قيِّمها يَفِرّ عنّي بها وأتَّبعُ

[اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلمّا عرفه أرسل إليه وأكرمه]

أخبرني وَكيع عن أبي أيّوب المَدينيّ إجازةً عن أبي محمّد العامريّ الأُوَيْسيّ قال : كان دَحْمان جَمّالاً يُكْرِي إلى المواضع ويَتّجرَ ، وكانت له مروءةٌ ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أكرى جِمالَه وأخذ مالَه إذ سمِع رَنّة ، فقام واتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجت تَبْكي ؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لِمَن ؟ فقالت : لامرأة من قريش ، وسمّتها له ؛ فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فسامها حتى استقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقَدها إيّاها وانصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأقامت عندي مدّةً أُطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبد والأبجَر

---

1 ربعُوا : تمهّلوا وانتظروا .
2 أحموا : حظروا ومنعوا . قُطع : في الديوان قَطِع ص 85 .
3 في ل : ردع .
4 صبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية السحابة تنشأ غدوة .

ونظراؤهما من المغنِّين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقتْ ، وكنت لا أَزال إذا نزلنا أُنْزِل الأَكْرِياء[1] ناحيةً ، وأنزل معتزِلاً بها ناحيةً في مَحْمِلٍ وأُطرَح على المَحْمِلِ من أَعْبِية[2] الجَمّالين ، وأَجلس أَنا وهي تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكْوة[3] فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نَرحل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشام . فبينا أَنا ذاتَ يوم نازلٌ وأَنا أُلْقي عليها لحني : [من الكامل]

صوت

لـو رَدّ ذو شَفَـق حِمامَ منيّةٍ لرددتُ عن عبد العزيز حِمامَا

صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ جاورتَ بُوماً في القبورِ وهاما[4]

الشعر لكُثيِّر[5] يَرثي عبدَ العزيز بن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أَنّ هذا الشعر ليس لكثيّر وأنّه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له . والغناء لدَحْمان ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالخنصر في مجرى البِنصر .

قال : فرددتُه عليها حتى أَخذتْه واندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلام ؛ فقال : أَتأذنون لي أَن أَنزل تحت ظلِّكم هذا ساعةً ؟ قلنا نعم ، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامنا وشرابنا فأَجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأَكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أَتغنِّين لدَحْمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنَّته أَصواتاً من صنعتي ، وغمزتُها أَلاّ تُعرّفَه أَنّي دَحْمان ؛ فطَرِب وامتلأَ سروراً وشرب أَقداحاً والجاريةُ تُغنِّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل ؛ فأَقبل عليَّ وقال : أَتبيعني هذه الجاريةَ ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أَخذتُها بها ، فهلمَّ دواةً وقِرْطاساً ، فجئته بذلك ؛ فكتب : «ادفعْ إلى حامل كتابي هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار ، واستوصِ به خيراً وأَعلمني بمكانه» وختَم الكِتابَ ودفعَه إليّ ؛ ثم قال : أَتدفَع إليّ الجاريةَ أَم تَمضي بها معك حتى تقبضَ مالكَ ؟ فقلت : بل أَدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراءَ[6] فسَلْ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالكَ ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخْراءَ سأَلت عن اسم الرجل ، فدُللتُ عليه ،

1 الأكرياء : جمع كرىً وهو المكاري .
2 الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .
3 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء وفي ل : زكرة .
4 الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .
5 نُسب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار .
6 البخراء : أرضٌ وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

فإذا دارُه دارُ مُلْك ، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ ، فقبّله ووضعه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال[1] وكان بخيلاً ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين ، وكانت عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ . قال : وسأل عنّي الوليدُ ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يطلُبني ؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملاً فارْدُدْه إليّ ؛ فلم أُوجَد ، لأنّه لم يكن في الرُّفْقة مَن معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يَعْرِف اسمي فيسأَلَ عنّي . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يَسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استُبرئت[2] وأُصلح من شأنها ، فظلّ معها يومَه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنّيني لدَحْمان فغنّت ؛ وقال لها : زيديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَما سمعتَ غناءَ دَحْمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ؛ فقالت : بلى والله لقد سمعتَه ؛ قال : وما ذاك ؟ وَيْحَكِ ! قالت : إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دَحْمان ؛ قال : أوَذلكَ هو ؟ قالت : نعم ، هو هو ؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمَزني بألاّ أُعلمك . فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان ، فحُمل فلم يزل عنده أثيراً[3] .

[دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا ابن جامع قال : تذاكروا يوماً كِبَر الأيور بحضرة بعض أُمراء المدينة فأطالوا القولَ ؛ ثم قال بعضهم : إنّما يكون كبر أَيْر الرجل على قَدْرِ حِرِ أُمّه ؛ فالتفتَ الأميرُ إلى دَحْمان فقال : يا دَحْمان ، كيف أيرك ؟ فقال له : أيّها الأمير ، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيري ، وإنّما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمّي . وكان دَحْمان طيّباً ظريفاً .

[ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه]

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق قال : أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلاً مرَّ به يوماً ، فقال له : أَيْر حماري في حِرِ أُمّكَ يا دُحَيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفَهِمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : ممَّ ضحكت ؟ فلم يُخبِره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتَني ؛ قال : إنّه شتمك فلا أُحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّي كائناً ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حمارِي في حِرِ أُمّك ؛ فضحك ثم قال :

---

1 الأنزال جمع نُزُل ، وهو ما هيىء للضيف أن ينزل عليه .
2 استبراء الرجل الجارية : ألاّ يمسّها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبيّن حالها أهي حامل أم لا .
3 الأثير : المكرّم .

أعجبُ والله وأغلظ عليّ من شَتْمه كِنايتُك عن أَيْر حمارِه وتصريحُك بحِرِ أُمّي لا تَكْني .

[جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني أبو خالد يزيد بن محمّد المهلَّبيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدَّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَديني قال حدَّثني الرَّبَعيّ المغنّي قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغدُوا على قصري بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرَّد ، فغدوتُ للموعد ، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة[1] ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها ، وإذا هما عزما على الصبوح والسماءُ تَبْغَش[2] ، فأذكرتُهما الموعدَ ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه ! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئاً ونستمتعَ من هذا اليوم ؛ فقال : ما كنت لأفعلَ مع ما تقدّم الأمير به إليّ ؛ فقالا لي : كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمُه ، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ ، ثم ترجع إلينا مبتلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذٍ . قال : فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت ، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب تُضرَب ، والقدور تُنصَب ؛ فلمّا كنت بحيث يسمع تغنَّيتُ : [من الطويل]

وأستصحبُ الأَصحابَ حتى إذا وَنَوْا ... ومَلُّوا من الإدْلاج جئتكُم وَحْدِي

قال : وما ذاك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : يا غلام ، هات مائتي دينار أو أربَعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حِجْر الرَّبَعيّ ، اذهبْ الآن فلا تَحُلّ لها عُقْدةً حتى تُريَهما إيّاها ؛ فقلتُ : وما في يدي من ذلك ؟ يأتيانكَ غداً فتُلحِقهما بي ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قلتُ : فلا أمضي حتى تحلَف لي أنّك لا تفعل ، فحلَفَ . فمضيتُ إليهما ، فقرَعتُ الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إنّ هذه تكون حالَك ؛ فقلت : كلاّ فأرَيتُهما الدنانيرَ ؛ فقالا : إنّ الأمير لَحيِيٌّ كريم ، ونأتيه غداً إن شاء الله تعالى فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلْحِقَنا بك ؛ فقلت : كذَّبَتكُما أنفسكما ، والله إنّي قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألاّ يفعل ؛ فقالا : لا وصلتْك رَحِم .

[غنّى هو وابن جندب بالعقيق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزاحِم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجِشُون قال : صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العَقيق ، فخرجنا من المسجد مُبادِرين إلى العقيق ، فانتهينا إلى العَرْصة[3] ، فإذا مِن وراء الوادي قُبالَتنا دَحْمانُ

1 جهينة : قرية من نواحي الموصل على دجلة .

2 بغشت السماء : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

3 العرصة : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

المغنّي وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو : [من الخفيف]

أسكُنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أُطيبُ صوتٍ في الدنيا . قال : وكان أخي يَكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طرباً شديداً وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً ؛ فقال لي : يا أخي ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتاً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أَوْحشَ الجُنْبُذانِ فالدَّيْرُ منها فقُرَاهـا فـالمنزلُ المحظـورُ[1]

أَسكنُ البدوَ مـا أُقمتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

أيُّ عيش أَلَـذُّه لستِ فيـه أَوْ تُـرى نَعْمـةٌ بـه وسُرورُ

الشعر لحَسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق في مجرى البنصر عن إسحاق .

[دحمان والفضل بن يحيى]

أخبرنا محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمانَ البَصْريّ قال : قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم ؛ فلمّا جلسنا ، قام وأومأ إليَّ فقمتُ ، فأخذ بيدي ومضى بي إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم صِرنا إلى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرَّت بنا جارية سوداء حِجازيّة تغنّي : [من مجزوء الرمل]

اهْجُريـني أو صِلِيـني كيفمـا شئتِ فكوني

أنـتِ والله تُحْبيـ ـني وإن لم تُخبريني

فطَرِب وقال : أحسنتِ ! أدخلي فدخلتْ ، فأمر بطعام فقُدِّم إليها فأكلتْ ، وسقاها أقداحاً ، وسألها عن مواليها فأخبرتْه ؛ فبعث فاشتراها ، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبِهم صوتاً وأملحِهم[2] طبعاً ؛ فغلبتْني عليه مدّةً وتناساني ؛ فكتبتُ إليه : [من السريع]

أخرجتِ السَّوداء ما كان في قلبـك لي مـن شدّة الحُبِّ

فإن يدُم ذا منـك لا دام لي متُّ مـن الإعراض والكَرْبِ

قال : فلمّا قرأ الرُّقعة ضحك ، وبعث فدعاني ووصلني ، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنْس .

1 الجنبذ : معرَّب كنبذ بالفارسيّة ، ومعناه : الأزجّ المدوّر كالقبة . وهو مكان بعينه .

2 في ل : وأصلحهم .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطاً ؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافةَ الرشيد ، وإنّما أدركها ابناهُ زُبَير وعبد الله ؛ فإمّا أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وممّا في المائة المختارة من صنعة دَحْمان]

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الطويل]

وإنّي لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّه ... وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبيبُ
وأُغْضِي على أشياءَ منكم تَسُوءني ... وأُدْعَى إلى ما سَرّكم فأجيبُ
وأحبِس عنكِ النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ ... بقُرْبِك والمَمْشى إليكِ قريبُ

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدَّمَتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

حَيِّيا خَوْلَةَ منّي بالسلامِ ... دُرّةَ البحرِ ومِصْباحَ الظلامِ[1]
لا يكُن وَعْدُكِ برقاً خُلَّباً ... كاذباً يلمع في عُرْض الغمامِ[2]
واذكري الوعدَ الذي واعدتنا ... ليلةَ النصف من الشّهر الحرامِ

الشعر لأعشى هَمْدان . والغناء لأحمد النَّصْبي ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلّب من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لَمن أُخلف وعدَه ؛ قال الشاعر : [من الرمل]

لا يكنْ وعدك برقاً خُلَّباً ... إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

---

1 في الديوان : خولة ، ص 339 .

2 في الديوان «أو تكوني مثل برق . خلّب : خادع ، ص 339 .

[75] ـ أخبار أعشى هَمْدان ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشم بن حاشد بن جُشَم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسِلة بن رَبيعة بن الخِيار بن مالِك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، ويُكنى أبا المصَبِّح ، شاعرٌ فصيح ، كوفيّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان زوجَ أُخت الشَّعبيّ الفقيه ، والشعبيُّ زوجَ أُخته . وكان أَحَد الفقهاء القُرّاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ ، وآخى أَحمد النَّصْبي بالعَشِيريّة[2] والبَلَديّة ، فكان إذا قال شعراً غنّى فيه أَحمدُ . وخرج مع ابن الأَشْعث ، فأُتِي به الحَجّاجُ أَسيراً في الأَسرى ، فقتله صَبْراً .

[قصّ رؤياه على صهره الشعبيّ]

أَخبرني بما أذكره من جملة أَخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسَديّ أنّه أَخذ أَخباره هذه عن ابن كُناسة عن الهَيْثم ابن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيّين . قال حدَّثنا عمر بن شَبّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاقَ الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ . قال العَنزيّ : وأَخذت بعضَها من رواية مسعود بن بشر عن الأَصمعيّ . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً .

أَخبرني المهلَّبيّ أَبو أَحمد حبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال : كان الشَّعبيّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أُخت أَعشى هَمْدان ، وكان أَعشى هَمْدان زوجَ أُخت الشَّعبيّ ، فأَتاه أَعشى همدان يوماً ، وكان أَحدَ القُرّاء للقرآن ، فقال له : إنّي رأيت كأنّي أُدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير ، وقيل لي : خُذ أَيّهما شئتَ ، فأَخذتُ الشَّعير ؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءتَه وقلت الشعر ؛ فكان كما قال .

[أُسر في الدَّيلم فأَحبّته ابنة الأَمير وهربت معه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسديّ عن

1 انظر أخبار أعشى همدان في العقد 3 : 208 وزهر الآداب : 620 وبهجة المجالس 1 : 348 ونهاية الأرب 3 : 83 والتذكرة الحمدونية 3 : 120 ، 4 : 215 ، 231 ، 5 : 203 ، 7 : 373 ، 8 : 179 ، 318 .

2 العشيريّة : نسبة إلى العشير أو العشيرة .

ابن كُناسة ، قال العَنزيّ وحدَّثني مسعود بن بِشر عن أَبي عُبيدة والأَصمعيّ قالا ، وافق روايتَهم الهيْثمُ بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : كان أَعشى هَمْدان أبو المُصبّح ممّن أَغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحيَ دَسْتَبى[1] ، فأُسِر ، فلم يزل أَسيراً في أَيدي الدَّيلم[2] مدّة . ثم إنّ بنتاً للعِلْج الذي أَسَره هَوِيتْه ، وصارت إليه ليلاً فمكّنته من نفسها ، فأَصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات ؛ فقالت له الدَّيلميّةُ : يا معشرَ[3] المسلمين ، أَهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا ؛ فقلت له : بهذا العمل نُصرتم ؛ أَفرأَيتَ إن خلّصتُك ، أَتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلمّا كان الليلُ حَلّت قيودَه وأَخذتْ به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصته[4] وهرَبتْ معه . فقال شاعر من أَسْرى المسلمين : [من الطويل]

فمَنْ كانَ يَفْديه مِن الأَسْرِ مالُه فهَمْدانُ تَفْدِيها الغـداةَ أُيورُها

وقال الأَعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الدَّيلم : [من الكامل]

صوت

لِمَن الظَّعائــنُ سيرُهــنّ تَرَجُّفُ عَوْمَ السَّفين إذا تقاعس مِجذَفُ[5]
مرّتْ بذي خُشُب كأَنّ حُمولَها نَخْـلٌ بيَثْــرِبَ طَلْعُـه مُتضعِّفُ[6]

غنّى في هذين البيتين أَحمد النَّصْبي ، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكّي . وفيهما لمحمّد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو : [من الرجز]

عُولِــينَ ديبـاجاً وفاخرَ سُنْدُسٍ وبخَـزّ أَكسية العــراق تُحفَّفُ
وغدتْ بهم يومَ الفراقِ عَرامِسٌ فُتْـلُ المَرافــق بـالهوادج دُلَّفُ[7]
بــانَ الخليــطُ وفاتنــي برحيله خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَفُ[8]
تجلــو بِمسْواكِ الأَرَاك مُنَظَّماً عَذْباً إذا ضحكتْ تهلَّلَ يَنْطُفُ

---

1 دَسْتَبى : كورة كانت مقسومة بين الريّ وهمذان .
2 في ل : بلد .
3 في ل : معاشر .
4 في ل : تخلّصته .
5 الترجّف : الاضطراب الشديد . في ل : يُجذّفُ .
6 ذو خُشُب : وادٍ على مسيرة ليلة في المدينة . متضعّف في ل : متعطّف وفي الديوان أيضاً ص 334 .
7 العرامس : جمع عرمس وهي الناقة الصّلبة . دُلَّف : جمع دالف وهو الماشي بالحمل الثقيل مقارباً للخطو .
8 يُشْغَف : في ل : تُشْغَفُ .

وكأنّ ريقتَها على عَلَــلَ الكَرى عَسَلٌ مصفًّى في القِلال وقَرْقَفُ[1]
وكأنّما نظــرتْ بعينــيْ ظبيــةٍ تحنو عـلى خشْف لهــا وتَعَطَّفُ
وإذا تنــوء إلى القيــام تدافعتْ مثلَ النَّزيف ينــوء ثُمّتَ يَضْعُفُ
ثقُلــتْ روادفُها ومال بخَصْرِها كَفَلٌ كما مــال النَّقــا المتقصِّفُ
ولهــا ذراعــا بَكْــرةٍ رحبيّــة ولها بَنــانٌ بالخِضاب مُطَرَّفُ[2]
وعــوارضٌ مصقولــةٌ وترائــبٌ بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكــة مُخْطَفُ[3]
ولهــا بَهــاءٌ في النساء وبَهْجةٌ وبها تَحُلّ الشمسُ حـين تُشرِّفُ
تلك التي كانت هوايَ وحاجتي لــو أنّ داراً بالأَحبّــة تُسْعِفُ
وإذا تُصِبْك مــن الحوادث نكبةٌ فاصبر فكــلُّ مصيبةٍ ستَكَشَّفُ
ولئن بكيتُ مــن الفراق صَبابةً إنّ الكبيــر إذا بكــى لَيُعَنَّفُ
عجباً مــن الأَيّام كيف تَصَرَّفَتْ والدّارُ تدنــو مَــرّةً وتقذّفُ
أَصبحتُ رَهْنــاً للعُــداة مكبَّلاً أُمْسي وأُصْبح في الأَداهم أَرْسُفُ
بين القليسم فالقيــول فحامــن فاللهزمين ومضجعــي مُتكنَّفُ[4]

هذه أسماء مواضع من بلد الدَّيلم تكنَّفته الهموم بها .

فجِبَالُ ويمــة مــا تزالُ مُنِيفــةً يــا ليتَ أنّ جبالَ ويمة تُنسَفُ

ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحي الريّ .

ولقــد أُراني قبــل ذلك ناعماً جَــذْلانَ آبــى أن أُضام وآنفُ
واستنكرتْ ساقي الوَثاقَ وساعِدي وأنا امرؤٌ بادِي الأَشاجع أَعْجَفُ[5]
ولقد تُضرِّسني الحــروبُ . وإنّني أُلفَــى بكــلِّ مخافــة أَتعسَّفُ
أَتسربل الليــلَ البهِيمَ وأَستري في الخَبْت إذ لا يَسْتَرُونَ وأُوجِفُ[6]

---

1 القلال : جمع قلّة وهي الجرّة العظيمة ، وقيل الكوز الصغير . القرقف : الخمر .
2 طرّفت المرأة بنانها : خضب أطراف أصابعها بالحناء .
3 مخطف : ضامر .
4 فالقيول فحامن في ل : فالقبول فحازر .
5 الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكفّ .
6 يسترون في الديوان : وأشتدي . . . . يشتدون ص 335 .

مـا إن أزال مقنَّعـاً أو حاسراً سَلَفَ الكتيبة والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابني قـومٌ فكنتُ أُصيبهم فـالآن أصبِر للزمـانِ وأعرفُ
إنّي لطَـلاّبُ التِّراتِ مطلَّـبٌ وبكـلِّ أُسباب المنيّـة أُشرِفُ
باقٍ على الحِدْثـان غيرُ مكذَّبٍ لا كاسفٌ بـالي ولا متأسِّفُ
إن نلـتُ لم أفـرح بشيء نِلتُه وإذا سُبِقتُ بـه فـلا أتلهّفُ
إنّي لأَحْمِي في المَضيق فَوارِسي وأكُرّ خَلْفَ المُسْتضاف وأعطِفُ[1]
وأشُدّ إذ يكبو الجبـان وأصْطَلي حَرَّ الأَسنّـة والأَسنّـةُ تُرْعُفُ[2]

صوت

فلئـن أصابتنـي الحروبُ فربّما أُدْعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردِفُ
ولربّمـا يَـرْوَى بِكفّي لَهْذَمٌ مـاض ومُطَّرِدُ الكُعوب مُثقَّفُ[3]
وأُغير غـاراتٍ وأَشْهَد مَشهداً قلبُ الجبانِ بـه يَطير ويَرجُفُ
وأَرى مغانـمَ لـو أَشاء حويتُها فيُصدّني عنهـا غِنـىً وتَعفّفُ

غَنّى في هذه الأبيات دَحْمانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أَوّل بالوسطى ، ووافقه في هذا ابن المكّيّ .

[خرج مع جيش الحجّاج إلى مكران فمرض وقال شعراً]

قالوا جميعاً : ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أَهل الكوفة إلى مُكْران[4] ، فأَخرجه الحجّاج معهم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض ، فاجتواها وقال في ذلك ، وأَنشدني بعضَ هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أَبي شيخ : [من المتقارب]

طلبـتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ وشاب القَـذال ومـا تُقصِرُ
وبـانَ الشبـابُ ولذّاتـه ومثلُك في الجهـل لا يُعذَرُ
وقـال العواذلُ هـل يَنْتهي فيَقْدَعَـه الشيـبُ أَو يُقصِرُ[5]

---

1 المستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجيء به ، يريد بـه الكميّ الشجاع وفي الديوان : المستضاق ص336 .
2 يكبو في ل : ينبو .
3 مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها .
4 مُكْران : ولاية واسعة بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً والهند شرقاً .
5 يقدعه : يكفّه .

وفي أربعـــينَ تَوَفّيتُهـــا وعَشْرٍ مضـــتْ لِيَ مُستبصَرُ
وموعظـــةٌ لامـــرىء حـــازمٍ إذا كان يَسمـــع أو يُبْصِـــرُ
فـــلا تأسفنَّ على مـــا مضى ولا يَحزُنَنَّـــك مـــا يُدْبِرُ
فإنّ الحـــوادثَ تُبـــلي الفتى وإنّ الزمـــان بـــه يعثُـــرُ
فيَوْمـــاً يُساء بمـــا نابَـــه ويومـــاً يُسَرّ فيَستبشـــرُ
ومِـــنْ كلّ ذلك يَلْقـــى الفتى ويُمْنَى لـــه منه مـــا يُقّدَرُ
كأنِّـــيَ لم أرْتَحـــلُ جَسْرةً ولم أُجْفِها بعد مـــا تضمرُ[1]
فأُجْشِمَهـــا كلَّ دَيْمُومـــةٍ ويَعرفهـــا البلـــدُ المُقفـــرُ[2]
ولم أَشهدِ البأسَ يـــومَ الوَغى عـــليّ المُفاضـــةُ والمِغْفَـــرُ[3]
ولم أَخرِق الصفَّ حتى تَميـــ ـــل دَارِعـــةُ القومِ والحُسَّرُ[4]
وتحتـــي جَـــرْداءُ خَيْفانـــةٌ من الخيـــل أو سابحٌ مُجفَرُ
أُطاعِـــنُ بـــالرمح حتـــى اللَّبا نُ يَجـــري بـــه العَلَق الأحمرُ
وما كنت في الحرب إذ شَمَّرت كمَـــنْ لا يُذيـــب ولا يُخثِرُ
ولكنَّنـــي كنـــتُ ذا مـــرَّة عَطوفـــاً إذا هتـــفَ المَحْجرُ
أُجيب الصَّريخ إذا ما دعا وعنـــد الهِيـــاج أنـــا المِسْعَرُ
فإن أُمْسِ قـــد لاح فيَّ المَشيـــ ـــبُ أُمَّ البنين ، فقـــد أَذكُرُ
رَخـــاءَ منَ العيش كُنّا بِـــه إذِ الدَّهـــرُ خـــالٍ لنا مصْحِرُ
وإذ أنـــا في عُنفـــوان الشبا ب يُعجبُني اللَّهـــو والسُّمَّرُ
أُصيـــد الحسانَ ويَصْطَدْنني وتعجبنـــي الكاعبُ المُعصِرُ
وبيضاءُ مثـــلُ مَهـــاة الكَثيـــ ـــب لا عَيْبَ فيهـــا لمَن ينظُرُ
كأنّ مُقَلَّدَهـــا إذ بـــدا بـــه الدُّرّ والشَّذْرُ والجوهرُ[5]

---

1 الجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . أجفاها : أتعبها .

2 الدّيمومة : الفلاة الواسعة .

3 المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

4 الدارعة : الفرقة اللابسة الدّروع .

5 الشّذر : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل خرز يفصل به بين الجواهر في النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه دون إذابة الحجارة .

مُقَلَّـدُ أُدْمـاءَ نَجْدِيّـةٍ يَعِـنُّ لهـا شادِنٌ أحـورُ[1]
كأنّ جَنَى النحل والزنجبيـ ـلَ والفارسيَّـةَ إذ تُعْصَرُ[2]
يُصَبّ على بَرْدِ أنيابهـا مُخالِطُـه المسكُ والعنبرُ
إذا انصرفتْ وتَلَوَّتْ بها رِقاقُ المَجاسِد والمِئْزرُ[3]
وغَصّ السِّوارُ وجال الوِشاح على عُكَنٍ خَصْرُها مُضْمَرُ
وضاق عن الساق خَلْخالُها فكاد مُخَدَّمها يَنْدُرُ[4]
فَتُورُ القيام رخيمُ الكلا م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَرُ
وتُنْمَى إلى حَسَبٍ شامخ فليستْ تُكذَّب إذ تَفْخَرُ
فتلك التي شَفّني حبُّها وحمّلني فوق ما أقدِرُ
فلا تعذُلانِيَ في حبِّها فإنّي بمعذرةٍ أجْدَرُ

ومن ها هنا رواية اليزيديّ :

وقُولا لذي طَرب عاشقٍ : أشطَّ المزارُ بمَن تَذْكُرُ ؟
بكوفيّة أصلُها بالفُرا ت تبدو هنالك أو تَحضُرُ
وأنت تسير إلى مُكَّران فقد شحَط الوِرْدُ والمَصْدَرُ
ولم تَكُ من حاجتي مُكّران ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجَرُ
وخُبِّرتُ عنها ولم آتِها فما زِلتُ من ذكرها أُذْعَرُ
بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ وأنّ القليل بها مُقْتِرُ
وأنّ لِحَى الناسِ من حَرِّها تطولُ فتُجْلَم أو تُضْفَرُ[5]
ويزعمُ مَنْ جاءها قَبْلَنا بأنّا سَنَسْهَم أو ننجرُ[6]
أعوذ بربّي من المُخزيا ت فيما أُسِرّ وما أُجهَرُ

1 الأُدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية .
2 الفارسية : الخمر .
3 وتلوّت بها في الديوان : وتلوث بها ص 327 . المجاسد : الأثواب التي تلي البدن . جمع مِجْسَد .
4 المخدم : موضع الخلخال ، ويندر : يسقط .
5 تجلم : تقطع بالجلم ، وهو المقصّ .
6 سَهَم الرجل : تغيّر لونه وبدنه . نَجِرَ الرجل : أصابه عطش شديد .

وحُدِّثـت أَنْ مالنـا رَجْعَةٌ ... سنِينَ ومِـنْ بعدهـا أَشهرُ
إلى ذاك مـا شاب أَبناؤنـا ... وبـادَ الأَخِـلاَّء والمَعْشَرُ
ومـا كان بي مـن نشاطٍ لها ... وإنّي لـذو عُـدّة مُوسِرُ
ولكـنْ بُعِثتُ لهـا كارهـاً ... وقيـل انطلـق كالذي يُؤمرُ[1]
فكـان النَّجـاء ولم أَلتفت ... إليهـمْ وشرّهـمُ مُنكرُ[2]
هو السيف جُـرِّد من غمده ... فليس عـن السيف مستأخَرُ
وكم مـن أخٍ ليَ مستأنِس ... يَظلّ بـه الدمـعُ يَسْتحسرُ
يودّعنـي وانتحـتْ عبـرةٌ ... لـه كالجـداول أَو أَغزرُ
فلستُ بلاقِيـه مـن بعدها ... يَدَ الدَّهر ما هبّت الصَّرْصَرُ[3]
وقـد قيـل إنّكـمُ عابرو ... ن نجـراً لهـا لم يكن يُعْبَرُ
إلى السّند والهنـد في أَرضهم ... هـمُ الجـنّ لكنّهم أَنْكَرُ
ومـا رام غـزواً لهـا قبلَنا ... أَكابـرُ عـادٍ ولا حِمْيَرُ
ولا رام سابورُ غـزواً لهـا ... ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصرُ
ومِـنْ دونهـا مَعْبَـرٌ واسعٌ ... وأَجـرٌ عظيـم لمـن يؤجَرُ

[قصّته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي]

وذكر محمّد بن صالح بن النّطّاح أَنّ هشام بن محمّد الكلبيّ حدَّث عن أَبيه : أَنّ أَعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحِيّ بالرَّيّ ودَسْتبى ، وكان الأَعشى شاعرَ أَهلِ اليمن بالكوفة وفارسَهم ، فلمّا قدِم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أُمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده ، فجعل الناسُ يَمُرّون عليها إلى أن جاز بها الأَعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً[4] من النُّعاس ؛ فقالت أُمُّ ولدَ خالد بنِ عتّاب لجواريها : إنّ امرأة خالد لَتُفاخرني بأَبيها وعمِّها وأَخيها ، وهل يَزيدون على أَن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش . وسمعها الأَعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هـذه جاريـة خالد ؛ فضحك وقال لها : إليكِ عنّي يا لَكْعاء ؛ ثم أَنشأَ يقول : [من الطويل]

1 كالذي في الديوان للذي ص 328 .
2 النجاء : السرعة في السير .
3 يد الدهر : كناية عن الأبد .
4 في ل : وشمالاً .

وما يُدْريكِ ما فرسٌ جَرُورٌ ... وما يدريكِ ما حَمْلُ السّلاحِ[1]
وما يدريكِ ما شيْخٌ كبيرٌ ... عَداه الدَّهرُ عن سَنَن المِراحِ
فأُقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْد يوماً ... وليلتَه إلى وَضَحِ الصَّباحِ
إذاً لنظرتُ منكِ إلى مكان ... كسَحْقِ البُرْد أو أَثَرِ الجِراحِ[2]

قال : فأَصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأَعشى ؛ فقالت : واللهِ ما تُكْرَم ، ولقد اجترِىء عليك فقال لها : وما ذاكِ ؟ فأَخبرتْه أنّها مرّت برجل في وجه الصبح ، ووصفتْه له وأنّه سبَّها ؛ فقال : ذلك أَعشى هَمْدان ؛ فأَيّ شيء قال لكِ ؟ فأَنشدته الأَبيات . فبَعث إلى الأَعشى ، فلمّا دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زَعَمتْ أنّك هجوْتَها ؛ فقال : أَساءت سمعاً ، إنّما قلتُ : [من الوافر]

مررتُ بنسوة متعطِّرات ... كضوء الصبح أَو بَيض الأَداحي[3]
على شُقْر البغال فَصِدْنَ قلبي ... بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاح
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقُلن سِرْبٌ ... بدا لك من ظِباء بَني رِياح

فقالت : لا واللهِ ، ما هكذا قال ، وأَعادت الأَبياتَ ؛ فقال له خالد : أَما إنّها لولا أَنّها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك ، ولكنّي أَفتدي جنايتَها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أَبا المصبّح أَلاّ تُعيدَ في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبر العَنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرَها ، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً : وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتى استُعمِلتُ فخُذ خاتَمي واقْضِ في أُمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أُصبهان وصار معه الأَعشى فلمّا وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأَعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه : [من الوافر]

تُمنّيني إمارتَها تَميم ... وما أُمّي بأُمّ بني تَميمِ
وكان أَبو سليمان أَخاً لي ... ولكنّ الشِّراكَ من الأَديمِ[4]

---

1 جرور في ل : حرون .

2 السحق : الثوب البالي ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .

3 الأداحي : جمع أُدحية وهي بيض النّعام في الرمل .

4 الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أُتينـا أُصبهـانَ فهزّلتنـا ... وكنّا قبـلَ ذلـك في نعيمِ
أتذكرنـا ومُـرّةَ إذ غزونا ... وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشُومِ
ويركَب رأسَه في كلّ وَحْلٍ ... ويعثُـر في الطريـق المستقيم
وليس عليـك إلاّ طَيْلسانٌ ... نَصيبـيٌّ وإلاّ سَحْـقُ نِيمِ[1]
فقد أُصبحتَ في خَـزّ وقَـزّ ... تَبَخْتر مـا تَرى لك من حميم
وتحسب أَن تلقّاهـا زمانـاً ... كذبتَ وربِّ مكّـة والحطيمِ

هذه رواية ابن النطّاح ، وزاد العَنزيّ في روايته :

وكانت أُصبهانُ كخير أَرضٍ ... لمُغتَـرِب وصُعلـوكٍ عديمِ
ولكنّـا أُتيناهـا وفيهـا ... ذوو الأَضغان والحقـد القديمِ
فأَنكرتُ الوجـوهَ وأَنكرتْني ... وجوهٌ مـا تُخبِّر عـن كريمِ
وكان سفاهةً منّـي وجهلاً ... مَسيري لا أُسيـر إلى حميمِ
فلـو كان ابنُ عتابٍ كريماً ... سما لروايـة الأَمـرِ الجسيمِ
وكيف رجاءُ من غلَبتْ عليه ... تنائـي الدارِ كالرَّحم العقيمِ

قال ابنُ النّطاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذي ادّعيتَ أنّي وأَنت غزَوْنا معه على بغل ذي وُشُوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيْلسان والنِّيمَ اللذيْن وصفتَهما ؟ فأَرسل إليه : هذا كلام أَردتُ وصفَك بظاهره ، فأَمّا تفسيره ، فإنّ مُرّةَ مرارةُ ثمرةٍ ما غرسْتَ عندي من القبيح . والبغل المَركَبُ الذي ارتكبتَه منّي لا يزال يعثُر بكَ في كلّ وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر وسَهْل . وأَمّا الطيلسان فما أُلبِسك إيّاه من العار والذمّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميلَ فراجعتُه لك ؛ فقال : لا ، بل أُراجع الجميلَ وتُراجعه ؛ فوصَله بمالٍ عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

أُخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأَصمعيّ قال : لمّا ولي خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أُصبهانَ ، خرج إليه أُعشى هَمْدان ، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة ، فلم يَجِد عنده ما يحبّ ؛ وأَعطى خالدٌ الناسَ عطايا فجعله في أَقلّها وفضّل عليه آلَ عُطارد ؛ فبلغه عنه أنّه ذمَّه فحبسه مدّةً ثم أَطلقه ؛ فقال يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ ممّن أَلجأَتْه خَصاصةٌ ... إليـكَ ولا ممّـن تَغُـرّ المواعدُ

---

1 النيم : الفرو ، أو هو ثوب يُنام فيه من القطيفة .

ولكنّها الأطماعُ وهي مُذِلَّـةٌ دنتْ بي وأنت النازح المتباعدُ
أَتَحْبِسُني في غير شيء وتارةً تلاحظني شَزْراً وأَنفُك عاقِدُ
فإنّــك لا كَابْنَيْ فَزارة فاعْلَمنْ خُلِقْتَ ولم يُشبِهِهما لك والدُ
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما أَبوكَ ولا حوضَيْهمـا أَنت وارد
وإنّك لو ساميتَ آلَ عُطارِدٍ لَبذَّتْـك أَعناقٌ لهم وسواعدُ
ومأثُـرةٌ عاديّـةٌ لـن تنالَها وبيتٌ رفيـعٌ لم تَخُنْـه القواعدُ
وهل أَنت إلاّ ثعلبٌ في ديارهم تُشَلُّ فتَعْساً أَو يقـودُك قـائدُ[1]
أَرى خالداً يختالُ مشياً كأَنّه من الكبرياء نَهْشَلٌ أَو عُطارِدُ[2]
وما كان يَرْبوعٌ شبيهاً لـدارِمٍ وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفَراقدُ

[مدح ابن الأَشعث وحرّض أَهل الكوفة للقتال معه ضد الحجّاج]

قالوا : ولمّا خرج ابنُ الأَشْعَث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أَهل الكوفة ، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أَحدٌ له نَباهة إلاّ خرج معه لِثِقَل وطأة الحَجّاج عليهم . فكان عامر الشَّعْبيّ وأَعشى هَمْدان ممّن خرج معه ، وخرج أَحمد النَّصْبي أَبو أُسامة الهَمْداني المغنّي مع الأَعشى لإلفته إيّاه ، وجعل الأَعشى يقول الشعر في ابن الأَشعث يمدحه ، ولا يزال يحرِّض أَهلَ الكوفة بأشعاره على القتال ، وكان ممّا قاله في ابن الأَشعث يمدحه : [من الكامل]

يأبى الإلـهُ وعـزّةُ ابـن محمّـد وجـدودُ مَلْك قبـلَ آل ثَمودِ
أَن تأنسوا بمذمَّـمين ، عروقُهـم في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيدِ
كم من أَبٍ لك كان يعقِد تاجَه بجبـين أَبلـجَ مِقْـوَلٍ صِنْديدِ
وإذا سألـتَ : المجدُ أَين محلُّهُ فالمجـدُ بـين محمّـدٍ وسعيدِ
بـين الأَشجّ وبـين قيسٍ باذخٌ بَـخْ بَـخْ لوالـده وللمولودِ
ما قصَّرتْ بكَ أَن تَنال مَدى العُلا أَخـلاقُ مَكْرُمـةٍ وإرثُ جدودِ
قَـرْم إذا سامى القُرُومَ ترى له أَعـراقَ مجـدٍ طـارفٍ وتَليدِ
وإذا دعـا لعظيمةٍ حُشِدَتْ له هَمْـدان تحـت لوائـه المعقودِ
يَمْشُون في حَلَق الحديـد كأنّهم أُسْد الإبـاء سمعـنَ زأرَ أسودِ

1 تُشَلّ : تُطرَد .
2 نهشل وعطارد : قبيلتان من قبائل العرب .

وإذا دعوتَ بآل كِنْدةَ أَجْفَلوا بكهولِ صدقٍ سيِّد ومَسُودِ
وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم في كلِّ مَلْحَمةٍ بروقُ رعودِ
ما إن ترى قيساً يقاربُ قيسَكم في المَكْرُمات ولا ترى كسعيدِ

[طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردَّه فقال شعراً]

وقال حَمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأَشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة ؛ وكان الأَعشى من أَخواله ، لأَنّ أُمَّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأَشعث أُمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْداني . قال : فلمّا صار ابنُ الأَشعثِ إلى سجِسْتانَ جَبى مالاً كثيراً ، فسأَله أَعشى همدان أَن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه ؛ فقال الأَعشى في ذلك : [من السريع]

هل تعرف الدارَ عفا رسمُها بالحَضْر فالروضةِ من آمِدِ[1]
دارٌ لخَوْدٍ طَفْلةٍ رُودةٍ بانَتْ فأَمسى حبُّها عامِدِي
بيضاءَ مثلِ الشمس رَقْراقةٍ تَبسِم عن ذي أُشُر باردِ
لم يُخْطِ قلبي سهمُها إذ رمتْ يا عجباً من سهمها القاصِدِ
يا أَيُّها القَرْمُ الهِجانُ الذي يَبْطِش بطشَ الأَسَدِ اللاَّبدِ[2]
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي يُنْمى إلى الغائب والشاهدِ
كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحةٍ تُرْوى مع الصادر والواردِ
وكم أَجبنا لكَ من دَعوةٍ فاعرفْ فما العارفُ كالجاحدِ[3]
نحن حَمَيْناكَ وما تحتمي في الرَّوْع من مَثْنىً ولا واحدِ
يومَ انتصرنا لك مِن عابد ويومَ أَنجيناك من خالدِ[4]
ووقعة الرَّيّ التي نِلْتَها بجَحْفلٍ من جَمْعنا عاقدِ
وكم لَقِينا لك من واترٍ يصرِف نابَيْ حَنِق حاردِ[5]

---

1 الحَضْر : مدينة بالقرب من تكريت بالعراق . آمد : مدينة في ديار بكر .
2 الهجان : الخالص وخيار كلّ شيء .
3 كالجاحد في الديوان الجامد ص 324 .
4 عابد في ل : غامد .
5 الحارد : الغاضب .

ثـــم وَطِئنــــاه بأقدامنـــا وكان مثــلَ الحيَّــةِ الراصدِ
إلى بــلاء حسنٍ قــد مضى وأنـــتَ في ذلــك كالزاهدِ
فاذكُـــر أيادينـا وآلاءَنـا بعــودةٍ من حِلْمك الراشدِ
ويــومَ الاهــواز فــلا تَنْسَه ليس النَّثا والقــولُ بالبائدِ[1]
إنّـــا لنرجــوك كما نَرْتجي صوبَ الغمام المُبرقِ الراعدِ
فانفَحْ بكفَّيْك ومـا ضَمَّنا وافعــل فَعــالَ السَّيِّد الماجدِ
مـا لكَ لا تُعطي وأنتَ امرؤٌ مُثْرٍ مِــنَ الطــارف والتالدِ
تَجْبي سِجِسْتانَ ومـا حولها مُتّكئــاً في عيشك الراغدِ[2]
لا ترهــبُ الدَّهــرَ وأيّامَـــه وتَجْــرُد الأرضَ مع الجاردِ
إن يــكُ مكــروهٌ تَهِجْنا له وأنتَ في المعــروفِ كالراقدِ
ثـــم تَـــرى أنّا سنرضى بذا كلاّ وربِّ الراكـــعِ السّاجدِ
وحُرمـــةِ البيت وأستـــارِه ومَنْ بـــه مِـــنْ ناسكٍ عابدِ
تلــك لكـــم أمنيّـــةٌ باطلٌ وغفــوةٌ مـــن حُلُم الراقدِ
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها هَيْـــجٌ بآتيــكَ ولا كابــدِ
ولا إذا ناطُــوك في حَلْقـــة بحامــلٍ عنــك ولا فاقدِ[3]
فأعْطِ مـــا أعطيتَـــه طيِّباً لا خيرَ في المَنْكود والناكدِ[4]
نحــن ولدنــاك فــلا تَجْفُنا واللهُ قــد وصّــاك بالوالدِ
إن تكُ مـــن كِنْدةَ في بيتهـــا فإنّ أخوالــكَ مــن حاشدِ[5]
شُمُّ العرانــين وأهـــلُ النّدى ومُنتَهــى الضِّيفــان والرائدِ
كم فيهمُ مــن فــارس مُعْلَم وسائسٍ للــجيش أو قـــائدِ
وراكبٍ للهَـــوْل يجتابُــــه مثــلَ شِهــاب القَبَس الواقدِ

1 النَّثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء وفي الديوان : الثنا ص 324 .
2 مُتكئا في ل : ممكناً .
3 فاقد في ل : ذائد . وفي الديوان : ناقد ص 325 .
4 المنكود : الذي يُلحُّ عليه في المسألة . والناكد الملح .
5 حاشد : حيّ من همدان .

أو مـلإٍ يُشفَى بأحلامهم ... مـن سَفَـه الجاهل والماردِ
لم يجعـلِ اللهُ بأحسابنـا ... نقصاً ومـا الناقص كالزائدِ
وربّ خـالٍ لك ، في قومه ... فرعٌ طويـلُ الباع والساعدِ
يَحتضِر البأسَ ومـا يبتغـي ... سوى إسار البَطَل الناجدِ[1]
والطعـنِ بالرايـة مستمكِناً ... في الصفِّ ذي العادِية الناهدِ[2]
فارتَـحْ لأخوالك واذكرهمُ ... وارحمهـمُ للسَّلَـف العائدِ
فإنّ أخوالَـك لم يَبْرحوا ... يُرَبُّون بالرِّفـد عـلى الرَّافدِ
لم يَبْخَلوا يومـاً ولم يَجْبُنوا ... في السَّلف الغازي ولا القاعدِ
ورُبَّ خـالٍ لـكَ في قومه ... حمّـال أثقـال لهـا واجـدِ
مُعْتَرِفٍ للـرزء في مالـه ... والحـقِّ للسائـل والعامدِ

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد الأَزْديّ قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ ، وأخبرني عمِّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ ، وذكره العَنزيّ عن أصحابه ، قالوا جميعاً : خرج أعشى هَمْدان إلى الشام في وِلاية مَرْوان بنِ الحكَم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النعمان بن بشِير وهو عاملٌ على حِمْص ، فشكا إليه حالَه ؛ فكلَّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانية وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها ، واستماحَهم له ؛ فقالوا : نعمْ ، يعطيه كلّ رجل منّا دينارين مِنْ عطائه ؛ فقال : لا ، بل أعْطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجَّلاً ؛ فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال واحتسبْها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان وكانوا عشرين ألفاً فأعطاه عشرين ألف دينار وآرتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان : [من الطويل]

ولَمْ أرَ للحاجاتِ عند التماسها ... كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أَوْفَى ما يقولُ ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقـوام حبلَ غُرُورِ
متى أكفرِ النعمانَ لم ألْفَ شاكراً ... ومـا خيرُ من لا يقتدي بشَكُورِ
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ ... ثَـوى مـا ثَوى لم يَنْقلِبْ بنَقِيرِ

[شعره في حرب نصيبين بين المهلّب ويزيد بن أبي صخر]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَة نَصيبينَ ، وفيها أبو قارِب

1 إسَار في ل : نزال . وفي الديوان : الماجد بدل الناجد ص 325 .
2 ناهد : الأسد .

يَزيد بن أَبي صَخْر ومعه الخَشَبِيّة[1] ؛ فقال المهلَّب : يا أيّها الناس ، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنّما هم العَبيد بأيديها العِصيّ . فحمَل عليهم المهلَّبُ وأَصحابُه فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلّبُ رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أَبي صَخْر ليغتالَه ، وجعل له على ذلك جُعْلاً سَنِيّاً ، قال الهيثم : بلغني أنّه أعطاه مائتي أَلف درهم قبلَ أن يمضيَ ووعَده بمثلها إذا عاد ، فاندسَّ له العَبْديُّ فاغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أعشى هَمْدان في ذلك : [من الطويل]

يُسمَّوْن أَصحابَ العِصيّ وما أَرى ... مع القوم إلاّ المَشْرفيّةَ مِن عَصا
أَلا أَيُّها اللّيثُ الذي جاء حاذِراً ... وأَلقى بنا جرمى الخيامَ وعَرّصا[2]
أتحسَب غزوَ الشأم يوماً وحربَه ... كبِيضٍ يُنَظِّمن الجُمان المفصَّصا
وسيرِك بالأَهْواز إذ أَنت آمنٌ ... وشربك أَلبانَ الخَلايا المُقَرَّصا[3]
فأَقسمتُ لا تَجْبي لك الدَّهرَ درهماً ... نَصيبُون حتّى تُبْتَلى وتُمَحَّصا
ولا أنتَ من أَثوابها الخُضْرِ لابسٌ ... ولكنَّ خُشباناً شِداداً ومِشْقَصا[4]
فكم ردَّ من ذي حاجةٍ لا ينالُها ... جُدَيْع العَتيك ردّه الله أَبْرَصا
وشيّد بنياناً وظاهَر كسوةً ... وطال جُدَيْع بعد ما كان أَوقَصا

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة] . والأَبيات التي كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأَعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيّون ، وهو الصحيح . وذكرَ الأَصمعيّ أنّها خَوْلة ، هكذا رواه في شعر الأَعشى .

[طلّق زوجته أمّ الجلال وتزوّج غيرها وشعره في ذلك]

فذكر العَنزيّ في أَخبار الأَعشى المتقدّم إسنادُها : أنّها كانت عند الأَعشى امرأةٌ من قومه يُقال لها أُمُّ الجَلال ، فطالت مدّتها معه وأَبغضها ، ثم خطب امرأةً من قومه يقال لها جَزْلة ، وقال الأَصمعيّ : خولة . فقالت له : لا ، حتى تُطلّق أُمّ الجلال ؛ فطلَّقها ؛ وقال في ذلك : [من المتقارب]

---

1 الخشبية : أتباع المختار بن أبي عبيد .
2 حاذراً : متأهّباً مستعدّاً ، وفي الديوان : خادراً ص 333 . بنا جرمى في ل : ببا جرمى وفي الديوان أيضاً ص 333 .
3 الخلايا : الإبل المخلاّة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرّص : اللّبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً . والمقارص : الأوعية التي يقرّص فيها اللبن .
4 المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يُرمى به الوحش .

تقــادَم وُدِّكِ أُمَّ الجَــــلالِ   فطاشت نبالُكِ عنــد النِّضالِ
وطـــال لزومُــك لي حِقْبَةً   فرَثَّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصالِ
وكان الفــؤاد بهـــا مُعجَباً   فقد أُصبح اليومَ عن ذاك سالي
صحا لا مُسيئـاً ولا ظالمـاً   ولكـــنْ سَلا سَلْوةً في جمالِ
ورُضْــتِ خلائقَنـا كلَّهـا   ورُضْنا خلائقَكــم كلَّ حالِ
فأَعْيَيْتِنـــا في الذي بيننـا   تَسُومِيننَـــي كلَّ أمــرٍ عُضالِ
وقـــد تأمُرينَ بقَطع الصديق   وكان الصديقُ لنــا غيرَ قالي
وإتيـــانِ مـا قـد تجنَّبْتُه   وليـداً ولُمتُ عليــه رجالي
أَفَالْيَــوْمَ أَركبُــه بعـد مـا   علاَ الشَّيبُ منِّي صَمِيمَ القَذالِ
لعمــرُ أَبيكِ لقـــد خِلْتِني   ضعيفَ القُوى أو شديدَ المِحالِ
هلُمِّـــي اسأَلي نائـلاً فانظُري   أَأَحرِمُكِ الخيرَ عنــد السؤالِ[1]
أَلَــمْ تعلمـــي أَنّني مُعْرِقٌ   نَماني إلى المجد عمِّي وخالي
وأَنِّـــي إذا ساءَني منــــزِلٌ   عزمتُ فأَوشكْتُ منه ارتحالي
فبعضَ العتــاب ، فلا تَهْلكي   فَلا لَكِ في ذاكِ خيرٌ ولا لي
فلمّا بـــدا ليَ منهـــا البَذا   ءُ صبّحتُهـــا بثـلاثٍ عِجالِ
ثلاثــاً خرجْـــنَ جميعاً بها   فخلَّيْنهـــا ذاتَ بيْـــتٍ ومالِ
إلى أَهلهـــا غيـــرَ مخلوعـــةٍ   ومـــا مَسَّها عندنا من نَكالِ
فأَمستْ تَحِـــنُّ حنـــينَ اللِّقا   حِ من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالي
فحِنِّـــي حنينَـــكِ واستيقني   بأَنّا اطّرَحْناكِ ذاتَ الشمالِ
وأَن لا رجــوعَ فــلا تُكْذَبِيــ   ـنَ ما حنَّت النِّيبُ إثْرَ الفِصالِ
ولا تحسبينـــي بأَنِّي ندِمـ   ـتُ كَلاَّ وخالِقنا ذي الجَلالِ

فقالت له أُمّ الجلال : بئس والله بعلُ الحُرَّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت ! وَيْحَكَ ؛ أَعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به ! ثم دعتْ عليه أن يُبغِّضه الله إلى زوجته التي اختارها ، وفارقته . فلمّا انتقلت إلى أَهلها ؛ وصارت جزلة إليه ، ودخل بها لم

---

1 أَأَحرِمُكِ في ل : هل أُحرِمك .

يَحْظَ عندها ، ففَرِكته وتنكّرت له واشتدَّ شغفُه بها ؛ ثم خرج مع ابن الأَشعث فقال فيها : [من الرمل]

حَيِّيا جَزْلَةَ منّي بالسَّلامِ دُرَّةَ البحرِ ومصباحَ الظلامِ
لا تَصُدِّي بعد وُدّ ثابتٍ واسمَعي يا أمَّ عيسى من كلامي
إنْ تَدُومي لي فوَصْلي دائمٌ أو تَهُمِّي لي بهَجْرٍ أو صِرامِ
أو تكوني مثلَ برقٍ خُلَّبٍ خادعٍ يلمَع في عُرْض الغمامِ
أو كتخييلِ سَراب مُعْرِضٍ بفَلاة أو طُروقٍ في المنامِ
فاعلمي إن كنتِ لمّا تعلمي ومتى ما تفعلي ذاك تُلامي
بعد ما كان الذي كان فلا تُتْبِعي الإحسانَ إلاّ بالتمامِ
لا تَنَاسَيْ كلَّ ما أَعطيْتِني مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظامِ
واذكري الوعدَ الذي واعدْتِني ليلةَ النِّصف من الشهر الحرامِ
فلئن بَدّلْتِ أو خِسْتِ بنا وتجرّأتِ على أمِّ صَمامِ[1]

[أُمّ صمام : الغدر والحنث] .

لا تُبالِينَ إذاً مِنْ بعدِها أبداً تَركَ صلاةٍ أو صيامِ[2]
راجعي الوصلَ ورُدِّي نظرةً لا تَلِجِّي في طِمَاح وأثامِ
وإذا أنكرتِ منِّي شيمةً ولقد يُنكر ما ليس بذامِ[3]
فاذكريها لي أَزُلْ عنها ولا تُسْفِحي عينيكِ بالدمعِ السِّجامِ
وأرى حبلَك رَثّاً خَلَقاً وحبالي جُدُداً غيرَ رِمامِ[4]
عَجِبتْ جزلةُ منّي أن رأتْ لِمّتي حُفَّتْ بشَيْب كالثَّغامِ[5]
ورأت جسمي علاه كَبْرةٌ وصروفَ الدّهرِ قد أبلتْ عظامي
وصَلِيتُ الحربَ حتى تركتْ جسدي نِضْواً كأشْلاء اللِّجامِ[6]

---

1 أمّ في ل : أمر . صمام : الداهية الشديدة .
2 ترك في ل : أجْرَ .
3 ولقد أنكرتْ في ل : فلقد أنكرت .
4 حبل رمام : بالٍ .
5 الثغام : نبت يكون في الجبل ينبتُ أخضر ثم يبيضّ إذا يبس فيشبه به الشيب .
6 أشلاء اللجام : حدائده بلا سيور .

وهـي بيضاءُ عـلى مَنْكِبِها ... قَطَطٌ جَعْـدٌ ومَيَّال سُخامُ[1]

وإذا تضحـكُ تُبـدي حَبَباً ... كرُضاب المسك في الرَّاح المُدامِ

كَمَلتْ مـا بـين قَرْنٍ فإلى ... موضعِ الخَلْخالِ منها والخِدامِ[2]

فأراها اليومَ لي قد أحدثتْ ... خُلُقاً ليس على العهـدِ القُدَامِ

[تمثّل الشعبيّ بشعرٍ له فخر به على البصريين في حضرة الأحنف]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا محمّد بن سعيد الكُراني قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن مُجالِد عن الشَّعْبيّ : أنَّه أتى البصرةَ أيّامَ ابن الزُّبير ، فجلس في المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ بن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، ولم تزل المفاخرة بينهم إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلاّ خوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبيدهم ، (يعني الخوارج) . قال الشعبيّ : فهجس في صدري أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان : [من الرمل]

أفخرتـم أنْ قتلتـمْ أعبُـداً ... وهزمتـمْ مَـرّةً آلَ عُـزَلْ[3]

نحـن سُقناهمْ إليكم عَنْـوةً ... وجمعنـا أمرَكم بعـد فشلْ

فـإذا فاخرتمونـا فاذكروا ... مـا فعلنا بكمُ يـومَ الجَمَلْ

بـين شيخ خاضبٍ عُثْنونَـه ... وفتـىً أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ[4]

جاءنـا يرفُـلُ في سابغـةٍ ... فذبحناه ضحىً ذبـحَ الحَمَلْ[5]

وعَفَونـا فنَسِيتـم عفوَنـا ... وكفرتـم نعمـةَ الله الأجلّ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يا أهل البصرة ، قد فخَر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف ، فأحْسِنوا مجالسته .

[شعر له في هزيمة الزُّبير الخثعميّ بجَلُولاء]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أبي مُحلّم[6]

---

1 القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللّين الحسن .

2 قرن في ل : فرق . الخدام : الخلاخيل ، واحده خدمة . وفي الديوان : الحزام ص 340 .

3 آل في ل : قوماً . العزل : الاعتزال والتنحّي . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

4 الرّفل من النّاس : الطويل الذّيل .

5 يرفلُ في الديوان : يهدج ص 337 .

6 أبو محلم الشيباني : واسمه محمّد بن سعد ، ويقال محمّد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمّي محمّداً وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة . توفّي سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان .

عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال : بعث بِشْرُ بن مروان الزُّبَير بنَ خُزَيمة الخَثْعَميّ إلى الريّ ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[1] ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأَبادوا[2] عسكره ، وكان معه أَعشى هَمْدان ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

أُمِّرتْ خَثْعمٌ على غير خَيْرِ ... ثــم أَوصاهمُ الأَميرُ بسيرِ
أَين مــا كنتــمُ تَعيفون للنا ... س وما تزجُرون من كلّ طيرِ
ضلّت الطيرُ عنكمُ بجَلُولا ... ءِ وغَرّتكــمُ أمــاني الزُّبيرِ
قدرٌ ما أُتيح لي من فلسطيـ ... ـنَ عــلى فالج ثِقال وعَيْرِ[3]
خَثْعمــيّ مغصّص جرجمانـ ... ـيّ محـلّ غزا مع ابن نميرِ[4]

[مدح الأَصمعيّ شعره وفضله]

أَخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أَبو حاتم قال : سأَلت الأَصمعيّ عن أَعشى هَمْدان فقال : هو من الفحول وهو إسلاميّ كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العَجَبُ من ابن دَأْب حين يزعمُ أَنّ أَعشى همدان قال : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعــا لي غُزَيِّلي ... أَربح اللّهْ تجارتُــــه

ثم قال : سبحان الله ، أَمِثلُ هذا يجوز على الأَعشى ؟ أَن يجزم اسمَ الله عزّ وجلّ ويرفَع تجارتَه وهو نصب . ثم قال لي خَلَفٌ الأَحمر : والله لقد طَمِع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أَنّ هذا يُقبَل منه وأن له من المحلِّ مثلَ أَن يجوِّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعــا لي غُزَيِّلي

لا يجوز ، إنّما هو : مَن دعا لغزيِّلي ، ومَن دعا لبعيرٍ ضالّ .

[مدح خالد بن عتاب فأَجازه]

أَخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ومحمّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن الهيثم بن عديّ قال : أَمْلق أَعشى هَمْدان فأَتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأَنشده : [من الطويل]

1 جلولاء : ناحية حدثتْ فيها موقعة بين المسلمين والفرس .
2 في ل : وأَباحوا .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . الثقال : البطيء من الدواب والناس .
4 مغصص في الديوان : مغضّض ص 331 .

رأيــتُ ثناءَ الناس بالقول طيباً … عليكَ وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدِ[1]

بَني الحارثِ السامِين للمجد ، إنّكم … بنيتــم بنــاءً ذكـرُه غيرُ بائدِ

هَنيئاً لِمـا أعطاكُم اللهُ واعلموا … بأنّي سأُطْرِي خالداً في القصائدِ

فإن يـكُ عَتّـابٌ مضى لسبيله … فما مات من يبقى لـه مثلُ خالدِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

[أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة عن يونس [قال] : قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ، ودخل عليه : أنشدْني يا سابقُ شيئاً من شعرك تذكِّرني به ؛ فقال : أوَخيراً من شعري ؟ فقال : هاتِ ؛ قال قال أعشى همدان : [من البسيط]

وبينما المـرءُ أمسى ناعماً جَذِلاً … في أهلـه معجَباً بالعيشِ ذا أَنَقِ[2]

غِـرّاً ، أُتيح له من حَيْنه عَرَضٌ … فما تلبَّث حتى مـات كالصَّعِقِ[3]

ثُمَّتَ أضحى ضُحىً من غبِّ ثالثةٍ … مقنَّعـاً غير ذي رُوح ولا رَمَقِ

يُبكـى عليـه وأَدْنَوْه لمُظْلِمـةٍ … تُعْلى جوانبُهـا بالتُّربِ والفِلَقِ

فمـا تـزوَّدَ ممّـا كان يَجْمعه … إلاّ حَنُوطاً وما واراه من خِرَقِ[4]

وغيرَ نفحـةِ أعـوادٍ تُشَبّ لـه … وقَـلَّ ذلـك مـن زادٍ لمُنطلِقِ

قال : فبكى عمر حتى اخضلَّتْ لحيتُه .

[هجا شجرة العبسي بشعر أجازه عليه الحجّاج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمَّد بن أبي طالب الديناريّ قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسيّ حاجةً فردَّه عنها ، فقال يهجوه : [من الطويل]

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبحتَ فارساً … تُعَدّ إذا عُـدَّ الفوارس من مُضَرْ

فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا … وبيِّن ليَ الجُرحَ الذي كان قد دَثَرْ

---

1 بالقول في الديوان : بالغيب ص 322 .

2 الأنق : الفرح والسرور .

3 غِرّا في الديوان : غدا ص 336 .

4 الحنوط : طيب يخلط للميت خاصّة .

وإصبُعكَ الوسطى عليــه شَهيدةٌ   وما ذاك إلاّ وَخزُها الثوبَ بالإبرِ

قال وكان يقال : إنّ شجرة كان خيّاطاً ، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال السواد . فلمّا قدم على الحجّاج قال له : يا شجرة ، أرِني إصبعَك أنظُرْ إليها ؛ قال : أصلح الله الأمير ، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صِفَة الأعشى ؛ فخجِل شجرة . فقال الحجّاج لحاجبه : مُرِ المُعْطِيَ أن يُعطيَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة ، إذا أتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشترِ عِرضَك منه .

[أسره الحجّاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمّد بن يزيد الأزْديّ قال حدَّثنا أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة قال المبرّد : أحسَب أنّ أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسيّ قالوا : لمّا أُتيَ الحجّاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً ، قال : الحمدُ لله الذي أمْكَن منك ، ألستَ القائلَ : [من الرجز]

لمّــا سَمَوْنــا للكَفُور الفَتّانْ   بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ[1]
سار بجَمْع كالقَطا من قَحْطان   ومن مَعَدّ قد أتــى ابن عَدْنانْ[2]
أمكن ربِّي من ثَقيف هَمْدان   يوماً إلى الليل يُسَلّي مــا كانْ
إنّ ثقيفــاً منهــم الكَذّابان   كَذّابُها الماضي وكــذّابٌ ثانْ

أولستَ القائل : [من مجزوء الكامل]

يا ابــنَ الأشجّ قَريــعِ كِنـ   ـدَةَ لا أُبــالي فيــك عَتْبا[3]
أنــتَ الرئيسُ ابــنُ الرئيـ   ـس وأنت أعلى الناس كعبا[4]
نُبِّئــتُ حَجّــاجَ بــن يــو   سفَ خَــرّ مِــن زَلَــقٍ فتبّا
فانهــضْ فُدِيــتَ لعلّــه   يجلــو بــك الرحمنُ كَرْبا
وابعــث عطيّــةَ في الخيــو   ل يَكُبُّهــنّ عليــه كَبّــا[5]

1 سفا : خفّ وأسرع وفي الديوان : إنّا سمونا ص 342 .
2 كالقطا في الديوان : كالدبي ص 342 .
3 الأشجّ : هو الأشعث بن قيس الكنديّ جدّ عبد الرحمن بن محمّد المعني في هذا الشعر ، وفي الديوان : لابن الأشج ص 312 . لا أُبالي في الديوان : لا أبيّن ص 312 . والقريع : السيّد .
4 الناس في الديوان : القوم ص 312 .
5 هو عطيّة بن عمرو العنبري ، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطيّة لا يلقى خيلاً إلاّ هزمها .

كلاّ يا عدوَّ الله ، بل عبد الرحمن بن الأَشعث هو الذي خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقي ما أحب ؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه ، فلم يبقَ أَحد في المجلس إلاّ أَهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه . فقال له الأَعشى : بل أَنا القائل أَيّها الأَمير : [من الطويل]

أَبـى اللهُ إلاّ أَن يتمـم نـورَه ... ويُطفىء نـارَ الفاسقين فتخمُدَا
ويُنزل ذُلاًّ بالعـراق وأَهلِـه ... كما نقضوا العهـدَ الوَثيق المؤكّدا
ومـا لبث الحجّاجُ أَن سَلّ سيفَه ... علينـا فولَّـى جمعُنـا وتبدّدا[1]
ومـا زاحَـف الحجّاجُ إلاّ رأَيتَه ... حساماً مُلَقًّى للحروب مُعَوَّدا[2]
فكيـف رأَيـتَ الله فرّق جمعَهم ... ومزَّقهم عُـرْضَ البـلاد وشَرّدا
بما نكَثـوا مـن بَيْعة بعـد بيعة ... إذا ضَمِنوها اليومَ خاسُوا بها غدا[3]
وما أَحدثـوا من بِدعة وعَظيمة ... من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا
ولّما دَلَفْنا لابـن يوسفَ ضِلَّةً ... وأَبـرق منّـا العارضان وأَرعدا[4]
قطعنا إليـه الخندقـين وإنّمـا ... قطعنا وأَفضينا إلى الموت مُرْصَدا[5]
فصادَمَنا الحجّـاجُ دون صفوفنا ... كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا[6]
بجنـدِ أَميرِ المؤمنـينَ وخيلِـه ... وسلطانِـهِ أَمسى مُعانـاً مؤيَّدا[7]
ليهنـىءْ أَميرَ المؤمنـين ظهورُه ... على أُمّةٍ كانـوا بُغـاةً وحُسَّدا[8]
وجدنـا بنـي مـروانَ خيرَ أَئمّةٍ ... وأَعظمَ هذا الخَلْقِ حلماً وسُؤدَدا[9]
وخيرَ قـريشٍ في قريشٍ أَرُومَةً ... وأَكرَمهـم إلاّ النبـيَّ محمَّـدا
إذا مـا تدبَّرنـا عواقـبَ أَمرنا ... وجدنـا أَميرَ المؤمنـين المُسَدَّدا
سيغلِبُ قومـاً غالبوا اللهَ جَهْرةً ... وإن كايـدوه كان أَقوى وأَكيدا

---

1 وتبدّدا في ل : متبدّدا .
2 حساماً في الديوان : معلناً ص 320 .
3 نكثوا في الديوان : وما نكثوا ص 320 . خاس : غدر ونكث .
4 في الديوان : ولّما زحفنا لابن يوسف عذوة ص 320 .
5 مُرْصدا : مُترقّبا .
6 فصادمنا في الديوان : فكافحنا ص 320 .
7 بجند في الديوان : جُنود ص 320 . معانا : في الديوان : عزيزاً ص 320 .
8 ليهنىءْ في الديوان : فيهني ص 321 .
9 وأعظم في الديوان : أَفضل ص 321 . الخلق في الديوان : الناس ص 321 .

كذاك يُضِلُّ اللهُ مَن كان قلبُه ضعيفاً ومن والى النفاقَ وأَلْحدا[1]
فقد تركوا الأَموال والأَهلَ خلفَهم وبيضاً عليهنَّ الجلابيبُ خُرّدا
يناديِنهم مستعبراتٍ إليهمُ ويُذْرينَ دمعاً في الخدودِ وإثْمِدا
وإلاّ تَناوَلْهُنّ منك برحمة يكنَّ سَبايا والبُعولةُ أَعبُدا
تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ فقد تركوا أمرَ السفاهةِ والرَّدى
لعلّهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودُّدا
لقد شَمْتَ يا ابن الأَشعث العامَ مصرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطير أَسْعُدا[2]
كما شاءم اللهُ النُّجَيْرَ وأَهلَه بجَدِّك مَنْ قد كان أَشقى وأَنكدا[3]

فقال مَن حضر من أهل الشام : قد أَحسَن أَيّها الأَمير ، فخلِّ سبيلَه ؛ فقال : أَتظنّون أنّه أراد المدح ؟ لا والله ؛ لكنّه قال هذا أَسفاً لغلبتكم إيّاه وأَراد به أن يحرّض أَصحابه . ثم أَقبل عليه فقال له : أَظننتَ يا عدوَّ الله أَنّك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ ؟ أَلستَ القائل ، ويحك ! : [من الكامل]

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمّدٍ وسعيدِ
بين الأَغرِّ وبين قيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولودِ[4]

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أَولستَ القائل : [من الكامل]

وأَصابني قومٌ وكنتُ أُصيبهم فاليوم أَصبِر للزمانِ وأَعرفُ[5]

كذبتَ والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده : [من الكامل]

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكلّ غَيابة ستكشَّفُ[6]

أَما والله لتكوننَّ نكبةٌ لا تنكشفُ غَيابتُها عنكَ أَبداً ، يا حَرَسيّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

---

1 ضعيفاً في الديوان : مريضاً ص 321 .
2 شمْتَ : من شأمت بتسهيل الهمزة وفي الديوان :
لقد شأم المصرين فرخ محمد بحقّ وما لاقى من الطير أسعدا
3 النُّجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .
4 الأغرّ في الديوان : الأشجّ ص 323 .
5 فاليوم في الديوان : فالآن ص 335 .
6 غيابة في الديوان : مصيبة ص 335 .

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسيّ أنّ الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجّاج في تلك الحروب ، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه ، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلّكم أنكَرتم ما صنعتُ ؛ قالوا : أوَليس هذا موضعَ نَكير ؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفَرَقاً ، ولكنّكم سترتموه وأظهرتُه ؛ فحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجِراح والقتلى ، وانهزم أهل الشام يومئذٍ ، ثم عاودوهم من غدٍ وقد نكأتْهم الحرب ؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشام ، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كَلَدة اليَشْكريّ أنّه فعلها في هذه الوقعة ، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْباني في أخبار أبي كَلَدة ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب .

[76] ـ أخبار أَحمد النَّصْبي ونسبه

[نسبه ، وهو مغنٍ طنبوري كان ينادم عبيد الله بن زياد]

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأَوّلُ مَن غنَّى بها وعنه أُخِذ النَّصْب[1] في الغناء هو أحمد بن أُسامة الهَمْداني ، من رَهْط الأَعشى الأدنين . ولم أَجد نسبَه متّصلاً فأَذكرَه . وكان يغنّي بالطُّنْبور ومرتجلاً ، ويقال إنّه أَوّل مَن غنّى بالطنبور في الإسلام . وكان ، فيما يُقال ، ينادم عُبَيد الله بن زياد سرّاً ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنة لم يَلْحَقها أَحد من الطُّنبوريّين ولا كثير ممّن يغنّي بالعود .

[حديث جحظة عنه]

وذكَره جَحْظة في كتاب الطُّنْبوريّين فأَتى من ذكره بشيء ليس من جنس أَخباره ولا زمانه ، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه عفا الله عنّا وعنه ، في هذا الكتاب أَن يَثْلِب جميعَ مَن ذكره من أَهل صناعته بأَقبحِ ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأَنّ مَن انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدِّمي أَهلِها ، كان الأَجملَ به أَن يذكر محاسنَ أَخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أَن يثلِبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أَخبارُ أَحمد النَّصْبيّ ، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أَحمد النَّصبيّ أَوّلُ مَن غنَّى الأَنصاب على الطنبور وأَظهرها وسيَّرها ؛ ولم يخدمْ خليفة ولا كان له شعر ولا أَدب .

[كان بخيلاً مرابياً ومات بفالوذجة حارّة]

وحدَّثني جماعةٌ من الكوفيّين أَنّه لم يكن بالكوفة أَبخلُ منه مع يساره ، وأَنّه كان يُقْرِض الناس بعِينةٍ[2] ، وأَنّه اغتَصّ في دعوة دُعي إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمَعت أَحشاءه فمات . وهذا كلُّه باطل . أَمّا الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأَوّل وخفيف الثقيل والثقيل الثاني ، ما ليس لغيره مثلُها . منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله : [من الرمل]

حيِّيا خولةَ منّي بالسلامِ

ومنها : [من الطويل]

سَلَبتَ الجواري حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النحرِ مُذْهَبا

---

1 النصب : ضرب من الغناء أرقّ من الحداء .

2 عِينة : الرِّبا .

وهـو مـن الثقيل الثاني ، والشعر للعُدَيْـل بن الفُـرْخ[1] ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره .

ومنها : [من السريع]

يـا أيُّها القلبُ المطيعُ الهـوى أنَّى اعتراكَ الطّـربُ النازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني ، وأصوات كثيرةٌ نادرة تدلّ على تقدّمه .

وأمّا ما وصَفه من بخله وقَرْضِهِ للناس بالرِّبا وموتِه من فالوذجة حارّة أكلها ، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيّين حدَّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأنّ أحمد النَّصْبيّ خرج مع أعشى هَمْدان وكان قرابته وإلفَه في عسكرِ ابن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثّقاتُ من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يُذكر في جملة أخباره .

[اتّصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وذكره العَنزيّ في أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال :

كان أحمد النَّصْبيّ مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنعته في شعره : [من الرمل]

حيِّيا خولـةَ منِّي بالسلامِ

و : [من الكامل]

لِمَن الظّعائن سيرُهنّ ترَجُّفُ

و : [من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ، وكان منزلُ سَلِيم ساباط[2] المدائن ، أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبيّ خرجا في بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة وقَضِيم[3] ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشرابَ فأنْعَما به وطلباه

1 العديل بن الفرخ هو العديل بن الفرخ العجليّ ، ولقبه العبّاب ، وكان العبّاب كلباً له ، وهو من رهط أبي النجم (العجليّ) . وكان هجا الحجّاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 413 ، وفي الاشتقاق 208 والخزانة 2 : 367–368 .

2 ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

3 القضيم : شعير الدابة .

فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النَّصْبيّ للأعشى : قُل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغنّيَ فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه : [من السريع]

يـا أيُّها القلبُ المطيع الهوى أنّى اعتراك الطَّـرَبُ النازحُ
تذكُـر جُمْـلاً فإذا ما نأتْ طــار شَعاعــاً قلبُكَ الطامحُ
هَـلاّ تناهيـتَ وكنتَ امرأً يزجُـرك المُرشِد والنّاصحُ
ما لـك لا تتركُ جهلَ الصِّبا وقـد عـلاك الشَّمَط الواضحُ
فصار مَــن ينهاكَ عن حبّها لم تَــرَ إلاّ أنّــه كاشحُ
يا جُمْل مـا حُبّي لكم زائلٌ عنّي ولا عــن كَبِدي نازحُ[1]
حُمّلــت وُدّاً لكمُ خالصاً جِـدّاً إذا مـا هـزَل المازحُ
ثــم لقــد طــال طِلابيكُــم أسعى وخيرُ العمــلِ النّاجحُ
إنّي توسَّمت امرأً ماجـداً يصــدُق في مِدْحتـه المادحُ
ذؤابـــةَ العنبرِ فاخترتُـــه والمــرء قــد يُنْعِشُه الصالحُ
أبْلَجَ بُهْلولاً وظنّــي بـــه أنّ ثنائــي عنــده رابحُ[2]
سَلِيمُ مــا أنــتَ بنِكْسٍ ولا ذمــك لي غـــادٍ ولا رائحُ
أُعطيــتَ وُدّي وثنائــي معاً وخَلّــةٌ ميزانُهـــا راجـــحُ
أرعاك بالغيب وأهوى لك الـ ـرّشد وجَيْبي فاعلمنْ ناصحُ[3]
إنّي لِمَــن سالمتَ سِلمٌ ومَن عاديــتَ أُمْسي ولــه ناطحُ
في الرأس منــه وعــلى أنفه مــن نَقَماتــي مِيسَمٌ لائحُ
نِعْـم فتــى الحــيّ إذا ليلةٌ لم يُــورِ فيها زَنـدَهُ القادحُ
وراح بــالشَّوْل إلى أهلهــا مغبّــــرةً أذقانُهــــا كالحُ[4]
وهَبّــت الرِّيـحُ شآميّـــةً فانجَحَــــر القابسُ والنابحُ

1 نازح في ل : بارح .
2 أبلج في ل : أبيض . البهلول : السيّد الجامع لكلّ خير .
3 الجيب : القلب والصّدر .
4 الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها . الكالح : الأمر الشديد .

قـد علـم الحـيّ إذا أمْحلوا أنّـك رَفّـادٌ لهـم مـانحُ
في الليلة القـالي قِراهـا التي لا غابِـقٌ فيهـا ولا صابحُ
فالضيفُ معـروفٌ لـه حقُّه لـه عـلى أبوابكـم فاتحُ
والخيلُ قد تعلمُ يـومَ الوغى أنّكَ مـن جَمْرتهـا ناضحُ[1]

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَليم في السطح ، فسمعت الغناءَ ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إنّي سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لَمن هذا الشعر والغناء ؟ ومَن أنتما ؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبّح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني ، فانكبَّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُماني أنفسَكما ، وكِدْتُما أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسَيْن ، وقال : خلِّفا عندي ما كان من دوابّكما ، وارجعا من مَغْزاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم انصرفا ، فلمّا شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنّي أرى عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سَليم ثعلباً ؛ قال : لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية ، فوجدا سَليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أنّ الحجّاج طالبَ سَليماً بمال عظيم ، فلم يخرجُ منه حتى باع كلَّ ما يملكه ، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجّاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشرافِ أهل الكوفة ، إمّا أسْماءُ بنُ خارجةَ وإمّا بعض نظرائه ، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعرَه وصنع أحمد النَّصبيُّ لحنَه في سَليم

صوت

[من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيع الهوى أنّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكـرُ جُمْلاً فإذا مـا نأت طار شَعاعاً قلبُك الطامحُ

---

1 الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس وقيل : ألف . أو هي كلّ قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمّون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبرُ لقراع القبائل . الناضح : المدافع الرامي .

أُعْطِيتَ وِدِّي وثنائي معاً وخَلَّةً ميزانها راجحُ
إِنّي تخيَّرت امرأً ماجداً يصدُق في مِدْحته المادحُ
سَلِيم ما أَنت بنِكسٍ ولا ذَمُّك لي غادٍ ولا رائحُ
نِعْم فتى الحيّ إذا ليلةٌ لم يُورِ فيها زَنْدَه القادحُ
وراح بالشَّوْل إلى أهلها مُغْبَرَّةً أذقانُها كالِحُ
وهَبَّتِ الرِّيحُ شآميّةً فانجَحَر القابسُ والنابحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النَّصْبيّ ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لمالِكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

تَنَكَّر من سُعْدَى وأقفر من هندِ مُقامُهما بين الرَّغامين فالفردِ[1]
محلٌّ لسُعْدَى طالما سكنتْ به فأوحشَ ممّن كان يسكنه بَعْدي

الشعر لحمّاد الراوية . والغناء لعَبادِل ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه للهُذَليّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لعَبادِل بن عطيّة[2] .

1 الرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر . الفرد : موضعان يطلق عليهما الاسم نفسه .

2 ستَرِد ترجمته في هذا الجزء ص 71 .

[77] ـ أَخبار حمّاد الراوية ونسبه[1]

[نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيّامها]

هو حَمّاد بن مَيْسرة ، فيما ذكره الهَيْثم بن عَدِيّ ، وكان صاحبَه وراويتَه وأَعلمَ الناس به ، وزعم أنّه مولى [بني] شَيْبان . وذكر المَدائنيّ والقَحْذَميّ أنّه حمّاد بن سابور ، وكان من أَعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أميّة تقدّمه وتؤثره وتستزيره ، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسأَلونه عن أَيّام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ وعمّي وإسماعيل العَتَكِيّ قالوا حدَّثنا الرِّياشيّ قال : قال الأَصمعيّ : كان حَمّاد أَعلَم الناس إذا نَصَح . قال وقلت لحمّاد : ممّن أَنتم ؟ قال : كان أَبي من سَبْيِ سَلْمان بن رَبيعة ، فطرَحَتْنا سَلْمانُ لبني شَيْبان ، فولاؤنا لهم . قال : وكان أَبوه يُسمَّى مَيْسرة ، ويُكنى أَبا ليلى . قال العَتَكيّ في خبره : قال الرِّياشيّ : وكذلك ذكر الهَيثم بن عَدِيّ في أَمر حَمّاد .

[سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ ولَقيط[2] قالوا : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأنّي أَروي لكلّ شاعر تعرفه يا أَمير المؤمنين أَو سمعتَ به ، ثم أَروي لأَكثر منهم ممّن تعرف أَنّك لم تعرفْه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعراً قديماً ولا محدَثاً إلاّ ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هذا لعلمٌ وأَبيك كثير ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنّي أُنشِدك على كلّ حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأَمتحنك في هذا ، وأَمَره بالإنشاد ؛ فأَنشد الوليدَ حتى ضَجِر ، ثم وكّل به مَن استحلفه أَن يصدُقه عنه ويستوفيَ عليه ؛ فأَنشده أَلفين وتسعَمائة

1 حمّاد الراوية : انظر أخباره في معجم الأدباء 3 : 1201–1205 وفي التذكرة الحمدونية 3 : 55–56 ، طبقات ابن المعتزّ : 69 والمعارف 451 والفهرست : 104 ومراتب النحويين : 72 وطبقات الزبيدي 209 وأمالي المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر : 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر : 4 : 430 ومختصر ابن منظور : 70 : 244 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان : 2 : 352 وبغية الوعاة : 1 : 549 والخزانة : 4 : 129 .

2 هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب . كان شاعراً سيىء الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة .

قصيدة للجاهليّين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

[ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجِّم قال حدَّثني أبي قال حدَّثني إسحاق الموصليّ عن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة ، وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو بكر العامريّ عن الأَثْرَم[1] عن مَروان بن أبي حَفْصة قال : دخلتُ أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ والحسين بن مُطَير الأَسَديّ في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجلٌ عنده ، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : مَن هذا ؟ فقالوا : حَمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يديّ الوليدِ أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لُحنَة لَحّانة ؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا ابن أخي ، إنّي رجل أكلّم العامّة فأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعرُ كلّه إلاّ شعرَ ابن مُقْبِل ؛ فقلت له : نعم ، شعرَ ابن مُقبل ؛ قال : أَنشِدْ ، فأنشدتُه قوله : [من الطويل]

سلِ الدارَ من جَنْبيْ حِبِرٍّ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القَليب المُضَيَّحُ[2]

ثم جُزْتُ ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول !

فقال لي حمّاد : يا ابن أخي ، أنا أعلَم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا تقابلا .

[سأل الهيثم بن عديّ عن معنى شعر فعجز]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : قلت لحمّاد الراوية يوماً : أَلْقِ عليّ ما شئتَ من الشعر أفسّره لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قولِ ابن مُزاحِم الثُّماليّ : [من البسيط]

تَخوَّف السيرُ منهــا تامكاً قَرِداً كما تَخوّف عُـودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ ؟[3]

فلم أَدْرِ ما أَقول ؛ فقال : تخوَّف : تنقَّص . قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾ 47/16 أي على تنقُّص .

قال الهيثم : ما رأيتُ رجلاً أعلَمَ بكلام العرب من حَمّاد .

---

1 الأثرم : هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء العرب ، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين .

2 جنبي حِبِرّ فواهبٍ في ل : خبتي خبير فذاهب . المُضَيَّح : ماء لبني البكّاء .

3 التامك : السنام . والقرد : المتلبّد الصوف . والسّفن : الحديدة التي تُبرد بها القِسيّ .

[كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقرّ]

حدَّثني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدَّثني الكُرانيّ محمّد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدني الفرزدق وحمّادٌ الراوية حاضر : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السَّوْء لمّا رأى دماً بصاحبه يومـاً أحـال على الدمِ[1]

فقال له حمّاد : آنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومَن يعلم هذا غيرُك ! أفأردت أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ ورووْه لي لأنّك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك ! .

[كان هو وأبو عمرو كلّ منهما يقدم الآخر على نفسه]

حدَّثني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني الفَضْل قال حدَّثني ابن النَّطّاح قال حدَّثني أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال : ما سألت أبا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلاّ قدّمه على نفسه ، ولا سألتُ حَمّاداً عن أبي عمرو إلاّ قدّمه على نفسه .

[هو أحد الحمّادين الثلاثة]

حدَّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقَفيّ عن إبراهيم بن عُمَر [و] العامريّ قالا : كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد ، وحمّاد بن الزِّبْرِقان ، وحمّاد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنّهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً .

[كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه]

أخبرني الحسن بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مُطِيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حمّاد الراوية ، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حمّاد ، إنّك لَمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع ؛ فقال له مُطيع : ألا تبيعُ هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتّتسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَّك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنّما هي وديعة أو عارية ؛ فقال له مطيع : أمَا إنّه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل مَن يُخرِج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه ! قال مطيع : ما أظنّها عاريةً ولا وديعة ولكنّي أظنّها مرهونة عنده على مال ، وإلاّ فمن يُخرج مثلَ هذه من بيته ! فقال لهما حمّاد : قوما عنّي يا ابنَي الزانيتيْن واخرُجا من منزلي ، فشرٌّ منكما مَن يُدخلكما بيتَه .

1 أحال على الدم : أقبل عليه .

[كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدَّثني محمّد بن عبد الرحمن العَبْديّ عن حُميد بن محمّد الكُوفيّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشيّ عن محمّد بن أنس، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَديّ عن حَمّاد الراوية، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له.

قال حمّاد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أُميّة في أيّام يزيد، فلمّا مات يزيد وأفْضَت الخلافةُ إلى هشام خِفتُه، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلاّ لِمَن أثق به من إخواني سرّاً؛ فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطِيّان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حَمّاد، أجِب الأمير يوسفَ بن عمر، فقلت في نفسي: مِنْ هذا كنت أحذَر[1]، ثم قلت للشُّرَطِيَّيْنِ: هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع مَن لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل. فاستسلمتُ في أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلامَ، ورمى إليّ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أمّا بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حمّاد الراوية مَن يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعتَع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق». فأخذتُ الخمسمائة الدينار، ونظرتُ فإذا جمل مَرْحول، فوضعت رجلي في الغَرْز[2] وسرتُ اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام، فاستأذنتُ فأذن لي، فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[3] مفروشة بالرُّخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كلّ رخامتين قضيبُ ذهب، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثيابَ خَزٍّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، فسلّمتُ فردَّ عليّ، واستدناني فدنوت حتى قبّلتُ رجلَه، وإذا جاريتان لم أَرَ قبلهما مثلَهما، في أُذُنَيْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان؛ فقال لي: كيف أنت يا حمّاد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين؛ قال: أتدري فيم بعثتُ إليك؟ قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ مَنْ قاله؛ قلت: وما هو؟ فقال: [من الخفيف]

---

1 في ل: يرجع.

2 الغرز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب.

3 قوراء: واسعة.

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنــةٌ في يمينهــا إبريـــقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيّ بن زيد في قصيدة له ؛ قال : فأنشدْنيها ، فأَنشدتُه :

بكَــر العاذلــون في وَضَح الصبـ ـح يقولــون لي أَلا تستفيــقُ

ويلومون فيــك يــا ابنــةَ عبـدا لله والقلــبُ عنــدكم مَوْهــوقُ[1]

لست أَدري إذا أَكثروا العذلَ عندي أَعــدوٌّ يلومنــي أَو صديــقُ[2]

زانهــا حسنُهــا وفَرْعٌ عَمِيم وأَثيـــثٌ صَلْـتُ الجبـــين أَنيقُ

وثنايـــا مُفَلَّجــات عــذاب لا قِصارٌ تُــرى ولا هُنّ رُوقُ[3]

فدعَــوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنــةٌ في يمينهـــا إبريـــقُ

قدّمتْــه على عُقــار كعـين الـ ـدِّيك صَفَّى سُلافَهــا الرَّاووقُ

مُــزّة قبــل مزجهــا فإذا مــا مُزجــت لــذّ طعمَها مَن يذوقُ

وطفَــت فوقهــا فقاقيــعُ كالد رّ صِغــار يُثيرهـــا التَّصْفيقُ[4]

ثــم كان المِــزاجُ مــاءَ سمـــاء غيرَ مــا آجــنٍ ولا مَطْــروقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أَحسنتَ واللهِ يا حَمّاد ، يا جاريةُ اسقيه ، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أَعِد ، فأَعدتُ ، فاستخفّه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأُخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي . فقلت : إن سقتني الثالثةَ افتضحت ، فقال : سَلْ حوائجَك ، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ؛ قلت : إحدى الجاريتين ؛ فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتني شَرْبةً[5] سقطتُ معها ، فلم أَعقِل حتى أَصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عِدّة من الخدم مع كلّ واحد منهم بَدْرة ، فقال لي أَحدهم : أَميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها ، فأَخذتُها والجاريتين وانصرفت . هذا لفظ حَمّاد عن أَبيه . ولم يقل أَحمد بن عُبيد في خبره أنّه سقاه شيئاً ، ولكنّه ذكر أَنّه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لّما طلب إحداهما ، وأَنزله في دار ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أَعدَّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه ، وأَنّه أَقام عنده مدّة فوصل إليه مائةُ أَلف درهم ، وهذا هو

1 الموهوق : المشدود بالوهق : وهو الحبل المغار يرمى فيه أُنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

2 عندي في معجم الأدباء : فيها ، 1203/3 .

3 روق : طوال .

4 فقاقيع في ل : فواقع .

5 في ل : عشرة .

الصحيح ؛ لأنّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكِراً ، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقبُ عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ ، نِسْبته : [من الخفيف]

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون ما لــه لا يُفيقُ
ويلومون فيكِ يا ابنــةَ عبد الله والقلبُ عنــدكم مَوْهوقُ
ثم نادوا إلى الصَّبُوح فقامتْ قَيْنــةٌ في يمينهــا إبريقُ[1]
قدّمتْه على عُقــار كعين الدِّ يـك صفّى سُلافها الراووقُ

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ في صانعه ، نسَبه يحيى بن المكّي إلى معبد ، ونسبه الهشاميّ إلى حُنين . وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ رَمَلٌ ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل ، ذكر حَبَش أنّه لحُنَين .

[أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرّماً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال : قال حمّاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر : احمِلْ إليّ حماداً الراوية على ما أحَبّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلمّا أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يا دُكَين بن شَجَرة ، أعطه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودِّعاً ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفتَ من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ، فقلت : أصلح الله الأمير : «إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمْرة»[2] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخْراء[3] فاستأذنتُ فأذِن لي ، فإذا هو على سريرٍ ممهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال : أنشدْني : [من الكامل]

أمِــنَ المنــونِ وريْبِها تَتوجّعُ

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبْرة أكؤساً ، فسقاني ثلاث أكؤس خدَّرَتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يا معبد غنِّني : [من الهزج]

---

1 نادوا في ل : ثاروا .
2 مثل .
3 البخراء : ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

أَلا هــل جــاءَك الأَظعــا نُ إذ جــاوزن مُـطَّلَحــا

فغنّاه . ثم قال : غنِّني : [من الوافر]

أَتنسى إذ تودَّعنا سُلَيمــى بفـرع بَشامةٍ ، سُقِيَ البَشامُ[1]

فغنّى . ثم قال : غنِّني : [من البسيط]

جَــلا أُميّــة عنّــا كلَّ مَظْلِمــة سهلُ الحجابِ وأَوْفَى بالذي وَعَدا

فغنّاه . ثم قال : اسقني يا غلام بزُبّ فرعونَ ، فأَتاه بقدح معوَجٍّ فيهِ طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أَتاه الحاجب فقال : أَصلح الله أَمير المؤمنين ، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب ؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أَرَ أَحسن منه وجهاً في رجله فَدَع[2] ، فقال : يا سَبْرة اسقه كأساً ، فسقاه ، ثم قال له : غنِّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيتُ جَوار من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبذ إليه أَحد ثوبيه ، ثم قال : غنِّني : [من مجزوء الكامل]

طَــرَق الخيــالُ فمرحَبا أَلفــاً برؤيــة زينبَــا

فغضب معبد وقال : يا أَمير المؤمنين ، إنّا مُقْبلون إليك بأَقدارنا وأَسناننا ، وإنّك تتركنا بمَزْجر الكلب وأَقبلتَ على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أَبا عَبّاد ما جهلتُ قدرَك ولا سِنّك ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّياجِن من حرارة غنائه . فسأَلتُ عن الغلام ؟ فإذا هو ابن عائشة .

[كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأَنشده من شعر هفّان بن همام]

حدَّثني الحسن بن محمّد المادَرانيّ الكاتب قال حدَّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ ، وأَخبرني به هاشم بن محمّد عن الرياشي ، وليس خبره بتمام هذا ، قال : طلب المنصور حمّاداً الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سأَلهم عنه أنّه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[3] وعلى سوأته رأس دَسْتَجة[4] ، فقلت : أَجب أَمير المؤمنين . فما رأَيتُ رسالةً أَرفع ولا حالة أَوضع من تلك . فأَجاب ، فأَشخصتُه إليه . فلمّا مَثَل بين يديه ، قال له : أَنشدني شعرَ هِفّان بن هَمّام بن نَضْلة يرثي أَباه ؛ فأَنشده : [من الطويل]

---

1 البشام : شجر طيّب الريح والطعم يُستاك به .

2 فَدَع : عوج وميل في المفاصل كلّها خلقة أَو داء .

3 الإجّانة : آنية تغسل فيها الثياب .

4 الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

خليليّ عُوجا إنّها حاجةٌ لنا ... على قبر هَمّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتَغى ... جَداه إذا لم يَحمَدِ الأَرضَ رائدُ
كريم النَّثا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجَّى نَفْنفٌ متباعدُ[1]
إذا نازع القومَ الأَحاديثَ لم يكن ... عَيِيًّا ولا ثِقْلاً على مَن يقاعدُ
صبورٌ على العِلاّت يُصبح بطنُه ... خَميصاً وآتيه على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفِيرة ... بحُرِّين قد راحتْ عليه العوائدُ[2]
صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حوله ... ترائبَهنّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ

قال : فبكى أَبو جعفر حتى اخضلَّت لحيتُه ، ثم قال : هكذا كان أَخي أبو العبّاس رضي الله عنه .

[ذكره ابن إياس لابن الكرديّة فطلبه واستنشده فأنشده شعراً أغضبه فضربه]

أَخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان جعفر بنُ أَبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يَستخفُّ مُطيع بن إيّاس ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة ، فذكَر له حمّاداً الراوية ، وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أَيّامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأَتى مطيع حمّاداً فأَخبره بذلك وأَمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حمّاد : دعني فإنّ دولتي كانت مع بني أميّة ومالي عند هؤلاء خير ، فأَبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه ، فاستعار حمّاد سَواداً وسيفاً ثم أَتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلمّا دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأَثنى عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأَمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أَنشدْني ؛ فقال : لَمن أَيّها الأَمير ؟ أَلشاعر بعينه أَم لَمن حَضَر ؟ قال : بل أَنشدني لجَرير . قال حَمّاد : فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بَانَ الخليطُ برامتيْن فودَّعوا ... أَو كلّما اعترموا لبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأَنشدتُه إيّاه ، حتى انتهيتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا ... هلاَّ هَزِئتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد : فقال لي جعفر : أَعِد هذا البيت ، فأَعدته ؛ فقال : بَوْزع ، أَيُّ شيء هو ؟ فقلت : اسم امرأَة ؛ فقال : أَمرأَة اسمها بَوْزع ! هو بريء من الله ورسوله ونفيّ من العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزع إلاّ غُولا من الغِيلان ؛ تركتَني والله يا هذا لا أَنام الليلةَ من فزع

1 المزجّى : الضعيف . النفنف : الهوة بين الجبليْن .

2 حُرِّين : بلد قرب آمد .

بَوْزع ؛ يا غلمان ! قَفاه ؛ فصُفِعتُ واللهِ حتى لم أدرِ أين أنا ، ثم قال : جُرُّوا برجله : فجَرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً ، فتخرّق السواد وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى عليّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السّواد وجفنِ السيف ؛ فلمّا انصرفتُ أتاني مُطيع يتوجّع لي ؛ فقلت له : ألم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أُميّة ! .

[حديثه مع مأبون]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : بلغني أنّ رجلاً تحدّث في مجلس حمّاد الراوية فقال : بلغني أنّ المأبون له رحم كرحم المرأة ، قال : وكان الرجل يُرمى بهذا الداء فقال حمّاد لغلامه : اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ ، فإنّ خير العلم ما حُمل[1] عن أهله .

[كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبّة فأرسلها إليه]

قال : وكتب حمّاد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال : [من الخفيف]

إنّ لي حاجـــةً فرأيَك فيهـا ... لك نفسي فِدىً من الأوصابِ

وهي ليست ممّـا يبلّغها غيـ ... ـري ولا يستطيعها في كتابِ

غيرَ أنّي أقولها حـين ألقا ... ك رُوَيْداً أُسِرُّها في حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشْهَرني بشعرك ؛ فكتب إليه حمّاد: [من الخفيف]

إنّني عاشق لجُبّتــك الدَّكْـ ... ـناء عشقاً قد حال دون الشرابِ

فاكسُنيها فدتْك نفسي وأهلي ... أتباهَى بهـا على الأصحابِ

ولك الله والأمانــة أن أجـ ... ـعلهـا عمرَهـا أميرَ ثيابي

فبعث إليه بها . وقد رُويتْ هذه القصّة لُمطيع بن إياس .

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو يعقوب الخُزَيميّ[2] قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عَجْرَد وحمّاد الراوية ومعنا غلام أمردُ ، فنظر إليه حمّاد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلةَ على أن أدِبّ على هذا الغلام ؛ فقلت : شأنَك به : ثم نِمْنا ، فلم أشعُر بشيء إلاّ وحمّاد ينيكني ، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت في موضع الغلام ، فكرهت أن أتكلّم فينتبه الناس فأفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد ، فأخذت بيده فوضعتها

1 في ل : أُخذ .

2 الخزيمي : هو إسحاق بن حسّان يكنى أبا يعقوب .

على عيني العوراء ليعرفَني ؛ فقال : قد عرفتُ الآن ، فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبحٍ عظيم . قال : وما بَرِح علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل .

[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق : وأُهدى حمّاد إلى صديقٍ له غُلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاماً تتعلّم عليه كَظْم الغيظ .

[استهدى نبيذاً من صديق له فأجابه]

قال : واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذٍ تمريّ . فكتب إليه : لو عرفتَ في العدد أقلَّ من واحد ، وفي الألوان شرّاً من السواد ، لأَهديتَه إليّ .

[ردّ على مغنّيه أخطأت في شعر]

قال : وسمع مغنّيةً تغنّي : [من الخفيف]

عـــاد قلبي من الطويلة عاد[1]

فقال : وثمود ، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفرّق بينهما . والشعر : [من الخفيف]

عـــادَ قلبي من الطويلة عِيد

[أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثني أبو عثمان اللاحِقي ، وأخبرني به محمّد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن سَلاّم عن بشْر بن المفضَّل بن لاحِق قال : جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا ، هذا ليس لك ، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني . فذهب ثم عاد إليه فقال له : قد قلتُ فيك : [من الطويل]

سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه ... أأنتحلُ الأَشعـــارَ أم أَنا شاعرُ

أَلَـم تَـرَ حمّـاداً تقدَّم بطنُه ... وأُخّـر عنـه مـا تُجـنّ المآزرُ

فليس بــراءٍ خُصْيتيْه ولو جَثا ... لركبته ، مـا دام للزيت عاصرُ

فيا ليتــه أَمْسَى قعيـــدةَ بيتــه ... له بعــلُ صدقٍ كَوْمــه متواترُ[2]

فحمّاد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي الـ ... ـنّكاح وبئس المرء فيمن يفاخِرُ

فقال حمّاد : حسبُنا ، عافاك الله ، هذا المقدارُ وحسبُك ؛ قد علمنا أنّك شاعر وأنّك قائل

1 الطويلة : روضة بالصمّان .

2 الكوم : النكاح .

الشعر الأوّل وأجودَ منه ، وأُحبّ أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني ؛ فقال له : قد كنتَ غنيّاً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حمّاد يقول : أسمعتم أعجبَ ممّا جرَرْتُ على نفسي من البلاء ! .

[عاب شعراً لأبي الغول فهجاه]

حدَّثني الأَسَديّ أبو الحَسَن قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا أبو عبد الله الفَهْميّ قال : عاب حَمّاد الراوية شعراً لأبي الغُول فقال يهجوه : [من الكامل]

نِعم الفتى لـو كان يعرف ربَّه ... ويُقيمُ وقـتَ صلاتـه حمّادُ
هَدَلَتْ مشافرَه الدِّنان فأنفُه ... مثـل القَـدُوم يَسُنُّها الحدّادُ
وأبيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يـومَ الحساب سوادُ
لا يُعجبنّك بَـزُّه وثيابُـه ... إن اليهود تُـرى لهـا أجْلادُ
حَمّاد يا ضَبُعاً تَجُرّ جِعارَها ... أخْنى لهـا بالقريتَيـن جِرادُ[1]
سبعاً يلاعبهـا ابنهـا وبناتها ... ولهـا من الخرق الكبار وسادُ

قال معنى قوله : [من الكامل]

أخنى لهـا بالقريتين جرادُ[2]

هو مثل قول العرب للضّبعُ : خامِرِي[3] أُمَّ عامر ، أبْشِري بجرادٍ[4] عِظال وكَمَرِ رجال ؛ فإنّ الضبعَ تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنْعِظ ، فتَحْتَكّ به وتَحيض من الشهوة ، فيَثِبُ عليها الذئب حينئذٍ فتلِد منه السِّمْع ، وهو دابة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرى الأَزْدي . [من الرمل]

تضحَكُ الضَّبْع لقَتْلى هُذَيْـلٍ ... وتــرى الذئـبَ لها يَسْتهلّ[5]

تضحَك : تحيض .

[كان لصّاً ثم تاب وطلب الأدب والشعر]

وقال ابنُ النطّاح : كان حَمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص ، فنقَب ليلةً على رجل فأخَذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار ، فقرأه حمّاد

1 الجعار : جمع جَعْر ، والجَعْر : نجو كل ذات مخلب من السِّباع . وجعار : اسم الضبع لكثرة جعرها .
2 أخنى الجراد : كثر بيضه .
3 خامري : استتري .
4 الجراد العظال الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .
5 يستهلّ : يصيح ويستغوي الذئاب . اختلف المفسّرون حول تضحك ، وأغلبهم على أنّها تكشّرُ .

فاستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيّامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

[استنشده المهديّ أحسن أبيات في السكر ثم أجازه]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ على المهديّ فقال : أَنشِدْني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر ، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف ؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل : [من البسيط]

تَرى الزُّجاجَ ولم يُطْمَث يُطيف به ... كأنّه من دم الأجواف مُختضَبُ[1]

حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ

تَنْـزو إذا شجّها بالمـاء مازجُها ... نَزْوَ الجنادب في رَمْضاءَ تلتهبُ

راحوا وهم يحسَبون الأرضَ في فُلُك ... إن صُرِّعوا وقتَ الرّاحاتُ والرُّكَبُ

فقال لي : أحسنتَ وأمر لي بما شرَطه ووعدني به فأخذتُه .

[مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمّة أنّه شعره]

حدَّثني اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي عبيدُ الله قال حدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثني صالح بن سليمان قال : قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ ، وعند بلال ذو الرُّمَّة ، فأنشده حَمّادٌ شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذي الرُّمَّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّداً وليس له ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : لا أدري إلاّ أنّه لم يقله ؛ فلمّا قضى بلالٌ حوائجَ حَمّاد وأجازه ، قال له : إن لي إليكَ حاجةً ؛ قال : هي مقضيّةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ ؟ قال : لا ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ؛ قال : فَمن أينَ علم ذو الرمّة أنّه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلامَ أهلِ الجاهليّة من كلام أهل الإسلام .

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة]

قال صالح : وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعريّ يقول فيها : [من البسيط]

جَمَعْتَ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ... ومن تَميم ومن حَاء ومن حام

مُستحقِبـات رواياهـا جحافلَها ... يسمو بها أَشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال : قد علمتُ أنّ هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة ، وإلاّ فهل كان

---

1 يطمث هنا : يريد لم يمسّه إنسان .

يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دَعْها تذهب في الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ ، ووصَله .

[يرى المفضل الضَّبِّي أنّه أفسد شعر العرب بتخليطه ونحله شعره للقدماء]

أخبرني محمّد بن خلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخرّاز يقول سمعت ابن الأعرابيّ يقول سمعت المفضَّل الضَّبِّي يقول : قد سُلِّط على الشعر من حَمّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء في روايته أم يلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإنّ أهل العِلم يردّون مَن أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنّه رجل عالِم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله في شعره ، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالِم ناقد ، وأين ذلك ؟

[اجتمع مع المفضل الضَّبِّيّ عند المهديّ فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته]

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني السَّعِيديّ الراوية وأبو إيّاد[1] المؤدِّب ، وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنّه ، وحدَّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم[2] وحدَّثني به ابن غَزالة أيضاً واتّفقوا عليه : أنّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعيساباذ[3] ، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيّام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضَّل الضَّبّيّ الراوية فدخل ، فمكث مليّاً ثم خرج إلينا ومعه حَمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بَانَ في وجه حَمّادٍ الانكسارُ والغمّ ، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط ، ثم خرج حُسين الخادم معهما ، فقال يا معشر مَن حضر من أهل العلم : إنّ أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنّه قد وصل حَمّاداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقة وصحّة روايته ، فمَن أراد يسمع شعراً جيِّداً محدثاً فليسمع من حَمّاد ، ومَن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل ؛ فسألْنا عن السبب فأخبِرنا أنّ المهديّ قال للمفضل لمّا دعا به وحدَه : إنّي رأيتُ زُهَيرَ بن أبي سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال : [من السريع]

دَع ذا وعــدِّ القولَ في هَرِم

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمَر نفسَه بتركه ؟ فقال له المفضَّل : ما سمعتُ يا أمير

1 في ل : أبان .

2 لعلّه سعيد بن سلم الباهليّ أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبد الله بن مالك الخزاعي .

3 محلّة كانت شرقي بغداد كانت إقطاعاً لعيسى بن المهدي .

المؤمنين في هذا شيئاً إلاّ أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله ، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا ، أو كان مفكّراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضَّل ، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده : [من الكامل]

لِمَــن الديــارُ بقُنّــة الحَجْــر أَقْوَيْنَ مُــذْ حجَج ومُذْ دَهْرِ
قفــرَ بمُندَفَــع النحائت من ضَفْوَى أُولات الضّالِ والسِّدْرِ[1]
دَعْ ذا وعَــدِّ القولَ في هرم خيرِ الكهــول وسيِّد الحَضْرِ

قال : فأطرق المهديُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمّاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدّ من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكلّ يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنّه عن كلّ ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثّق منه . قال له : اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومَن أضافها إلى زُهير ؛ فأقرّ له حينئذٍ أنّه قائلُها ؛ فأمر فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

[سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعراً في الخمر وأجازه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : قال حَمّاد الراوية : أُرسل إليّ أميرُ الكوفة فقال لي : قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرني بحملك . فحُملت فقَدِمت عليه وهو في الصَّيد . فلّما رجع أُذِن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد[2] بالأَرْمَنيّ[3] أرضُه وحيطانُه ؛ فقال لي : أَنت حمّاد الراوية ؟ فقلت له : إنّ الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أَروي سبعمائة قصيدة أَوّلُ كلٍّ واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنّها لرواية ؛ ثم دعا بشراب فأَتته جارية بكأس وإبريق فصبَّت في الكأس ثم مزجتْه حتى رأيتُ له حَبابا ؛ فقال : أَنشدْني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أَمير المؤمنين ، هي كما قال عديّ بن زيد : [من الخفيف]

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولــون لي أَلا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت قَيْنــةٌ في يمينهــا إبريــقُ
قدّمتْه على سُلافٍ كريح الـــ ـمسك صفَّى سُلافَها الرَّاوُوقُ

1 النحائت : آبار في موضع معروف . ضَفْوَى : مكان دون المدينة .
2 المنجَّد : المزيَّن .
3 لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أُرمن بأذربيجان .

فتَرى فوقَهــا فقاقيــعَ كاليـا قوت يَجْري خلالَها التصفيق[1]

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكِر ؛ ثم قام فتناول مِرفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : مَن يَشتري لحومَ البقر ؟ ثم قال لي : يا حمّاد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه .

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حدَّثني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ[2] عن أبي عُبيدة قال : قال خَلَف : كنت آخذ من حَمّاد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول ، فيقبل ذلك منّي ويدخله في أشعارها . وكان فيه حمق .

[أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمّه فغضب]

أخبرني محمّد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدَّثني المِسْوَر العَنزيّ ، وكان من رُواة العرب وكان أسنَّ من سِماك بن حَرْب ، [عن حمّاد] قال : دخلتُ على زياد فقال لي : أنشدْني ؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيّها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

بكَرتْ سُميّةُ غُــدْوةً أجمالُها

قال : فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ؛ فقاموا ؛ ثم لم أعُد والله بعدها إليه . قال حَمّاد : فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أنشدَه لئلاّ يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

[سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : لِمَ سُمّيتَ الراوية ؟ وما بلغَ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً ، أنا أنشدك على كلّ حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ؛ هاتِ ، فاندفع يُنشد حتى ملَّ الوليد ، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال ؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه .

[أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه واستنشده شعراً في الخمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحُسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال حمّاد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار ، وأمر يوسفَ بن

---

1 فقاقيع : في ل : فواقع .

2 دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة . ودماذ لقب كان يُنبزُ به .

عمر بحملي إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلاّ عن طرفَيْه قريش وثَقيف ، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف . فلمّا قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَليّ ، فأنشدته منها ما استحسنه ؛ ثم قال : أنشدني في الشراب ، وعنده وجوه من أهل الشام ، فأنشدته : [من مجزوء الخفيف]

اصْبَحِ القــومَ قهوةً   في أباريــق تُحتذى

مــن كُميتٍ مُدامــةٍ   حبّـذا تلــك حبّـذا

يترك الأُذْنَ شربُهــا   أرْجُوانــاً بهــا خُذا

فقال : أعدْها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم ، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا ؛ قال : ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان ، فما أيقظَنا إلاّ حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمني ويقول : فعَل الله بك وفعل ، أنت الذي صنعت بنا هذا .

[أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعاه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسّان دَماذ قال حدَّثني أبو عُبيدة قال حدَّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمَّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدّه الطِّرِمَّاح قال : أنشدتُ حَمَّاداً الراوية في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظَهم . قَوْلي : [من الكامل]

بَانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدَّدُوا[1]

وهي ستّون بيْتاً ، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ؛ قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ؛ فقلت له : وَيْحك ! إنّ هذا الشعر قلته منذ أيّام ما اطّلع عليه أحد ؛ قال : قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلاّ فعَليّ وعَلَيّ ؛ فقلتُ : لله عليّ حِجّة حافياً راجلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً ؛ فأخذ قبضةً من حَصى المسجد وقال : لله عليّ بكلّ حَصاة من هذا الحصى مائةُ حِجّة إن كنتُ أبالي ؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفتُ . قال دَماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعيّ يُنشدان بيتَي الطِّرِمَّاح في هذه القصيدة وهما : [من الكامل]

مُجتاب حُلّـة بُرْجدٍ لسَراته   قِدَداً وأخلَفَ ما سواه البُرجدُ[2]

يبـدو وتُضمره البـلاد كأنّـه   سَيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناسِ في هذين [البيتين] .

---

1 السُّحْرَة : السّحر الأعلى أيّ أوّل السحر .

2 هذان البيتان في وصف ثور . اجتاب القميص : لبسه . البرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء غليظ ، أو كساء مخطّط يصلح للخباء . سراته : ظهره .

[78] ـ أَخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

هو عَبادِل بن عطيّة مولى قريش ، مَكّيّ ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِياطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ظريفاً ، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى الملوك من بني أُميّة كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ هو فوقها . ويقال إنّه كان مقبولَ الشهادة .

[صفته ، وكان يغنّي مشيخة قريش وله صنعة كثيرة]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدَّثنا حَمّاد عن ابن أَبي جَناح قال : كان عَبادِل بن عطيّة سَرِيّاً نبيلاً نظيفاً[1] ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أَحداثها ، فإذا أَرادوا الغناء منه غنّى فأَحسن وأَطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها : [من البسيط]

تقـول يا عَمَّتا كُفّي جوانبَه ... وَيْلي بَلِيتُ وأَبْلى جِيديَ الشَّعَرُ

ومنها : [من المتقارب]

أَمِــن حَـذَرِ البين مـا ترقُدُ ... ودمعُك يجـري فما يَجمُدُ

ومنها : [من الكامل]

إنّي استحيتُكَ أَن أَفوه بحاجتي ... فإذا قــرأتَ صحيفتي فتفهّمِ

ومنها : [من البسيط]

قُولا لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ ... يَهْوَى هواكِ وما جَنّبتِه اجتَنبا

ومنها : [من الطويل]

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِي لديكمُ ... حلالاً بلا ذَنبٍ وقتلي محرَّمُ

[قال] : وكانوا يقولون له : أَلا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأَبي أَنتم ، إنّما أَنْحته من صخرٍ ، ومَنْ أَكْثَر أَرْذل .

---

1 في ل : ظريفاً .

نسبة هذه الأَصوات

صوت

[من المتقارب]

أَمِن حَـذَرِ البَيْن مـا ترقـدُ ودمعُك يجري فمـا يجمُدُ
دعاني إلى الحَيْن فاقتادني فـؤادٌ إلى شِقْوتي يَعْمِدُ
فلـو أَنّ قلبي صحا وارْعَوى لكان لـه عنكـمُ مَقْعَدُ
يَبيـدُ الزّمـانُ وحُبّي لكم يَزيـد خَبـالاً ومـا يَنفَدُ

الغناء لعَبادل ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة والوسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي استحيتُكَ أَن أَفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتـي فتفهّمِ
وعليكَ عهـدُ الله إن أنبأتَـه أَهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

هكذا قال ابن هَرْمة ، والمغنّون يغنّونه : [من الكامل]

وعليكَ عهـدُ الله إن أَخبرتَه أَحـداً وإن أَظهرتـه بتكلُّمِ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لعَبادِل .

[طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمراً فوشى به إلى الوالي ففرّ هو وصحبه]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني هـارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني عبد الله بن محمّد بن إسماعيـل الجَعْفَريّ عن أَبيه : أَنّ حسن بن حسن بن علـيّ كان صاحـبَ شراب ، وفيـه يقـول ابنُ هَرْمة : [من الكامل]

إنّي استحيتُك أَن أَفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهّمِ
وعليك عهـد الله إن أَنبأتَه أَحـداً ولا أَظهرتَـه بتكلُّمِ

قال عبدُ الله بن محمّد الجَعْفَريّ : وكان ابن هرمة كما حدَّثني أَبي يشرب هو وأَصحابٌ له بشَرَف[1] السَّيالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يُقال لها سَمُرَةُ جرانة فنفِدَ شرابُهم ؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً ، وكتب إليه بهذين البيتين . فلمّا قرأَ حسنٌ رقعتَه قال : وأَنا عليَّ عهدُ الله إن لم أُخبر به عامل السَّيالة ، أَمِنّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً ؟ وكتب إلى عامل

---

1 شرف السّيالة : منزل بين ملل والرّوحاء .

السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته ، فقال له : إنّ ابنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة ، فاخرج فخُذْهم ؛ فخرج إليه العامل بأهل السيّالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَباً ، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن : [من الوافر]

كتبتُ إليكَ أَسْتَهدِي نبيذاً وأُدْلِي بالجِوار وبالحقوقِ
فخبَّرتَ الأميرَ بذاك غَدْراً وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[1]

ومنها : [من الطويل]

صوت

علامَ تَرَيْن اليومَ قَتْلي لديكمُ حلالاً بلا ذنب وقتلي مُحرَّمُ
لكِ النفسُ ما عاشت وِقاءٌ من الرَّدى ونحن لكم فيما تَجنَّبتِ أَظلمُ

وأمّا صنعته في : [من البسيط]

قولا لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ

فإنّ الشعر لَمسْعَدة بن البَخْتَريّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفْرة . والغناء لعَبادِل . وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأنّ نائلة[2] التي عُنِيَتْ بهذا الشعر هي بنت المَيْلاء ، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلَحت له .

ومنها : [من البسيط]

صوت

تقول يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَه وَيْلي بَلِيتُ وأَبْلى جِيدِيَ الشَّعَرُ
مثلُ الأَساوِد قد أَعيا مَواشطَه تَضِلُّ فيه مَداريها وتنكسرُ[3]
فإن نشرْتَ على عَمْدٍ ذوائبَها أَبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان وإلى الغَرِيض وإلى عَبادل أيضاً .

---

1 الموق : الحمق .

2 نائلة : هي بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شرط العراق من قبل الحجّاج .

3 الأساود : الحيّات .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلةً   من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ[1]
يكاد بابُك من عِلْم بصاحبه   من دون بَوّابه للناس يَنْدَلِقُ[2]

[شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسماعيل الثقفيّ]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنّ الشعر لطُرَيح . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّه لابن هَرْمة . والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها . فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ومن ذكر أنّها لطُرَيح ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد . والصحيح من القولين أنّ البيتَ الأوّل من البيتين لطُرَيح والثاني لابن هَرْمة . فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة ، يقول في تشبيبها : [من البسيط]

تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأَرحُلِها   ألحقَّ أنّكَ منّا اليوم منطلقُ ؟
قلتُ نعمْ فاكظِمي قالت وما جَلَدِي   ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترقُ
فقلت إن أَحْيَ لا أُطْوِل بِعادَكُم   وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ[3]
فارقتُها لا فؤادي من تذكُرها   سالي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقُ
فاضت على إثْرهم عيناكَ دمعُهما   كما تَتابَع يجري اللؤلؤ النَّسَقُ

صوت

[من البسيط]

فاستبقِ عينك لا يُودِي البكاءُ بها   واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبقُ
ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ   ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو ، يقول فيها في مدح

1 ليست في ل : وما . مسجّلة : مبذولة أو مرسلة .
2 اندلاق الباب : انفتاحه سريعاً .
3 غَلِقَ الرّهن غلقاً : استحقّه المرتهن .

الوليد : [من البسيط]

وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُسْجَلة من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختَصصتَ بها وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلَقوا
قوم همُ شَرَف الدنيا وسُودَدُها صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رَفَعُوا أو عاقدوا ضَمِنوا أو حَدَّثوا صدَقوا[1]

وأمّا قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومِنْ أبي أحمد[2] رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع . ولكنّه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعلّه لم يتفقّد ذلك ، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله .

[ابنُ هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعبّاس بن الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ، وحدَّثني به وَكيع قال حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك عن حمّاد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال : قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً لا يحبّ أن يُعطِي أحداً شيئاً ، ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة ، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان : [من البسيط]

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ
يا آبيَ المدح مِنْ قول يُحبِّره ذو نِيقة في حواشي شعره أنَقُ[3]
إنّك والمدحَ كالعذراء يُعجبها مسُّ الرجال ويَثني قلبَها الفَرَقُ
لكنْ بمَدْيَنَ من مفضى سُوَيمرةٍ مَن لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُقُ[4]
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

يعني عبد الواحد بنَ سليمان :

لا يستقرّ ولا تخفى علامته إذا القَنا شالَ في أطرافها الحَرَقُ[5]

---

1 ضمنوا في ل : أحكموا .
2 هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم من شيوخ أبي الفرج .
3 النيقة : اسم من التنوّق . يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ . الأنق : الروعة والحسن .
4 مدْين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام ، وسويمرة : موضع في نواحي المدينة .
5 شال : ارتفع . والحرق : لهب النّار .

في يـومٍ لا مـالَ عند المرء ينفعه إلاّ السِّنانُ وإلاّ الـرمح والدَّرَقُ

يَطعن بـالرمح أحيانـاً ويضربهم بالسيف ثـم يُدانِيهـم فيَعتنقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعاً ، فإنّهما سبقا إليه . قال مُهلهل وهو أقدمهما : [من الخفيف]

أنْبَضوا مَعْجِسَ القِسيّ وأَبرقـ ـنا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولاَ[1]

يعني أنّهم لمّا أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتَضوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها .

وقال زهير وهو أشرح من الأوّل : [من البسيط]

يَطعنُهم مـا ارتَمَوْا حتى إذا اطّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة : [من البسيط]

يكاد بأبك من جود ومن كرم من دون بَوّابه للنـاس يَنْدلقُ

ويُروى : «إذا أطاف به الجادون» . و«العافون» أيضاً . ويروى : «ينبلق» .

إنّي لأطْوِي رجـالاً أن أزورَهمُ وفيهمُ عَكَـر الأنعـامِ والوَرَقُ[2]

طيَّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ فيها المَعاوِز في التفتيش والخِرَقُ[3]

وأترك الثوبَ يوماً وهْو ذو سَعة وألْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَقُ

إكـرامَ نفسي وأنّي لا يوافقني ولو ظَمِئتُ فَحُمتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ[4]

قال هارون[5] بن الزيّات في خبره : فلمّا قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ، فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّية من ثيابه ، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة ، وسأله عمّا يكفيه في كلّ سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَةٍ ، وقال له : هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا ، واقتطعه لنفسه وأنِس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً .

---

1 أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . المعْجِس : مقبض القوس . أبرق الرجل : لمع بسيفه .

2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، والورق : المال من الإبل والغنم .

3 المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز وفي ل : العواوير .

4 الرنق : الكدر .

5 هو هارون بن محمّد بن عبد الملك .

[مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضي عنه بشفاعة عبد الله بن الحسن]

فلمّا عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة ، تصدّى للوالي مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل[1] عليه بعبد الله بن الحسن [بن الحسن] ، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبّه .

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشيّ وخبره أتم قال الرياشيّ حدَّثني أبو سَلَمة الغِفّاريّ قال قال ابن رُبَيْح راوية ابن هرمة قال حدَّثني ابن هرمة قال : أوّل مَن رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤونتي . فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيرُه مكانَه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي شيئاً كما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ ، فأُخبرَ أنّي مدحتُ الذي عُزل به ، فأمر بي فَحُجبت عنه ، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ ، فلم أَدَع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلاّ سألته أن يشفعَ لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلمّا أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه وعليهم فقلت : يا ابن رسول الله ، إنّ هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدحَ غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعاني الشَّرَه والكَدّ إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصّتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أنّ عبد الله بن حسن لمّا دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كلّ حاجة لك مقضيّة إلاّ ابنَ هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فأفعل ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعلَ ؛ قال ائتوا به ؛ فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[2] ثم وثب مُغضَباً وتجوّزتُ في الإنشاد ثم لَحِقتُه فقلت له : جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ؛ فقال : ولكن لا جزاك اللهُ خيراً يا ماصّ

---

1 تحمّل بفلان على فلان : تشفّع به إليه .

2 الرزّ : الصوت .

بَظْر أمه ، أتقول لابن مروان : [من الوافر]

وكانَ أبــوك قادمةَ الجَناحِ

بحضرتي وأنا ابنُ رسول الله ﷺ ، وابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت : جعلني الله فداك ، إني قلت قولاً أخدَعُه به طلباً لدنياه ، ووالله ما قِسْت بكم أحداً قطُّ . أفلم تسمعني قد قلتُ فيها : [من الوافر]

وبعضُ القول يذهبُ بالرياحِ

فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله ، ما أظرفكَ ! .

[حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً ، وأوّلُها : [من الوافر]

صَرَمتَ حبائلاً من حبّ سَلْمَى ... لهندٍ مـا عَمَـدتَ لُمستراحِ
فإنّك إن تُقِم لا تلـقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي
يظَـلّ نهـارَه يَهْـذِي بهند ... ويـأرَق ليلَـه حتـى الصباحِ
أعبـدَ الواحـد المحمودَ إنّي ... أغَصُّ حـذارَ سخطكَ بالقَراحِ
فشَلَّتْ رَاحَتايَ وجال مُهْري ... فألقـاني بمُشتجَـر الرماحِ
وأقعدني الزمـانُ فبتّ صِفْراً ... مـن المـال المُعـزَب والمُراحِ
إذا فَخّمـتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي
كأنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضِلن عن النكاحِ
فإن أكُ قـد هفوتُ إلى أمير ... فعَـنْ غير التطـوّع والسماحِ
ولكـنْ سَقْطةٌ عِيبتْ علينـا ... وبعضُ القول يذهب في الرياحِ
لعمـرك إنّني وبَنـي عَدِيٍّ ... ومَنْ يهوى رشادي أو صلاحي[1]
إذا لم تـرضَ عنّي أو تَصِلْني ... لفـي حَيْـن أعالجـه مُتاحِ
وإنّي إن حططتُ إليك رحلي ... بغربيّ الشَّراة لـذو ارتياحِ[2]

---

1 بنو عديّ : هم قوم ابن هرمة .

2 الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى ... ولم تبخل بناجزة السَّراحِ
وجَدنا غالباً خُلقتْ جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ
إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرساً ... وكان سلاحَه دون السلاحِ
فإنّ سلاحَك المعروفُ حتى ... تفوزَ بعِرْض ذي شيَمٍ صِحاحِ

[سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قلت لابن هرمة : أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به أحداً غيرَه فتقول فيه هذا البيت : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً[1] ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

ثم تقول فيها :

أعبدَ الواحد الميمون إنّي ... أغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَراحِ

فبأيّ شيء استوجب ذلك منك ؟ فقال : إنّي أخبرك بالقصّة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحمة[2] بالمدينة ، فاستنهضتني بنتُ عمّي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنّه ليس عندي ما يُقِلّ[3] جناحي ؛ فقالت : أنا أنهضك بما أمكنني ، وكانت عندي نابٌ لي فنهضتُ عليها نُهجِّد النوّام ونؤذي السمّار ، وليس من منزل أنزله إلاّ قال الناس : ابن هرمة ! حتى دَفَعتُ[4] إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنّه البدر ، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين ، وتأمّلته فإذا هو عبد الواحد ، فقمتُ فدنوتُ منه وسلّمت عليه ؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلت لَبّيك ، بأبي أنت وأمّي ! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه ؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسلني بأبي أنت وأمّي ، فإنّ الدَّهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرَك ؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحبّ إن شاء الله . فوالله إنّي لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنّهم الأشْطان ، فسلّموا عليه ، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى البيت ثم

1 كانت في ل : خلقت .
2 القحمة : السنة الشديدة والقحط .
3 في ل : يصل .
4 في ل : أويت .

رجع ، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى ، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[1] يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد ؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : ادْنُ يا أَبا إسحاق ، فإنّي أَعلم أنّك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك ، فخُذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلاّ من أَشداق عيالنا ؛ ودفع إليّ أَلفَ دينار ، وقال لي : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك ؛ فقمت إلى الباب ، فلمّا نظرتُ إلى ناقتي ضِقتُ[2] ؛ فقال لي : تعال ، ما أُرى هذه مُبلغتَك ، يا غلامُ ، قَدِّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجملِ أشدَّ سروراً منّي بكلّ ما نِلْته ؛ فهل تلومني أَن أَغصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح ؟ ووالله ما أَنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً .

[مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أُميّة ثم أكرمه]

أَخبرني محمّد بن خلف وَكيع قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدَّثني عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ قال حدَّثني محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين ﷺ قال : دخلت مع أَبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان ، فلمّا اجتمع الناس قام ابنُ هَرْمة فقال : يا أَمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، شاعرك وصنيعتك إن رأَيت أَن تأْذَنَ لي في الإنشاد ؛ قال هاتِ ؛ فأَنشده قولَه : [من الطويل]

سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ[3]

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سريره ... إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذي آمنتَ آمنةُ الرَّدى ... وأُمُّ الذي خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

فقال له المنصور : أَمَا لقد رأَيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جَناحاً ... وكان أَبوك قادمةَ الجَناحِ

قال : فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أَنت رجل شاعر طالبُ خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أَمر لك أَمير المؤمنين بثلثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنّ ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتلاف لا يُليق شيئاً[4] ، فإن رأَى أَمير المؤمنين

1 ضابط : قويّ شديد .

2 في ل : صمتّ .

3 سرى عنه الثوب : كشفه .

4 لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجاري أن يُجريَها عليهم فعل ؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنّما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنّه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن : [من البسيط]

مــا غَيّرتْ وجهَه أُمٌّ مُهجَّنة إذا القتامُ تَغشّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى ، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن عليّ في خبره عن الفضل بن يحيى ، ولم يقله الآخران : دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله قال : وما عسى أن تقولَ فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[1] في المهلّب : [من الوافر]

براكَ اللهُ حــين بــراك بحراً وفَجّر منــك أنهــاراً غِــزارا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا ؛ قال : هات ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

له لَحَظات عن حِفافَيْ سَريره إذا كَرّهــا فيهــا عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهديّ : يا أمير المؤمنين ، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنيّ ، إنّي قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك ، وهبتُ له نفسَه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان : [من المتقارب]

إذا قيــل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى لمُعتــرٍّ فِهْــرٍ ومحتاجِها[2]

ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى بإلجامهــا قبــلَ إسراجها

أشارت نساءُ بنــي غالــب إليــكَ بــه قَبْــلَ أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة ، وأوّلُها :

أَجارتَنــا رَوِّحــي نَغْمــةً على هائــم النفس مُهتاجِهــا

ولا خيرَ في وُدِّ مستكــرِهٍ ولا حاجــةٍ دون إنضاجها

يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

كأنّ قُتــودي على خاضبٍ زَفُــوفِ العَشيّاتِ هَدّاجِها[3]

---

1 هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب .

2 المعترّ : الفقير والمتعرّض للمعروف من غير أنْ يسأل .

3 الخاضب : ذكر النعام . وزفوف حسن المشي سريعه . والهدّاج : الذي في مشيه أو عدْوه أو سعيه ارتعاش .

إلى مَلِــكٍ لا إلى سُوقَــة   كسَتْــه الملــوك ذُرا تاجها
تَحُــلّ الوفــود بأبوابــه   فتَلْقى الغِنــى قَبْـلَ إرتاجها
بقَــرّاعِ أبــوابِ دور الملــو   كِ عنــدَ التحيّــة وَلاّجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجــدٍ   حَمُــول المَغــارم فَرّاجها
رَكُودِ الجِفــان غداةَ الصَّبا   ويــومَ الشَّمــال وإرهاجها[1]
وقفتُ بمَدْحِيه عنــد الجِما   رِ أُنشده بــين حُجّــاجها[2]

[دسّ المنصور إليه مَن يسمع منه مدحه لعبد الواحد]

أخبرني محمّد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد قال حدَّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدَّثني محمّد بن سليمان بن المنصور قال : وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال : امض إليه ؛ فإنّك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد ، فانتسبْ له إلى بني أُميّة أو مواليهم ، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً   وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئني براسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللاميّة التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة ، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال : فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد ؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنّما نحلها إيّاي مَنْ يُعاديني ، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك ما هو أحسنُ منها ؛ قال : قد شئتُ فهات ؛ فأنشده : [من الطويل]

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها ؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ ؛ فقال : أيُّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دَفع إليّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك ، فوالله ما بعثك إلاّ أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إيّاها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه ، وإن أنشدتك هذه اللاميّة دفعتَ إليّ ما حمّلك إيّاه ؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمري ، ودفع إليه الألف الدينار والخِلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

1 الركود من الجفان : الثقيل المملوء . الإرهاج : الإمطار .

2 الجمار : اسم موضع بمنى .

[استقلّ المهديّ على المنصور جائزته له فأجابه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا عمّي عن جدّي قال : لمّا أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللاميّة التي مدحه بها أمر له بألف درهم ؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها ؛ فقال يا بُنيّ ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه ، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إنّي يا بُنيّ ما هممتُ له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قولَه إلاّ زال ما عرض بقلبي إلى ضدّه حتّى أهُمَّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهديّ .

[بعض شعره الذي يغنّى فيه]

وممّا يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أنّ المغنّين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره : [من الوافر]

صوت

ولمّا أنْ دنا منّا ارتحالٌ وقُرِّب ناجياتُ السير كُومُ[1]
تَحاسَرَ واضحاتُ اللون زُهْر على ديباج أوجهها النعيمُ
أتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا لدَى أكوارها خوصٌ هُجومُ[2]
فكم من حُرّة بين المُنَقَّى إلى أُحُدٍ إلى ما حاز رِيمُ[3]

ويروى :

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى[4]

وهو أجود .

إلى الجَمّاء من خدٍّ أسيل نقيٍّ اللون ليس به كُلُومُ[5]

---

1 الكوم : النوق الضخمة السنام .

2 خوص : جمع أخوص وخوصاء ، والخُوص : ضيّق العيون وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .

3 المنقّى : طريق بين أُحد والمدينة . الريم : واد لمزينة قرب المدينة .

4 الأقرع : جبل بين مكّة والمدينة .

5 الجمّاء : جبل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق . وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكّة ، وقيل : الجمّاوات ثلاث بالمدينة .

كأنّي من تذكُّر ما أُلاقي ... إذا ما أظلم الليلُ البهيمُ
سَلِيمٌ مَلّ منه أقربوه ... وأسلمه المُداوِي والحميمُ

ذكر الزُّبير بن بكّار أنّ هذا الشعر كلّه لأبي المِنْهال نُفَيلة الأشجعي . قال : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنّه لمَعْمَر بن العَنبر الهُذَليّ . والصحيح من القول ، أنّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولّما غُنّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيِّر إلى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أوّلها : [من الوافر]

أجارتَنا بذي نَفَر أقيمي ... فما أبكي على الدّهر الذميمِ[1]
أقيمي وجهَ عامك ثم سِيري ... بلا واهي الجِوار ولا مُليمِ
فكم بين الأقارع فالمُنقّى ... إلى أُحُدٍ إلى أكناف رِيمِ
إلى الجمّاء مِنْ خدٍّ أسيلٍ ... نقيّ اللون ليس بذي كُلومِ
ومن عينٍ مكحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْح هَضيمِ
أرِقتُ وغاب عنّي من يلوم ... ولكنْ لم أنَمْ أنا للهمومِ
أرِقتُ وشفّني وَجَعٌ بقلبي ... لزينبَ أو أُميمَة أو رَعُومِ
أقاسي ليلةً كالحَوْل حتى ... تبدّى الصبحُ مُنقطعَ البَرِيمِ[2]
كأنّ الصبح أبلقُ في حُجُول ... يَشُبّ ويتّقي ضربَ الشّكيمِ
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا ... روائعُه بحجّة مستقيمِ
إذا ناكرتُه ناكرتُ منه ... خصومةَ لا ألدَّ ولا ظَلُومِ
وودّعني الشباب فصِرتُ منه ... كراضٍ بالصغير من العظيمِ
فدَعْ ما لا يَرُدّ عليك شيئاً ... من الجارات أو دِمَن الرسومِ
وقُلْ قولاً تُطَبِّق مِفصلَيْه ... بمِدْحة صاحب الرأي الصَّرومِ[3]
لعبد الواحد الفَلْجُ المعلّى ... علا خُلقَ النَّفُورة والخُصومِ[4]

---

1 نفر في ل : بقرٍ .
2 البريم : ضوء الشمس مع بقيّة سواد الليل .
3 تطبّق مفصليه : تصيب فيه الحجّة . الصروم : القاطع .
4 الفلج : الظفر والغلب . نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .

دعتــه المَكْرُمــاتُ فناولتــه ... خِطامَ المجــد في سِنّ الفَطِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنّما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها . وأمّا أبيات نُفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه : [من الوافر]

يُضيء دجى الظلام إذا تبدّى ... كضوء الفجر منظـرَه وَسيمُ

وقائلــةٍ ومُثْنيــةٍ علينــا ... تقول ومـا لهـا فينـا حميمُ

وأُخــرى لُـبُّها معنـا ولكنْ ... تَصَبَّرُ وهــي واجمةٌ كَظومُ

تَعُــدّ لنــا الليــالي تحتصيها ... متى هـــو حائنٌ منه قُدومُ[1]

متى تَــرَ غفلةَ الواشين عنها ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجومُ[2]

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد ، ولحنه الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابِصيّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

---

1 منه في ل : منا .

2 عنها في ل : يوماً .

79 ـ [الوابصي وأخباره]

[أخباره وسبب تنصره]

وهذا الوابصيّ هو الصَّلْت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . كان تنصَّر ولحق ببلاد الروم ؛ لأنّ عمر بن عبد العزيز فيما ذُكر حدّه في الخمر ، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحقَ ببلاد الروم وتنصَّر هناك ، ومات هنالك نصرانيّاً .

[رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفكّ الأسرى]

فأخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء ، أظنّه أبا عمرو أو أخاه ، عن جُوَيريَةَ بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا سعيد بن عامر[1] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم ، وقد جمعت الروايتين ، قال اليزيديّ في خبره : إنّ إسماعيل حدَّث : أن عمر بن عبد العزيز بَعث به في الفِداء . وقال عمر بن شبّة : إنّ إسماعيل حدَّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينيّة فحدّثه قال : بينا أنا أجُول في القسطنطينيّة إذ سمعتُ رجلاً يغنّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍّ : [من الوافر]

فكــم مـن حُـرَّة بين المُنَقَّى إلى أحـدٍ إلى جَنَبـاتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلمّا سمعت الغناء وحُسنَه ، لم أدرِ أهو كذلك حَسَنٌ ، أم لغربته وغربة العربيّة في ذلك الموضع . فدنوت من الصوت ، فلمّا قُربت منه إذا هو في غرفة ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة ، فإذا رجل مُستلقٍ على قَفاه يغنّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى ، فإذا فرَغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مراراً ؛ فقلت : السلام عليكم ؛ فوثب ورَدّ السلام ؛ فقلت : أبشِر فقد فَكّ الله أسرك ، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغيـة في فـداء الأسارى . ثـم سألتـه : مَن أنت ؟ فقال : أنا الوابصيّ ، أخذت فعُذّبت حتى دخلت في دينهم ؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر ؛ فقال : قد والله دخلت فيه ؛ فقلـت : أنشُدك اللهَ إلاّ أسلمتَ ؛ فقال : أأسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها ، وإذا دخلتُ المدينةَ قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمّهما ؛ لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه ؟ قـال : لا شيء إلاّ هذه الآيـة ﴿رُبَـما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

1 في ل : سعد بن عبّاس . وهو سعيد بن عامر الضُّبَعيّ أبو محمّد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء .

كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنّك لا تُعَيَّر بهذا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحانَ الله ! أما تقرأ : ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ﴾ فجعل يُعيد عليّ قولَه : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبني إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهمّ لا تُمتني حتى تمكّنني منه . قال : فوالله ما زلتُ راجياً لإجابة دعوة عمَر فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة .

[لقيه رجل بصري فأخبره أنّ سبب تنصّره عشقه لامرأة منهم]

وقال يعقوب بن السّكّيت في هذا الخبر . أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمَه قال : نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم ، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن : [من الوافر]

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ميقاتِ رِيمِ[1]

إلى الزَّوْراء من ثغر نَقيٍّ ... عوارضه ومن دَلٍّ رخيمِ

ومن عين مُكَحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْح هضيمِ

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي ، فناديته : أيّها المنشد ، فأشرف فتىً كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصّتك ؟ فقال : أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا ، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها ؛ فقالت : إن دخلتَ في ديني لم أخالفك ؛ فغلبَ عليّ الشيطان فدخلتُ في دينها ، فأنا كما ترى . فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن ؟ فقال : إي والله لقد حفظته . قلت : فما تحفظ منه اليوم ؟ قال : لا شيء إلاّ قوله عزّ وجلّ : ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قلت : فهل لك أن نُعطيَهم فداءك وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك اللهُ .

صوت من المائة المختارة

وممّا في الأخبار من شعر ابن هرمة : [من البسيط]

في حاضِرٍ لَجِبٍ بالليل سامرُه ... فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ[2]

وخُرّد كالمَها حُور مدامعُها ... كأنّها بين كُثْبان النَّقا البَقَرُ

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لحُنين ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضاً . وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا ممّن نادم الخلفاء ولا وجدتُ له خبراً فأذكره .

1 ميقات في ل : أكناف .

2 في : في ل : من . الحاضر : الحيّ العظيم . والسّامر : المتسامرون .

80 ـ [عودٌ إلى أخبار نصيب]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

بزينب أَلِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُلْ إنّ تَمَلِّينا فما مَلَّك القلبُ
وقُل في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنّما عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما لـه عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنانِيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ .

[بعض أخبار لنصيب]

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنّما تأخّر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

[ذكر عن نفسه أنّه قال شعراً فعلِم أنّه شاعر]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن ابن كُناسة قال : قال نصيب : ما توهّمت أنّي أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[سمع جميل وجرير من شعره فتمنّيا لو أنّهما سبقاه إليه]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ عن محمّد بن مَعْن الغِفاريّ قال أخبرني ابن الربيح قال : مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة[1] ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكونَ سَبقتُ الأسودَ إلى قوله : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا لشيءٍ قاله عظيم .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزّبَير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب بن شَوْذب الأسَديّ قال : مَرَّ بنا جَرير بن الخَطَفى ونحن بِضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لأن

1 ضَرِيَّة : قرية في طريق مكّة من البصرة من بلاد نجد . وقيل هي صقع واسع بنجد .

أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا ؛ يعني قولَه : [من الطويل]

بزينبَ ألمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[أنشده الكميت من شعره وبكى]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي الفضل عن إسحاق الموصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحمّام ، فقال له الكميت : أنشدني قولك : [من الطويل]

بزينبَ ألمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّي أحفظها ، أفأُنشدك إيّاها ؟ قال نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكي .

[كان مع زوجته فمرّ به ابن سريج يتغنّى بشعرٍ له فيها فلامتْهُ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنّا لبِمنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أدْرِ لِمَن هي ، حتى أُنيخ بعير ، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان : [من الطويل]

بزينبَ ألمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له : شهّرتني وأذعت في الناس ذكري ؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق في خبره : وكان الذي اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

[كان ابن سريج يغنّي لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرّف بهنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال] نُصيب : والله إنّي لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ قولي : [من الطويل]

بزينبَ ألِمْ قبل أن يرحل الركبُ

وإذا معهنّ ابن سُريج ؛ فقلن له : يا أبا يحيى ، غَنّنا في هذا الشعر ، فغنّاهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أنّ نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني : والله لقد زعموا أنّ نُصيباً يشبه هذا الأسود لا جَرَم ؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم ، ومضيتُ وتركتهنّ . قال : وكان الذي تغنّى به ابنُ

سُريج من شعري : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحل الركبُ ... وقُل إن تَمَلِّينا فما مَلَّك القلبُ
وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ ... فما مثلُ ما لُقّيت من حُبّكم حُبُّ
وقُلْ في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ إنّما ... عتابكَ مَن عاتبتَ فيما لـه عَتْبُ
فمَن شاء رام الوصلَ أَو قال ظالماً ... لذي ودّه ذنبٌ وليس لـه ذنبُ

[سأله جدّ جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده]

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله السَّعْديّ عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال : قلت للنُّصَيب : أَنشدني يا أَبا مِحْجَن من شِعرك شيئاً ؛ فقال : أَيَّه تريد ؟ قلت : ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أَو تقترحَ ما تريد ؛ فقلت : قولك : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أَن يرحلَ الركبُ

قال : فتبسَّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأَنا غلام ؛ ثم أَنشدني القصيدةَ . قال الزُّبَير : وهي أَجود ما قال .

[لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنّه تاب واستجازه فأجازه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أَبي بكر الهُذَليّ قال حدَّثني أَيّوب بن شاس ، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أَبي بكر الهذليّ عن أَيّوب بن شاس ، وروايته أَتمّ من رواية عمر بن شَبّة ، قال أَيّوب : حدَّثني عبد الله بن سعيد : أَنّ النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِي الخلافة ؛ فقال له : هِيه يا أَسوَد : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحَل الركبُ ... وقُلْ إن تَمَلِّينـا فما مَلَّكِ القلبُ

أَأَنت الذي تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إني قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر ، وكان قد نَسك ؛ فأَثنى عليه القومُ وقالوا فيه قولاً جميلاً ؛ فقال له : أَمّا إذْ أَثنى عليك القوم فسَلْ حاجتكَ ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين لي بُنَيّاتٌ سويداوات أَرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البِيضان ، فإن رأَيتَ أَن تفرض لهنّ فافعل ؛ ففعل .

[رأى عثمان بن الضحّاك امرأة فتمثّل بشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنّه آت لزيارتها]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمّد بن المؤمّل بن طالوت عن أَبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزاميّ قال : خرجت على بعير لي أُريد الحجّ ، فنزلت في فِناء

خيمة بالأبواء[1] ، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ، فاستلهاني حسنُها ، فتمثَّلتُ قولَ نُصَيب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحلَ الركبُ وقُـل إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أَتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم ، ذاكِ نصيب ؛ قالت : أَفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأَنا والله زينبُه ، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارة ، ولعلّك لا ترحَل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أَنا براكب قد طلع فجاء حتى أَناخ قريباً منها ، ثم نزل فسلَّم عليها وسلَّمتْ عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أَن يكون لهما حاجة ، فقمت إلى راحلتي فشددتُ عليها ؛ فقال : على رِسْلك ، أَنا معك ؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لي : كأَنّك قلت في نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك ؛ فقال لا ، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أَقربُ من هذا .

[شبَّه حمّاد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرىء القيس]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أَبو ربيعة : لو لم تكن هذه القصيدة : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحل الركبُ

لنُصيب ، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر امرىء القيس ، لأَنّها جزلة الكلام جيّدة . قال : سبحانَ الله ؛ قلت : ما شأْنك ؟ فقال : سأَلت أَباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ ، فعجبتُ من اتّفاقكما .

[منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب]

قال هارون وحدَّثني حمّاد عن أَبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ عن رجل سمّاه قال : أَتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ ، فقلت : مَن هذا ؟ فقال : منقذ الهلاليّ ؛ فخرجت فزِعاً ، فقلت : فيمَ السُّرَى ، أَي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ، في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أَتاني أَهلي بدجاجة مشويّة بين رغيفين ، فتغذّيت بها معهم ، ثم أُتِيتُ بقنّينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشرِبتُ وذكَرْت قول نُصَيْب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يَرحَلَ الرّكبُ

فأَنشدتُها فأَطربَتْني ، وفكّرت في إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أَجِد غيرَك

---

1 الأبواء : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة ، وقيل هي جبل على الطريق من المدينة إلى مكّة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أُمّ النبيّ ﷺ .

فأتيتك . فقلت : ما جاءَ بك إلاّ هذا ؟ قال : لا ، وانصرف .

قال حمّاد : معنى قوله «التقى طرفاها» أي قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء .

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه : [من الطويل]

صوت

خليليّ مــن كَعْبٍ أَلِمّا هُدِيتُما   بزينب لا يَفْقِدْكُما أبداً كعبُ
مِنَ اليومِ زُوراها فإنّ رِكابَنا   غداةَ غدٍ عنها وعن أهلِها نُكْبُ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

[من السريع]

النَّشْرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا   نيرٌ وأطـرافُ الأكفّ عَنَمْ
والدّار وَحْشٌ والرسوم كما   رَقَّش في ظهــر الأديمِ قَلَمْ
لستُ كأقـــوام خلائقُهم   نَثُّ أحاديث وهتكُ حُرَمْ[1]

نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر ، وقيل : بل هو دود أحمر كالأساريع يكون في البقل في أيّام الربيع . والأديم : الجلد . وجلد كلّ شيء أديمه . ورقَّشَ : زيَّن . الشعر[2] لمرقِّش الأكبر[3] ، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها .

---

1 أحاديث وهتكُ في ل : الأحاديث ونهكة .

2 هذا الشعر من قصيدة المرقِّش يرثي بها ابن عمِّه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل ، وكان معه مرقِّش فأفلت ، ثم إنّه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يُقال له عمرو بن عوف . (انظر ديوان المرقشين ، تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

3 في ل : الأصغر .

[81] ـ أخبار المرقِّش الأَكبر ونسبه[1]

[نسبه وسبب تسميته بالمرقّش وقرابته للمرقّش الأصغر]

المرقّش لقب غلب عليه بقوله : [من السريع]

الدَّار وَحْشٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهـر الأَديم قَلَمْ

وهو أُحد مَن قال شعراً[2] فلُقِّب به . واسمُه ، فيما ذكر أُبو عمرو الشَّيْباني ، عمرو . وقال غيره : عَوْف[3] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصن[4] بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . وهو أُحد المتيَّمين . كان يهوى ابنةَ عمِّه أَسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان المرقّش الأَصغر ابنَ أَخي المرقِّش الأَكبر . واسمه فيما ذكر أَبو عمرو ، ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك . وهو أَيضاً أَحد المتيَّمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذِر الملك ويتشبّب بها . وكان للمرقِّشَيْن جميعاً موقع في[5] بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّم في المَشاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أَثره وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأَكبر من فرسان بكر بن وائل .

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل ، أَفي كلّ يوم فرار ! أَما ومَحْلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلاّ ضربتُه بسيفي . وبَرَك يقاتل ، فسمِّي البُرَكَ يومئذٍ .

[عمرو بن مالك وأسره لمهلهل]

وكان أَخوه عَمْرو بنُ مالكٍ أَيضاً من فُرسان بكر ، وهو الذي أَسَر مُهلهِلاً ، التقيا في خَيْلين من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلب ، في موضع يُقال له نَقَا الرَّمْل ، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأَدركه عمرو بن مالك فأَسَره فانطلق به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَر[6] ، فأَحسَنَ إسارَه . ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلهل

---

1 المرقش الأكبر : انظر أخباره في : في الشعر والشعراء 1 : 210 . وفي الأنباري 457–460 ، 484 .

2 في ل : الشّعر .

3 قيل سُمّي عوفاً باسم عمّه والد أسماء التي كان يهواها ويتشبّب بها .

4 في ل : بن الحصن .

5 في ل : موقف .

6 هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . ولعلّه يقصد به هجر التي قصبتها الصّفا باتّجاه اليمامة والبصرة .

يشتري منه الخمر ، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر ؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بَكْراً وشربوا عند مهلهل في بيته ، وقد أُفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه ، فلمّا أَخَذ فيهم الشّرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ، فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال[1] : إنّه لريَّانُ ، والله لا يشرب ماء حتى يَرِد رَبِيبٌ يعني جملاً كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدَّهاس[2] من أُجواف هجر فيرعى فيها غِبّاً بعد عشر في حَمّارة القَيْظ فطلبت رُكْبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألاّ يُقتَل مهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحر عمرو بن مالك يومئذٍ ناباً فأشرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحلِّل أَحدِ بني تغلب قد أَرادت أَن تأتيَه وهو أَسير ؛ فقال يذكرها : [من الخفيف]

ظَبْيـــةٌ مـــا ابنــةُ المحلِّل شَنْبا ءُ لَعُوب لذيـذةٌ في العِناقِ[3]

فلمّا بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أَحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول وكان مُحمَّقاً وهو الذي تَضرِب به العربُ المثلَ في الحمق : لا يكون لي جمل أبداً إلاّ سمّيتُه رَبِيباً (يعني أنّ ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً) . ذكر ذلك أَجمعَ ابنُ الكلبيّ وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميَّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أَخبار المرقِّش يقولها في مَرْثِيَة ابن عمٍّ له . وفيها يقول : [من السريع]

بل هل شجَتْك الظُّعْن باكرةً كأنّهـــا النخيـــلُ مـــن مَلْهَم[4]

[عشق المرقّش أسماء بنت عوف]

قال أَبو عمرو ووافقه المفضّل الضبي : وكان من خبر المرقِّش الأَكبر أَنّه عشِق ابنة عمِّه أَسماءَ بنتَ عوف بن مالك ، وهو البُرَك ، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أَبيها ؛ فقال : لا أُزوِّجك حتى تُعرَف بالبأس ، وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أَرض اليمن ، وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقِّش إلى ملكٍ من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأَجازه . وأَصاب عوفاً زمانٌ شديد ؛ فأَتاه رجل من مُراد أَحدُ بني غُطَيْف ، فأَرغبه في المال فزوّجه أَسماءَ على مائةٍ من الإبل ، ثم تنحّى عن بني سعد بن مالك .

---

1 في ل : فلمّا سمع عمرو بن مالك ذلك قال .

2 الدهّاس : المكان السّهل ليس برملٍ ولا تراب .

3 الشّنباء : التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة .

4 مَلْهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

[أخبره أهله بموت أسماء ولمّا علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها]

ورجع مرقّش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلاّ أنّها ماتت ؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفّوها في مِلْحَفة ثم قبروها . فلمّا قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنّها ماتت ، وأتَوْا به موضعَ القبر ؛ فنظر إليه وصار[1] بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين[2] لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدُهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنّه قبرُ أسماء . فكشَف مرقّشٌ عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضَنيَ ضَنًا شديداً ، فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء ؛ فدعا مرقّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة كان عسيفاً[3] لمرقّش ، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته ، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ عليها فأحضره إيّاها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يُحمَل إلاّ معروضاً . وإنّهما نزلا كهفاً بأسفل نَجْران ، وهي أرض مراد ، ومع الغُفَليّ امرأتُه وليدةُ مرقّش ؛ فسمع مرقّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجُوعاً . فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني[4] ، وإلاّ فإنّي تاركُك وذاهب . قال : وكان مرقّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملةَ ، وكانا أحبّ ولده إليه ، إلى نَصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطّ . فلمّا سمع مرقّش قولَ الغُفَليّ للوليدة كتب مرقّش على مؤخّرة الرحل هذه الأبيات[5] : [من الكامل]

يـا صاحبيّ تَلَبّثا لا تعجَـلا ... إنّ الرواح رهـينُ ألاّ تفعَـلا

فلعـلّ لُبثكمـا يُفـرّط سَيِّـئاً ... أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْباً مُقْبِلا[6]

يـا راكباً إمّـا عرضتَ فبلِّغَنْ ... أنَسَ بن سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا[7]

لله دَرُّكمـا ودَرُّ أبيكمـا ... إن أفلتَ العَبْـدان حتى يُقتَلا[8]

مَنْ مُبْلغُ الأقـوامِ أنّ مرقّشاً ... أضحى على الأصحابِ عبئاً مُثْقِلا

---

1 في ل : وكان .

2 في ل : بكعاب .

3 العسيف : الأجير والعبد والمُستعان به .

4 في ل : إنْ أطعتني .

5 في ل : هذا الشعر .

6 يُفَرّطُ : يُقدّم .

7 أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقّش .

8 العبدان : في ل : الغفليّ .

وكأنّما تَـرِدُ السباعُ بشِلْـوه إذْ غـاب جمعُ بني ضُبَيْعَة مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَليّ وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقّش . ونظر حرملة إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ هذه الأبيات ؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب في طلب المرقّش حتى أتى المكانَ ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلمّا بَصُر به قال له : مَن أنت وما شأنك ؟ فقال له مرقّش : أنا رجلٌ من مُراد ، وقال للراعي : مَن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماء . فقال له مرقّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأحلِبُ لها عنزاً فتأتيها بلبنها . فقال له : خُذ خاتمي هذا ، فإذا حلبتَ فألقه في اللبن ، فإنّها ستعرفه ، وإنّك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطّ إن أنتَ فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولمّا راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ، فانطلقتْ الجارية به وتركته بين يديها . فلمّا سكنت الرّغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيّتَها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو في شَرَفٍ[1] بنَجْران ؛ فأقبل فَزِعاً ؛ فقال لها : لِمَ دعوتِني ؟ قالت له : ادْعُ عبدَك راعيَ غنمك فدعاه ؛ فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتم ! قال : وجدتُه مع رجلٍ في كهف خُبّان[2] : قال : ويقال كهف جبار ، فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنّك مصيبٌ به خيراً ، وما أخبرني مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رَمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقّش ، فأعجِل السّاعةَ في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت : [من الوافر]

سَرى ليـلاً خيالٌ من سُلَيْمَى فأرّقنـي وأصحابـي هُجودُ
فبِتّ أُديـر أمـري كلّ حالٍ وأذكر أهلَهـا وهـمُ بعيدُ
على أنْ قـد سمـا طَرْفي لنارٍ يُشَبّ لها بذي الأَرْطى وَقودُ[3]
حَوالَيْهـا مَهـاً بِيضُ التَّراقي وآرامٌ وغِـزلانٌ رُقـودُ
نواعـمُ لا تُعالج بـؤسَ عيش أوانسُ لا تـروح ولا تَرُودُ

---

1 في ل : شرب .
2 في ل : حيّان .
3 الأرْطَى : شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى .

يَرُحْن معــاً بِطاءَ المشي بُدّاً   عليهــنّ المجــاسد والبُــرُودُ[1]
سَكَــنّ ببلدة وسكنتُ أُخرى   وقُطِّعــتِ المواثــقُ والعهــودُ
فما بــالي أَفي ويُخان عهدي   ومــا بــالي أُصاد ولا أَصيــدُ
ورُبّ أَسيلــة الخدّين بكرٍ   مُنَعَّمَــةٍ لهــا فــرعٌ وجِيدُ
وذو أُشُرٍ شَتِيتُ النبتِ عذبٌ   نقــيُّ اللــون بَــرّاقٌ بَرودُ
لهوتُ بهــا زمانــاً في شبابي   وزارتهــا النجائــب والقَصيدُ
أُناسٌ كلّمــا أَخلقت وصلاً   عنــاني منهــمُ وصلٌ جديدُ

ثم مات عند أَسماء ، فدُفِن في أَرض مُراد .

[خرج لقتل زوج أَسماء فردّه أَخواه وعذلاه فمرض وقال شعراً]

وقال غيرُ أَبي عمرو والمفضَّل : أَتى رجل من مُراد يُقال له قرنُ الغَزال ، وكان مُوسِراً ، فخطب أَسماء وخطبها المرقّش وكان مُمْلِقاً ؛ فزوّجها أَبوها من المراديّ سرّاً ؛ فَظَهر على ذلك مرقّش فقال : لئن ظفرتُ به لأَقتلنّه . فلمّا أَراد أَن يَهتديها[2] خاف أَهلُها عليها وعلى بعلها من مرقّش ، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقّش في إبله ، وبنى المراديُّ بأَسماء واحتملها إلى بلده . فلمّا رجع مرقّش إلى الحيّ رأَى غلاماً يتعرّق عظماً ؛ فقال له : يا غلام ، ما حدث بعدي في الحيّ ؟ وأَوجس في صدره خيفةً لِمَا كان ؛ فقال الغلام : اهتدى المراديُّ امرأَتَه أَسماء بنت عوف . فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأْمته وركب فرسه الأَغرّ ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ . فلمّا طلع لهم قالوا للمراديّ : هذا مرقّش ، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأَسماء : إنّه سيمرّ عليك ، فأَطلعي راسَك إليه واسْفِري ؛ فإنّه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك ، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه . وقالوا للمراديّ : تقدّم فتقدّم . وجاءهم مرقّش . فلمّا حاذاهم أَطْلَعَت أَسماءُ من خِدْرها[3] ونادته ، فغَضّ[4] من فرسه وسار بقربها ، حتى أَدركه أَخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعَذَلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُراديّ فأَلحقها بحيّه . وضَنِيَ[5] مرقّش لفراق أَسماء . فقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 بُدّ : جمع أبد والأُنثى بداء وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكّا .
2 اهتدى الرجل امرأته : إذا جمعها إليه وضمّها .
3 في ل : حدجها .
4 غض من فرسه : إذا نقص من غربه وحدته .
5 ضنى : مرض مرضاً مخامراً كلّما ظنّ برؤه نكس .

أَمِنْ آلِ أَسماءَ الرسومُ الدّوارسُ تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بسابسُ

وهي قصيدة طويلة . وقال في أَسماء أَيضاً : [من الطويل]

أَغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابةً وشوقاً إلى أَسماءَ أَم أَنتَ غالبُهْ

يَهيمُ ولا يعيا بأَسماءَ قلبُه كذاك الهوى إمرارُه وعَواقِبُهْ

أَيُلْحَى امرؤٌ في حبّ أَسماء قد نأى بغَمْزٍ من الواشين وازوَرّ جانبُهْ

وأَسماءُ هَمُّ النَّفس إن كنتَ عالِماً وبادي أَحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ

إذا ذكرَتْها النفسُ ظَلْتُ كأَنّني يُزعزعني قَفْقافُ وِرْدٍ وصالبُهْ[1]

[كان مع المجالد بن ريّان في غارته على بني تغلب وقال شعراً]

وقال أَبو عمرو : وقع المجالدِ بن رَيّان ببني تَغْلِب بجُمْران[2] فَنكى فيهم وأَصاب مالاً وأَسرى ، وكان معه المرقّش الأَكبر ، فقال المرقّش في ذلك : [من المتقارب]

أَتتني لسانُ بني عامرٍ فجَلّى أَحاديثُها عن بَصَرْ[3]

بأَنّ بني الوَخْم ساروا معاً بجيشٍ كضوء نجوم السَّحَرْ[4]

بكلِّ خَبُوبِ السُّرى نَهْدَةٍ وكلِّ كُمَيْتٍ طُوالٍ أَغرّ

فما شَعَر الحيُّ حتّى رأَوْا بريقَ القَوانِيسِ فوقَ الغُرَرْ[5]

فأَقبلنَهم ثم أَدبرنهم وأَصدرنهم قبلَ حينِ الصَّدَرْ

فيا رُبَّ شِلْوٍ تَخَطْرفَنَه كريمٍ لَدى مَزْحَفٍ أَو مَكَرّ[6]

وكائن بجُمْرانَ من مُزْعَفٍ ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِرْ[7]

1 وقفقافة : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . الورد : من أسماء الحمى . وصالبه : شدّة حرارته مع رعدة .

2 في ل : بنجران ، وجمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .

3 اللسان هنا : الرسالة . وجلّى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العمى .

4 الوخم في ل : الوجم ، وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

5 القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه .

6 تخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وخلّفنه .

7 بجمران في ل : بنجران . مُزْعف : زعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً .

[82] ـ وأمّا المرقِّش الأَصغر[1]

[نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأُخباره في ذلك وشعره]

فهو على ما ذكر أَبو عمرو : رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقِّش الأَكبر عمّ الأَصغر ، والأَصغر عمّ طَرَفة بن العبد . قال أَبو عمرو : والمرقِّش الأَصغر أَشعر المرقِّشَين وأَطولهما عُمراً . وهو الذي عشِق فاطمةَ بنت المنذر ، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان ، وكان لها قَصْر [بكاظمة][2] وعليه حَرَس . وكان الحرس يَجُرّون كلّ ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أَحد إلاّ بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أَهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَناب بن مالك لمرقِّش : إنّ بنت عَجلان تأخذ كلّ عشيّة رجلاً ممّن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقِّش تَرْعِيةً[3] لا يفارق إبلَه ، فأَقام بالماء وترك إبلَه ظمأى ، وكان من أَجمل الناس وجهاً وأَحسنهم شَعْراً . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعدُ فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان ؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ وإذا نُكَتٌ كأَنّها التين وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إيّاها عند الجماع ، قالت : آثار رجل بات معي الليلةَ . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأَيتُ رجلاً جميلاً راح نحوَنا بالعشيّة لم أَره قبلَ ذلك ؛ قالت : فإنّه فتىً قعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذي رأَيته ، وهو الذي بات معي فأثر فيّ هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأَتاك فقدِّمي له مِجمَراً ومُريه أَن يجلس عليه وأَعطيه سواكاً ، فإن استاك به أَو ردّه فلا خير فيه ، وإن قعد على المجمر أَو ردّه فلا خير فيه . فأَتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه ؛ فأَبى وقال : أَدنيه منّي ، فدخّن لِحيته وجُمّته وأَبى أَن يقعد عليه ، وأَخذ السواك فقطع رأسه واستاك به . فأَتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأَخبرتها بما صنع ؛ فازدادت به عجباً وقالت : ائتيني به . فتعلّقتْ به كما كانت تتعلّق ، فمضى معها وانصرف أَصحابه . فقال القوم حين انصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ ! وكان الحرسُ ينثرون الترابَ حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوباً حين تُمسي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلاّ ابنةُ عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقافَة فينظرون أَثَر مَن دخل إليها ويعودون فيقولون

---

1 المرقِّش الأصغر : انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 1 : 214 وفي الأنباري : 498–499 .

2 كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، وهي مدينة الكويت الآن .

3 تَرْعية : يجيد رعية الإبل أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل .

له : لم نَرَ إلاّ أَثَر بنتِ عجلان . فلمّا كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، وأُدخلته إليها فبات معها . فلمّا أُصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أُثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة . فلبث بذلك حيناً يدخل إليها . فكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : أَلَم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أُكتمك ولا نتكاذب ؟! فأُخبره مرقّشٌ الخبرَ ؛ فقال له : لا أَرضى عنك ولا أُكلّمك أبداً أو تُدخلَني عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق المرقّش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأُجلسه فيه وانصرف وأُخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أَنّ عمرو بن جناب كان أَشْعر ، فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أُمره به مرقّش . فلمّا أُراد مباشرتها وجدتْ مسَّ شعرٍ فخذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قبَّح الله سرّاً عند المُعَيْدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وانطلق إلى موضع صاحبه . فلمّا رآه قد أُسرع الكَرَّةَ ولم يلبث إلاّ قليلاً ، علِم أَنّه قد افتضح ، فعَضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أُهله وترك المال الذي كان فيه ، يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ، حياءً ممّا صنعَ . وقال مرقّش في ذلك : [من الطويل]

أَلاَ يا اسلَمي لا صُرمَ لي اليوم فاطمَا ... ولا أَبداً ما دام وصلُكِ دائما

رمتكَ ابنةُ البَكْريّ عن فرع ضالَةٍ ... وهُنّ بنا خُوصٌ يُخَلْن نعائما[1]

تراءت لنا يومَ الرحيل بِواردٍ ... وعذبِ الثنايا لم يكن متراكما[2]

سقاه حَباب المُزن في متكلل ... من الشمس رَوّاه رباباً سَواجِما

أَرَتْك بذات الضّالِ منها معاصماً ... وخدّاً أَسيلاً كالوذِيلة ناعما[3]

صحا قلبُه عنها على أَنّ ذِكرةً ... إذا خطَرت دارت به الأَرضُ قائما

تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظَعائن ... خَرَجْن سِراعاً واقتعدنَ المفائما[4]

تحمّلن من جوّ الوَريعة بعد ما ... تعالى النهارُ وانتجعن الصَّرائما[5]

---

1 الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم جمع نعامة .

2 الوارد من الشعر : الطويل . والفمُ المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً .

3 الوذيلة : سبيكة الفضّة .

4 المفائم : العظام من الإبل ، وقيل هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مفأم .

5 الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم والحزم : ما غلظ من الأَرض وكثرتْ حجارته وأُشرف . الصرائم : جمع صريمة وهي قطعة الرمل التي تنقطع من معظم الرمل .

تَحلَّـين ياقوتـاً وشَذْرا وصيغة … وجَزْعـاً ظَفارِيّـاً ودُرّاً تَوَائما[1]

سلكن القُرى والجِزعَ تُحدى جمالها … وورّكن قَـوّاً واجتزعن المخارما[2]

ألا حبّذا وجـهٌ تُريـك بياضَه … ومُنْسَدِلاتٌ كالمثـاني فـواحما[3]

وإنّي لأَستحيـي فُطَيْمـةَ جائعـاً … خميصاً وأستحيي فُطَيمة طاعما

وإنّي لأَستحييـك والخَرْق بيننا … مخافـةَ أن تَلْقَيْ أخاً لِيَ صارما[4]

وإنّي وإن كلّـت قَلُوصي لَراجـمٌ … بهـا وبنفسي يا فُطَيـمَ المَراجما

ألا يا اسلمي بالكوكب الطَّلْق فاطما … وإن لم يكن صَرْفُ النَّوى متلائما[5]

ألا يا اسلمي ثم اعلمي أنّ حاجتي … إليك فرُدّي مـن نوالك فاطما

أفاطـمَ لـو أنّ النساء ببلدةٍ … وأنـت بأُخـرى لابتغيتك هائما[6]

متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه … ويَغْضَبْ عليـه لا محالـةَ ظالما

وآلى جَنـابٌ حِلفـةً فأطعتَـه … فنفسَك ولِّ اللَّوْمَ إن كنتَ نادما

فمَن يَلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه … ومَن يَغْوِ لا يعدَم على الغَيِّ لائما

ألَم تَـرَ أنّ المـرءَ يَجْذِمُ كفّـه … ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجاشما[7]

أمِن حُلُم أصبحتَ تَنكُتُ واجماً … وقد تعتري الأحلامُ مَن كان نائما[8]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهي المُنى … أبى القلـبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيمِ

---

1 الجزع : الخرز .

2 جمالها في ل : جمالهم . وركّن : عدلن . قوّ : منزل للقاصد من المدينة إلى البصرة ، وثمّة أماكن أُخرى بهذا الاسم . اجتزعن : قطعن . المخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طرق .

3 المثاني : الحبال .

4 الخرق : ما اتّسع من الأرض .

5 الطلق في ل : الفرد . والطلق : الذي لا حرّ فيه ولا قرّ ولا شيء يؤذي .

6 لابتغيتك في ل : لاتبعتك .

7 يجشم : يركب المكروه .

8 نكت في الأرض : خطّط فيها بعود .

مُنعَّمــةٌ صَفْـراء حُلْــوٌ دلالُهــا أَبِيــتُ بهــا بعــدَ الهُـدُوء أَهِيمُ[1]

قَطُوفُ الخُطا مَحْطوطةُ المَتْنِ زانها مع الحُسنِ خَلْقٌ في الجَمال عَمِيمِ[2]

الشعر مُختلَف في قائله ، فمن الرواة مَن يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَميّ ، ومنهم مَن يرويه لقَطَرِيّ بن الفُجاءة المازِنيّ ، ومنهم مَن يرويه لعبيدة بن هِلال اليَشْكُريّ . والغناء لسِياط ، وله فيه لحنان : أحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرٌ لأُمِّ حَكيم هذه أيضاً ، تُنسب إلى هؤلاء الشُّعراء الثلاثة ، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه . وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّـي في الحيــاة لزاهــدٌ وفي العيشِ ما لَم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ

ولو شهدتني يومَ دُولاب أَبصرَتْ طِعانَ فتــىً في الحرب غيرِ ذَميمِ

ذكَر المبرّد أنّ الشعر لقَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وذكر الهَيثم بن عَدِيّ أنّه لعَمْرو القَنا ، وذكر وَهْب بن جَرير أنّه لحَبِيب بن سهم التَّميميّ ، وذكر أبو مِخْنَف أنّه لعبيدة بن هلال اليَشْكُريّ ، وذكر خالد بن خِدَاش أنّه لعمرو القنا أيضاً . والغناء لمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .

1 الهدوء : الهزيع من الليل . في هذا الشعر إقواء .

2 قطوف الخطا : ضيقتها . محطوطة المتنين : أي ممدودتهما .

[83] ـ خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب

وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أُمّ حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب ، وهي قرية من عمل الأَهواز ، بينها وبين الأَهواز نحوٌ من أَربعة فراسخ ، كانت بها حربٌ بين الأَزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطّلب ، وذلك في أَيّام ابن الزُّبَير . أُخبرني بخبر هذه الحرب أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنيّ ، وأَخبرني بها عُبيد الله بن محمّد الرازِي عن الخَرّاز عن المدائنيّ ، وأَخبرني الحسن بن عليّ عن أَحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أَنّ نافعَ بنَ الأَزرق ، لمّا تفرّقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أُصول مقالتهم أَقام بسوق الأَهواز وأَعمالها لا يعترضُ الناسَ ، وقد كان متشكِّكاً في ذلك . فقالت له امرأَته : إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشكَكتَ فيه ، فدع نِحْلتك ودَعْوتك ، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان[1] فاقتل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأَثخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً﴾ . فقَبِل قولَها واستعرض[2] الناسَ وبَسَط سيفَه ، فقتل الرجالَ والنساء والوِلدان ، وجعل يقول : إنّ هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم . وإذا وطيء بلداً فعل مثلَ هذا به إلى أَن يُجيبَه أَهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته ، فيرفع السيفَ ويضع الجباية فيجبي الخراجَ . فعظم أَمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّالُه في السواد . فارتاع لذلك أَهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأَحنف بن قيس فشكَوْا إليه أَمرَهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلاّ ليلتان ، وسِيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأَحنف : إنّ سيرتَهم في مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأَحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأَتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل ، وسأَله أَن يؤمِّر عليهم أَميراً ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة ، وكان فارساً شجاعاً دَيِّناً ، فأَمَّره عليهم وشيَّعه . فلمّا نَفَذ من جسر البصرة أَقبل على الناس وقال : إنّي ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضّة ، وإنّي

---

1 في ل : الإسلام .

2 استعرض الناس : قتلهم ولم يبالِ من قتل مسلماً أو كافراً من أيّ وجه أُمكنه .

لأُحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلاّ سيوفُهم ورماحهم . فمَن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَض ، ومَن أَحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلمّا صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرّماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقُتل في المعركة ابن عُبيس وهو على أَهل البصرة ، وذلك في جُمادى الآخرة سنةَ خمس وستِّين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذٍ أيضاً ؛ فعجب الناسُ من ذلك ، وأَنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسَا العسكرَيْن ، والشُّراةُ يومئذٍ ستُّمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سَدُوس . وأُتي ابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدانيّ ، وكان يقال له الأَجْذم ، كانت يده أصيبت بكابلُ مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ ابن الأَزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز أَحدَ بني سَلِيط بن يَرْبوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع ، ورئيس الشُّراة من بني سليط بن يربوع ، فاتَّصَلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائنيّ في خبره : وادّعى قتلَ نافع بن الأَزرق رجلٌ من باهِلة يقال له سَلامة . وتحدَّث بعد ذلك قال : كنتُ لمّا قتلتُه على برذون وَرْدٍ فإذا أنا برجلٍ ينادِي ، وأنا واقف في خُمْسٍ من بني تميم ، فإذا به يَعْرِض عليَّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبني وأَنا أَنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلني ، فصِرْتُ إلى رَحْلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة ، فلمّا أَكثر خرجتُ إليه ، فاختلفْنا ضربتين فضربته فصرَعتُه ، ونزلتُ فأَخذتُ رأسَه وسلبتُه ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلتُ نافعاً ، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلمّا قُتل نافع وابن عُبيس ووُلِّي الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراة نيّفاً وعشرين يوماً ، ثم أَصبح ذاتَ يوم فقال لأَصحابه : إنّي مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إنّي رأيت البارحةَ كأَنّ يدي التي أُصيبتْ بكابلُ انحطّتْ من السماء فاستَشْلَتْني . فلمّا كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقُتل يومئذٍ ، قال : استشلاه : أَخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه ، قال : فلمّا قُتل الربيع تدافع أَهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أَجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَريّ . وقد اقتتل النّاسُ يومئذٍ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلَه ، تطاعنوا بالرماحَ حتى تقصّفتْ ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأَحد منهم قوّة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون[1] بالأَفواه . فلمّا تدافع القومُ الراية وأَبَوْها

1 تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

واتّفقوا على الحَجّاج بن باب امتنع من أَخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنّها مَكْرُمة ؛ فقال : إنّها لرايةٌ مشئومة ، ما أَخذها أَحد إلاّ قُتل . فقال له كُرَيب : يا أَعور ، تقارعتِ العربُ على أَمرِها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتل ؛ خُذ اللواءَ ويحك ! فإن حضر أَجلُك قُتلتَ إن كانت معك أَو لم تكن . فأَخذ اللواءَ وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرادِيس ، والخوارجُ أَقوى عُدّة بالدروع والجواشن[1] . وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيه ويحمل حتّى يغيبَ في الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أَنّه قد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دماً ، ويفتح عينيه فيَرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلٌّ قوم في ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحدٍ منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ؛ وأَصبح أَهل البصرة ، وقد هرب عامّتُهم ، وولَّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانيّ ، أَمْرَهم ليس بهم طِرْق ولا بالخوارج . فقالت امرأَة من الشُّراة ، وهي أمّ عِمْران قاتِل الحجّاج بن باب وقَتيلِه ، ترثي ابنَها عِمْران : [من البسيط]

اللهُ أَيّد عِمْرانـاً وطَهَّـره ... وكان عمرانُ يدعو اللهَ في السَّحَرِ

يدعوه سِرّاً وإعلاناً ليرزقَه ... شهادةً بيدَيْ مِلْحادة غُدَرِ[2]

ولَّى صحابتُه عن حَرّ مَلْحَمةٍ ... وشدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة الذكرِ

قال : فلمّا عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأَن يثبُتوا ، فإذا فَتَح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادةُ فريضة ؛ فنَدب الناسَ فَٱلتقَوْا وليس بأَحدٍ منهم طِرق ، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أَنين ، وما تطأُ الخيل إلاّ على القتلى . فبينما هم كذلك إذ أَقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة يقول المُكثِّر إنّهم مائتان والمقلِّل إنّهم أَربعون فاجتمعوا وهم مُرِيحون مع أَصحابهم واجتمعوا كبكبةً[3] واحدة ، فحملوا على المسلمين . فلمّا رآهم حارثة بن بَدْر نكَص برايته فانهزم وقال : [من مجزوء الرجز]

كَرْنِبـوا ودَوْلِبـوا ... وحيثُ شئتم فاذهبُوا[4]

وقال : [من الكامل]

أَيـرُ الحمـار فريضةٌ لعبيدكم ... والخُصيتان فريضةُ الأَعـرابِ

1 الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

2 الملحادة : مفعال من الإلحاد والهاء للمبالغة . غُدَر : كثير الغدر .

3 الكبكبة : الجماعة .

4 كَرْنِبوا : انزلوا كرنبى وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

وتتابع الناسُ على أَثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارجُ ، فَأَلْقوا أَنفسهم في دُجَيْل[1] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتُهم . وكان ممّن غرق دَغْفَل بن حنظلة أَحد بني عمرو بن شيبان . ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أَصحابهم ، وعبَرتْ بقيّةُ الناسِ ، فصار حارثـةُ ومَن معه بنهر تِيرى[2] والشُّراة بالأَهواز ، فأَقاموا ثلاثةَ أَيّام . وكان على الأزد يومئذٍ قَبيصَة بن أَبي صُفْرة أَخو المُهلَّب ، وهو جدّ هَزارُمَرْد . قال : وغرِق يومئذٍ من الأَزد عدد كثير . فقال شاعر الأَزارقة : [من الوافر]

يَرى مَـنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ شيـوخَ الأَزْد طافيـةً لحالَها

وقال شاعر آخر منهم : [من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدر ، والحوادثُ جمّةٌ ، والظالمـون بنافـع بـن الأَزرقِ
والمـوت حَتْـمٌ لا محالـةَ واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحْـهُ نهـاراً يَطْرُقِ
فلئـن أَميـرُ المؤمنـين أَصابـه ريـبُ المنون فمَـنْ تُصِبْه يَغْلَقِ[3]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائنيّ في خبره : إنّ صالح بن عبدِ الله العَبْشَمِيّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنا ؛ قال وهب بن جرير عن أَبيه فيما حدَّثني به أَحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أَحمد بن أَبي خَيْثمة عن أَبيه عن وَهْب بن جَرير عن أَبيه : إنّ حَبيب بن سَهْم قائلُها : [من الطويل]

لعمرُك إنّي في الحيـاة لزاهـدٌ وفي العيش مـا لم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ[4]
مِنَ الخَفِـرات البيضِ لم أَرَ مثلَها شِفاءٌ لِـذِي بَـثٌّ ولا لِسَقِيمِ
لعمرُك إنّي يـومَ أَلْطِمُ وجهَها على نائبـاتِ الدَّهـرِ غيرُ حليمِ
ولو شَهِدتْني يوم دُولاب أَبصرتْ طِعانَ فتـىً في الحرب غيرِ لئيمِ[5]
غَداةَ طَفَتْ عَلماءِ بكرُ بن وائل وأُلَّافُهـا مِـنْ حِمْيـر وسَليمِ[6]

1 دُجَيْل : نهر بالأَهواز .
2 تيرى : بلد من نواحي الأَهواز .
3 أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق : أي لا ينفلت ولا ينجو من غلق الرهن في يد المرتهن .
4 معجم البلدان ، 2 : 485 .
5 غير لئيم في ل : مليم .
6 علماء : يريد على الماء . وسليم : يريد سُلَيْم .

ومـــالَ الحجازيّـون نحـوَ بلادهم وعُجْنا صدورَ الخيلِ نحـو تَميمِ
وكان لعبـد القَيْس أوّلُ جِدّهـا وولّتْ شيوخُ الأَزْدِ فهـي تَعُومُ[1]
فلـم أرَ يومــاً كان أكثرَ مُقْعَصاً يَمُجّ دمــاً مــن فائظٍ وكَليمِ[2]
وضاربــةً خدّاً كريماً على فتـىً أغـرَّ نجيـبِ الأُمّهـات كريمِ
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تـكُ موطناً له أرضُ دولابٍ ودَيْـرُ حَميمِ[3]
فلـو شَهِدتنا يـومَ ذاك وخيلُنا تُبيح مـن الكُـفّـارِ كلَّ حريمِ
رأت فتيـةً باعـوا الإلهَ نفوسَهم بجنّـاتِ عَـدْنٍ عنـده ونَعيمِ

حدَّثني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد[4] الأرقط قال : كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضاً . فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليَشْكُريّ وأبو حُزابَة[5] التَّميمي وهما في الحرب ؛ فقال عبيدة : يا أبا حُزابة ، إنّي سائلُك عن أشياء ، أفتصْدُقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تَضمّنتْ لي مثلَ ذلك ؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عمّا بدا لك . قال : ما تقول في أئمّتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْجِ الحرام . قال : وَيْحَك ؛ فكيف فعلُهم في المال ؟ قال : يَجْبونه من غير حِلّة ، ويُنفقونه في غير حقّه . قال : فكيف فعلُهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه مالَه ، ويمنعونه حقّه ، وينيكون أمّه . قال : ويلك يا أبا حُزابة ! أفمثلَ هؤلاء تتّبع ؟! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ودع عنكَ عتابي على رأيي ؛ قال : قل . قال : أيُّ الخمر أطيبُ : أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك ؛ أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال : قد أوْجبتَ على نفسك أن تُجيب ؛ قال : أمّا إذ أبَيْتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس . قال أبو حُزابة : فأيّ الزَّواني أفْره : أزواني رامَهُرْمُز[6] أم زواني أرَّجان ؟ قال : ويلك ! إنّ مثلي لا يُسأل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدُر ؛ فقال : أمّا إذ أبيتَ فزواني رامَهُرْمُز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرَّجان أحسن أبداناً . قال : فأيّ الرجلَيْن أشعر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ؛ أيّهما الذي يقول : [من الكامل]

1 في هذا البيت إقواء .
2 أكثر في ل : أحسن . ومقعص : يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه فمات مكانه . والفائظ : الميت .
3 دير حميم : موضع بالأهواز .
4 هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري صهر يونس بن حبيب النحوي .
5 هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأمويّة .
6 رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

وطَوى الطِّرادُ مـع القِياد بطونَها طـيَّ التِّجـار بحَضْرَمَـوْتَ بُرُودَا

قال : جرير ؛ قال : فهو أَشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أَمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له في ذلك ؛ فقال : أَردتم أَن أَحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنتُ لأَحكم بينهما ، ولكنّي أدلُّكم على مَن يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلمّا تواقفوا سأَل أَبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأَجابه بهذا الجواب .

أَخبرني أَحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : حُدِّثت أَنّ امرأةً من الخوارج كانت مع قَطَرِيّ بن الفُجاءة يقال لها أُمّ حَكيم ، وكانت من أَشجع الناس وأَجملِهم وجهاً وأَحسنِهم بدينهم تمسُّكاً ، وخَطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك ؛ فأَخبرني من شهدها أَنّها كانت تحمل على الناس وترتجز : [من الرجز]

أَحمِلُ رأْساً قد سئمتُ حَمْلَهْ وقد مَلِلْـت دَهْنَه وغسلَهْ

أَلا فتىً يحملُ عنّي ثِقْلَهْ

قال : وهم يُفَدّونها بالآباء والأُمّهات ، فما رأَيت قبلَها ولا بعدها مثلَها .

أَخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا أَحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إليّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ؛ فيقول لهم : أَيّما أَحبُّ إليكم : أَقرأ عليكم القرآن أَو أُنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أَمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأَنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمتُ أَنّكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَملّوا ثم يفترقون .

[84] ـ أخبار سياط ونسبه

[نسبه وتلامذته]

سِيَاطٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمُه عبد الله بن وهب ، ويُكْنى أبا وهب ، مكيّ مولى خُزاعة . وكانَ مقدَّماً في الغِناء روايةً وصنعةً ، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب . وهو أُستاذ ابنِ جامع وإبراهيم الموصليّ ، وعنه أخذا ونَقَلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم ، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أُمِّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء : [من الخفيف]

مـــا سمعتُ الغناءَ إلاّ شَجاني مِـنْ سياطٍ وزادَ في وَسْواسي

غَنِّني يا سياطُ قد ذهبَ الليـ ـل غناءً يَطير منـه نُعاسي

مـــا أُبـالي إذا سمعـتُ غناءً لسياطٍ مـــا فاتنـــي للرُّؤاسي

والرؤاسيّ الذي عَناه هو عبّاس بن مِنْقار ، وهو من بني رُؤاس . وفيه يقول محمّد بن أبان الضَّبّيّ : [من الهزج]

إذا واخيـــتَ عبّاساً فكُن منـه على وَجلِ

فتـــىً لا يقبل العـذرَ ولا يرغب في الوصلِ

ومـــا إن يتغنّى مَـنْ يُواخيـه مـــن النُّبْلِ

[سبب تلقيبه بسياط]

قال حَمّاد بن إسحاق : لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنّه كان كثيراً ما يتغنّى : [من الوافر]

كأنّ مَزاحِـفَ الحيّـاتِ فيه قُبيـــلَ الصبح آثـــارُ السِّياطِ

[مدح إبراهيم الموصليّ غناءه]

وأخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثني هارون بن مخارق[1] عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله بن عبّاس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ ، ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ، عن حمّاد عن أبيه ، قالا :

[طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنّه يريد الإيقاع بهم]

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسياط ؛ فقال له ابنه إسحاق : لَمن هذا الغنـاء يا أبتِ ؟ قال : لَمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسياط . قال : وقال المهديّ يوماً وهو يشرب

1 في ل : مخالف .

لسَلاّم الأَبرش[1] : جئني بسِياط وعقاب وحِبال ؛ فارتاع كلُّ مَن حضر وظنّ جميعهم أنّه يريد الإيقاعَ بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني ـ وكان الذي يُوقِع عليه ـ وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال : مرَّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سَمَلُ ثوبٍ رقيق رَثّ ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ، غنّني صوتَك في شعر ابن جُنْدَب : [من الطويل]

فؤادي رَهينٌ في هواكِ ومهجتي تذوب وأجفاني عليك هُمولُ

فغنّاه إيّاه ، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يا ابن أخي ، إنّ الشعر الحسنَ من المغنّي الحسنِ ذي الصوتِ المُطْرِب أدفأ للمقرور من حَمّام مُحمًّى . فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا من الذين قال الله تبارك وتعالى : ﴿الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ . وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه فذكر قريباً من هذا ؛ ولفظُ أبي أيّوب وخبرُه أتمّ .

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعيّ ، المعروف بابن أبي اليَسَعْ ، قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة : أنّ سِياطاً مَرَّ بأبي رَيْحانة المَدَنيّ ، فقال له : بحقّ القبر ومَنْ فيه غَنّني بلَحْنك في شعر ابن جُنْدب : [من الطويل]

لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ إذا بكى ودمعُك منهلٌّ وقلبك يخفُقُ
مخافةَ بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وهجرةٍ تكونُ ولمّا تأتِ والقلبُ مُشْفِقُ
ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوف عَتْبها وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَقُ
أظلُّ خَلِيعاً بين أهلي متيَّماً وقلبي لِما يرجوه منها معلَّقُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلمّا استوفاه ضرب بيده على[2] قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشي عليه .

فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ ما تقدّم .

---

1 سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية أيّام البرامكة .

2 في ل : إلى .

[سمع أبو ريحانة جارية تغنّي فشقّ قربتها واشترى لها عوضها]

أخبرني إسماعيل قال حدَّثني عمر بن شبّة قال : مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تبذُلُ
وأخنع بالعُتْبى إذا كنتُ مُذنِباً وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصّلُ

فقام إليها فقال : يا سيِّدتي أعيدي ؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري ؛ فقال : أنا أحملها عنكِ ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنّته الصوتَ ، فطرِب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمِن حقّي أن أُغنّيك وتشقّ قربتي ؟ فقال لها : لا عليك ، تعالَيْ معي إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿فما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿الّذين يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثني أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصليّ : بلغني أنّ أبا رَيْحانة المدنيّ كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميصٌ خَلَق رَقيق ؛ فمَرَّ به سِياط المغنّي فوثب إليه وأخذ بلِجامه وقال له : يا سيِّدي ، بحقِّ القبر ومَنْ فيه غنّني صوتَ ابن جُنْدب ، فغنّاه : [من الطويل]

فؤادي رهينٌ في هَواكِ ومُهجتي تَذُوبُ وأجفاني عليك هُمولُ

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِياطٌ واقفٌ متعجِّب ممّا فعل . ثم أفاق وقام إليه ؛ فرحمه سِياط وقال له : ما لك يا أبا مشئوم ؟ أيَّ شيء تريد ؟ قال : غنّني بالله عليك : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـان منكَ رَحِيلُ إنّ الوداع لمـن تحـبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلـتْ أعطافُه فالريح تجـذِب مَتْنـه فيَميلُ
إنْ كان شأنكم الدَّلال فإنّه حَسَنٌ دلالكِ يـا أُميمَ جَميلُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلطَم وجهَه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلمّا أفاق قيل له : ويحك ؛ خرقتَ قميصَك وليس لك غيره ؛ فقال : دعوني ، فإنّ الغناء الحسن من المغنّي المطرب أدفأُ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أُوقِد سبعةَ أيّام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراويلَ وعِمامة .

[زاره إبراهيم الموصليّ وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبو أيُّوب المدنيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الخُزاعيّ وحَمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال : كان سياطٌ أستاذَ أبي وأستاذَ ابن جامع ومَن كان في ذلك العصر . فاعتلّ علّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أعْزِز عليّ بعلّتك أبا وهب ! ولو كانت ممّا يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْم الأستاذ والسيِّد . قال : قد غنَّيتُ لنفسي ستّين صوتاً فأحبّ ألاّ تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبي : أفعلُ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أيّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأقصّر عنه فيُعرَف فضلُك عليّ فيه ، أو أن يكونَ فيه نقصٌ فأحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عنّي لك ؟ [قال] : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعيّ في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خُزاعيّاً ، وكان له زامر يقال له حِبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حمّاد قال أبي : أدركتُ أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء ، سِياطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه في أوّل أيّام موسى الهادي .

[زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب عن مصعَب قال : دخل ابن جامع على سِياط وقد نزل به الموتُ ؛ فقال له : ألكَ حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تَزِد في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنّما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً .

[دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمّاد قال حدَّثني محمَّد بن حَديد أخو النَّصْر بن حديد : أنَّ إخواناً لسياط دعَوْه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميِّتاً في منزلهم ، فجاءوا إلى أمِّه وقالوا : يا هذه ، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنس بقربه فمات فجأةً ، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ ، ونَشَدْناكِ الله ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا ما لَم نفعلْه . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صَدَقتم ، وهكذا مات أبوه فجأةً . فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكرت هذه القصّةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي ، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

[غنّى أحمد بن المكّيّ إبراهيم بن المهديّ صوتاً فاستحسنه]

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيّات ، واللفظ له ، قالا حدَّثنا أبو أيّوب قال حدَّثنا أحمد بن المَكّيّ قال : غنَّيتُ إبراهيمَ بن المهديّ لسياط : [من الخفيف]

ضافَ قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي

فاستحسنه جداً ، وقال لي : ممّن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشيَّة الزَّبّاء ؛ فقال : أُشعرتُ أنَّه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهنّ تسمّى قرشيّةً ، منهنّ قرشيّة الزبّاء وقرشيّة السوداء وقرشيّة البيضاء ، وكانت الزبّاء أحسنَهنّ غناء ، يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت ، قال : وكنت أسمعها كثيراً تقول : قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدتُ أغانيَهم ، فما رأيتُ فيهم مثلَ سياط قطُّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

ضاف قلبي الهوى فأكْثر سَهْوي ... وجَوَى الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْوِ
لـو عـلا بعضُ ما علاني ثَبيراً ... ظَلَّ ضَعْفاً ثبيرُ مِن ذاك يَهْوِي
مَن يكن من هوى الغواني خَلِيّاً ... يـا ثِقاتـي فإنّنـي غيرُ خِلْوِ

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يـا أُمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم ... جُهدي وأَعْذرتُ فيـه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ ، وقد أَصبحتِ سالمةً ... ممّـا أُعالـج مـن هـمٍّ وتَذكارِ

لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر . والغناء للرَّطّاب . والرَّطّاب مدنيٌّ قليل الصنعة ليس بمشهور . وقيل له الرَّطّاب لأنّه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة . ولحنُه المختار هزجٌ بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

تَصَدّع الأُنسُ الجميعُ ... أَمْسى فقلبي به صُدوعُ[1]
في إثرهم وجفونُ عيني ... مُخْضَلّـةٌ كلّهـا دُموعُ

1 الأُنسُ : الحي المقيمون .

لم يُسمّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفيّ . ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوتَ في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دَكين ، وجنّسه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنّه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَريض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنكِ صبراً　　كُلِّـف ما ليس يستطيعُ
عاصٍ لمن لام في هواكـمْ　　وهْـوَ لكـمْ سامعٌ مطيعُ

ولم أجد لدكين بن يزيد هذا خبراً ولا له شهرة غيره من المغنّين .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الرجلُ الذي　　قـد زان منطقَه البيانُ
لا تَعتبنّ على الزمـا　　نِ فليس يُعْتِبك الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضيّ . والغناء لنُبَيه المُغَنّي ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنّه وقع إليّ له خبرٌ إلاّ ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع ، مولى قريش ، من أهل البصرة . وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد ، فكان مقدّماً فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدّب أولادَهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جدّاً . وكان يقول أوزاناً من العروضِ غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثَر شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه .

[85] ـ ذكر نُبيه وأَخباره

[نسبه وأُصله وشعره وسبب تعلّمه الغناء]

زعم ابن خُرْدَاذْبه أنّه رجل من بني تَمِيم صَلِيبةٌ ، وأنّ أَصلَه من الكوفة ، وأنّه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي ، ويقول شعراً صالحاً . فهوِيَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها ؛ ولم يزل يتزيّد حتى جَادَ غناؤه وصنَع فأَحسن واشتهر ، ودُوِّن غناؤه وعُدّ في المُحسِنين . فممّا قاله في هذه الجارية وغنّى فيه قولُه : [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إنّي ما جفوتُ وقد جفتْ فإليـك أَشكو ذاكَ يـا ربّـاهْ
مولاةُ سَوْءٍ مـا تَـرِقُّ لعبدهـا نِعْـم الغـلامُ وبئستِ المـولاهْ
يـا ربِّ إن كانت حياتي هكذا ضرراً عـليَّ فمـا أُريـدُ حيـاهْ

الغناء لنُبَيه ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . ومن الناس مَن يَنسِب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهديّ .

[سمع مخارق مدح إبراهيم الموصليّ لغنائه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قلت لمخارق ، وقد غنّى هذا الصوت يوماً : [من الطويل]

متى تجمع القلبَ الذكيّ وصارماً وأَنفـاً حَمِيّـاً تَجْتنِبْك المظالمُ[1]

فسألته لمَن هو ؛ فقال : هذا لنُبَيه التَّمِيميّ ؛ وكان له أَخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان ، وكان ينزل شَهارْسُوج[2] الهيثم في درب الرَّيْحان . قال أبو زيد : وسمعتُ مخارقاً يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعتُ أَباك إبراهيم بن مَيْمون يقول وقد ذكر نُبَيْهاً : إن عاش هذا الغلام ذهب خَبَرُنا . قال : وكنتُ قد غنّيته صوتاً أَخذته عنه ، وهو : [من الطويل]

شكوتُ إلى قلبي الفراقَ فقال لي مِن الآن فايْأَس لا أُغُرّك بالصبرِ

1 هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشّاعر .

2 شهارسوج الهيثم : محلّة من محال بغداد .

إذا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وأسلمني العزا ... ففُرقة مَن أهـوى أحرُّ من الجمرِ

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني ابن أَبي سعد[1] عن محمَّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني عليّ بن المفضَّل قال : اصطبحنا يوماً أنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أَبي غسّان ، فغنّانا نُبَيه لحنَه : [من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الرجل الذي ... قـد زان منطقَه البيانُ

فما سمعت أَحسنَ منه ، وكان صوتُنا عليه بقيّةَ يومنا . ثم أَردنا الانصراف ، فسأَلَنا عُبيد الله أَن نَبيتَ عنده ونصطبح من غدٍ فأَجبناه . وقال لنُبَيْه : أَيَّ شيء تشتهي أَن يُصلَح لك ؟ قال : تشتري لي غزالاً فتُطعمني كبدَه كَباباً ، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحبّ ؛ فقال : أَفعل . فلمّا أَصبحنا جاءه بغزال فأَصلحه كما أَحبّ . فلمّا استوفى أَكْلَه استلقى لينام ، فحرّكناه فإذا هو ميت ، فجزعْنا من ذلك . وبعث عبيدُ الله إلى أُمّه فجاءت فأَخبرها بخبره . فلمّا رأَته استرجَعَتْ[2] ثم قالت : لا بأس عليكم ؛ هو رابع أَربعة ولدتُهم كانت هذه ميتَتهم جميعاً وميتةَ أَبيهم من قبلهم ؛ فسكنّا إلى ذلك . وغُسِّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلِّي عليه ، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرتي ... تَرَقْـرَقُ في العينـين ثـم تَسيلُ

أسائل ربعـاً قـد تعفّـتْ رسومُه ... عليـــه لأَصنافِ الريـاحِ ذُيولُ[3]

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر . والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 هو عبد الله بن أبي سعد .

2 استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

3 الذّيول من الريح : ما تتركه في الرّمل كأثر ذيل مجرور .

[86] ـ أَخبار سُلَيْم

[انقطع إلى إبراهيم الموصليّ وهو أمرد فأحبّه وعلّمه]

هو سُلَيم بن سَلاّم الكُوفيّ ، ويُكنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ الموصليّ ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وغنّاه وناصحه ، فبرُع وكثُرت روايتُه ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعنُ عليه . واتّفق له اتّفاقٌ سيىء : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح بن العَوْراء وحَكَم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس ، فلمّا مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه : أنّ إسحاق قال في سُلَيم : [من الطويل]

سُليمُ بنُ سَلاّم على بَرْدِ خَلْقه أَحرُّ غِناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِزِ

[سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنّين فأجابه]

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق : أنّ الرشيد قال لبَرصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقولُ في ابن جامع ؟ قال : زِقٌ من أَسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزيد حَوْراء ؟ قال : ما أَبْيدَ أسنانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فَحُسين بن مُحْرِز ؟ قال : ما أهسن خظامه ! (يريد ما أحسن خضابَه) . قال : فسُلَيم بن سَلاّم ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

[نصحه برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد]

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق : وغَنّى سُلَيم يوماً وبَرْصُوما يزمِرُ عليه بين يديّ الرشيد ، فقصرَّ سُلَيم في موضع صيحة ، فأخرج برصوما النايَ من فِيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله ، صَيهة أشدّ من هذا ، صيهة أشدّ من هذا ؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أذكر أنّي ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

[كان يجيد الأهزاج فغنّى الرشيد فوصله]

أخبرني محمَّد بن مَزيد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمَّد بن الحسن بن مصعَب : إنّما أخّر سُلَيماً عن أصحابه في الصنعة وَلَعُه بالأهزاج ، فإن ثُلُثَي صنعته هَزَج ، وله من ذلك ما ليس لأحدٍ منهم . قال : ثم قال محمَّد : غنّى سُلَيم يوماً بين يديّ الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهَزَج وِلاءً ، أوّلها : [من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أَسَفا

والثاني : [من السريع]

أسرفتَ في الإعراض والهَجْر

والثالث : [من مخلّع البسيط]

أَصبح قلبـي بـه نُـدوبُ

فأَطربه وأَمر له بثلاثين أَلف درهم ، وقال [له] : لو كنتَ الحَكَم الوادي ما زِدْتَ على هذا الإحسان في أَهزاجك . (يعني أَنّ الحكم كان منفرداً بالهزج) .

نسبة هذه الأَصوات

صوت

[من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أَسفا ... لستَ منـه بمصيب خَلَفا
لن تَـرى قُـرَّة عينٍ أَبداً ... أَوْ تـرى نحوَهـمُ مُنْصَرَفا
قلتُ لَمّا شفَّني وجدي بهم ... حَسْبِيَ اللهُ لِمَا بـي وكفى
بَيّن الدمـعُ لَمـن أَبصرني ... ما تضمّنتُ إذا مـا ذَرَفا

الشعر للعبّاس بن الأَحنف . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان ، أَحدهما في الأَوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

أسرفتَ في الإعراض والهجرِ ... وجُزْتَ حـدَّ التِّيـه والكبرِ
الهجرُ والإعراضُ من ذي الهوى ... سُلَّـمُ ذي الغـدر إلى الغدرِ
مالي وللهِجْران حَسْبي الذي ... مـرَّ على رأسي مـن الهجرِ
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى ... مـا عرّف الخيرَ مـن الشرِّ

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر .

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

أَصبح قلبي بــه نُدوبُ ... أَنْدَبَــه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمادِياً منــه في التّصابي ... وقد عــلا رأسيَ المَشِيبُ
أَظننــي ذائقــاً حِمامي ... وأَنّ إلمامَــــه قريــبُ
إذا فؤادٌ شجاه حــبٌّ ... فقلَّمــا ينفَــعُ الطبيبُ

الشعر لأَبي نُواس . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ . وزعَمتْ بَذْلُ أَنّ الهزج لها .

[كان أَبوه من دُعاة أَبي مسلم]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا أَحمد بن أَبي طاهر قال حدَّثني هارون بن مخارق عن أَبيه قال : كان سُلَيم بن سَلاّم كوفيّاً ، وكان أَبوه من أَصحاب أَبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته ، فكان يكاتبُ أَهلَ العراق على يده . وكان سُلَيم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلاً .

[دعا صديقين ولمّا جاءا اشتريا طعاماً فأَكل معهما]

قال أَحمد بن أَبي طاهر وحدَّثني أَبو الحواجب الأَنصاريّ ، واسمه محمَّد ، قال : قال لي سُلَيم يوماً : امضِ إلى موسى بن إسحاق الأَزرق فادْعُه وَوافِياني مع الظهر ؛ فجئناه مع الظهر ، فأَخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذاً ، ولم يُطْعِمنا شيئاً ، ولم نكن أَكلنا شيئاً . فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً ، فأَدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل ؛ فدخل علينا ، فلمّا رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أَهكذا يفعل الناس ؟ تأكلون ولا تُطعمونني ؟ وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منّا حتى فَنِي الخبز والبيض .

[طلب من محمَّد اليزيديّ نظم شعر يغنّي به الخليفة ففعل]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني الفضل بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أَبي قال : كان سُلَيم بن سَلاَّم صديقي وكان كثيراً ما يغشاني . فجاءَني يوماً وأَعلمني الغلامُ بمجيئه ، فأَمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك في حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعد غد ، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأُريد أَن أُغنيه لحناً أَصنعه في شعرٍ لم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أَبياتاً أُغنّي فيها مِلاحاً ؛ فقلتُ : على أَن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن ؛ قال : أَفعل . فردُّوا دابّته وأَقام عندي ، وقلت : [من مجزوء الكامل]

أَتيتُك عائــذاً بــك مِنْـ ... ـــك لَمّــا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هــواك وبــي ... لِحَيْنــي يُضرب المثلُ

فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإنْ قَتل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

فغنّى فيه وشرِبنا يومئذٍ عليه ، وغنّانا عدّةَ أصوات من غنائه ، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذٍ .

[سرق محمَّد اليزيديّ معنيين من شعر مسلم بن الوليد]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني محمَّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أخي محمَّد قال : سمعت أبي يقول : ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلاّ معنيين : قال مسلم بن الوليد : [من الخفيف]

ذاكَ ظبيٌ تحيَّر الحسنُ في الأر كانِ منـه وجـال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْـ ـقاك إلاّ في النَّومِ أو في الأماني

فاستعرت معناه فقلت : [من مجزوء الرمل]

صوت

يـا بعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبـي ولساني[1]
ربّمـا باعَـدَك الدهـ ـرُ فأدنتْـك الأمـاني

الغناء في هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

قال : وقال مسلم أيضاً : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ أرضٍ فإنّي ذلـك الرجل القتيلُ

ويُروى : «أُصيبَ فإنّني ذاك القتيل» فقلت : [من مجزوء الكامل]

أتيتُكَ عائذاً بـك مِنْـ ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هـواك وبي لِحَيْنـي يُضـرب المثلُ
فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإن قَتـل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

[غنّى مخارقاً صوتاً ، فلمّا بلغ ابن المهديّ طلبه وغنّاه إيّاه]

وجدت في كتاب عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل ، ولم أسمعه من أحد : أنّ إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ، قال حمدون : وكنتُ فيهم ،

1 نسبت هذه الأبيات ليحيى بن المبارك اليزيديّ في وفيات الأعيان لابن خلّكان 344/2 .

وكان فيمَن دعا مُخارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب ، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيّها الأمير ، ما كان آفتي إلاّ سُلَيم بن سلاّم ؛ فإنّه مرَّ بي فدخل عليَّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتّى لم يبقَ فيَّ فضلٌ وأخذتُه. فقال له إبراهيم : فَغَنِّناه إملالاً[1] ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ نَدْماني فباكـرْ مُدامـةً ... معتَّقةً زُفَّـت إلى غيرِ خاطبِ
إذا عُتِّقَت في دَنّهـا العامَ أقبلتْ ... تَردّى رداءَ الحسنِ في عين شاربِ[2]

الغناء لسُلَيم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر قال فبعث إبراهيم إلى سُلَيم فأحضره ، فغنّاه إيّاه وطرَحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفـؤادُ مـن الصِّبا ... ومـن السَّفاهـة والعلاقِ
وحَطَطتُ رحـلي عن قَلو ... ص الحـبّ في قُلُصٍ عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ... ـمجرور عن قدمي وساقي
وكففتُ غربَ النفسِ حتّى ... مـا تَتُـوق إلى مَتـاقِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره ، بل قِيل : إنّه لعمرو .

1 يريد : غنّنا إيّاه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .

2 تردّى فلان : لبس الرداء .

[87] ـ أخبار ابن عبَّاد

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمَّد بن عَبّاد ، مولى بني مخزوم ، وقيل : إنّه مولى بني جُمَح ، ويُكْنى أبا جعفر . مكّي ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أُخَذ عنه الغناء ، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الدِّيوان بمكّة ؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

[قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمّه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن أبي خالد الكِنانيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال : والله إنّي لأمشي بأعلى مكّة في الشِّعب[1] ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننتُ أنّهم قالوا له : هذا ابن عبّاد ؛ فمال إليّ فمِلْتُ إليه ؛ فقال لي : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم ؛ قال : مِلْ معي هاهنا ، فملت معه ؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال : غنّني ؛ فقلت : أُغنّيك هكذا وأنت مالِك ! وقد كان يبلغني أنّه يثلِبُ أهلَ مكّة ويتعصَّب عليهم ، فقال : بالله إلاّ غَنَّيتَني صوتاً من صنعتك . فاندفعتُ فغنَّيته : [من الوافر]

صوت

أَلاَ يا صاحبيّ قِفا قليلاً ... على ربع تقادمَ بالمُنيفِ[2]
فأمستْ دورهم شَحِطَت وبانت ... وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيفِ

وما غنَّيته إيّاه إلاّ على احتشام . فلمّا فرغتُ نظر إليّ وقال لي : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقكَ كأنّه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحنُ من صدور غناء ابنِ عبّاد . ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

---

1 في ل : العشر .

2 المنيف : موضع وهو ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز وقيل : حصن باليمن .

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني جماعة من أهلِ العلم : أنّ ابنَ عبّاد الكاتب توُفّي ببغداد في الدولة العبّاسيّة ودُفن بباب حرب[1] . وقال أبو أيّوب : أظنّه فيمَن قدِم من مُغنّي الحجاز على المهديّ .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يـا طلـلاً غَيَّره بَعـدِي | صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أَراكَ بعد الأُنسِ ذا وَحْشَةٍ | لستَ كما كنتَ على العهدِ[2]
مـا لي أُبَكّـي طلَلاً كلّما | ساءلتُـه عَـيَّ عـن الردِّ
كان بـه ذو غُنُج أَهْيَفٌ | أَحْـورُ مطبوعٌ على الصَّدِّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[3] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكّيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

1 باب حرب : موضع ببغداد .
2 ذا في ل : في .
3 أبو أحمد هو يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم .

[88] ـ أخبار يحيى المكّيّ ونسبه

[اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبني أُميّة لخدمته الخلفاء من بني العبّاس]

هو يحيى بن مرزوق ، مولى بني أُميّة ، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بني العبّاس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه ؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطنَ الذي ولاؤه لهم ، واستعفى مَن سأله عن ذلك . ويُكنى يحيى أبا عثمان . وذكر ابن خُرْدَاذْبَهْ أنّه مولى خُزاعة . وليس قولُه ممّا يحصَّل ، لأنّه لا يَعْتمد فيه على رواية ولا دِرَاية .

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ ، وقد لقيتُ وسواسة هذا ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّماً ، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَر عن أبي بكر رحمه الله ، قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبي : سألت يحيى المكّيّ عن ولائه ، فانتمى إلى قريش ؛ فاستزدتُه في الشَّرح فسألني أن أُعفيَه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال : كان يحيى المكّيّ يُكنى أبا عثمان ، وهو مولى بني أُميّة ، وكان يكتم ذلك ويقول : أنا مولى قريش .

[مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان]

ولمّا قال أعشى بني سُلَيم يمدحُ دَحْمان : [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيانا

فأبلِغوه عن الأعشى مقالتَه ... أعشى سُلَيم أبي عمرو سُليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته ... يا ليتَ دحمانَ قبل الموت غنّانا[1]

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ ، ويقال إنّ ابنه حَمْدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنّها لأبان ، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى : [من البسيط]

يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه ... على المغنّين طُرّاً قلتَ بهتانا

لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به ... لم تمتدحْ أبداً ما عشتَ إنسانا

1 الموت في ل : اليوم .

ولم تقُل سَفَهاً في مُنيةٍ عَرَضتْ يا ليت دحمانَ قبل المـوت غنّانا
لقـد عجِبـتُ لدحمانٍ ومادِحه لا كان مـادحُ دحمانٍ ولا كانا
مـا كان كابن صغير العين إذ جرَيا بل قام في غاية المجرى وما دانَى
بـذّ الجيـادَ أبو بكـرٍ وصيّرها من بعدِ ما قَرِحتْ جُذْعاً وثُنْيانا[1]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين ، وهو من مغنّي مكّة . وله أخبار تُذكَر في موضعها إن شاء الله تعالى .

[منزلته في الغناء وتلاميذه]

وعُمّر يحيى المكّي مائةً وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لَم يُصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته ، فخرج أكثرُهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يَخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمَّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ ، وكان يغنّي مرتجلاً ، ويحضُر مجلسَ المعتمد مع المغنّين فيُوقِع بقضيب على دواة . ولَقِيَه جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعةٌ ممّن أدركنا من عجائز المغنّيات ، منهم قمريّة العَمْريّة ، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة . وممّن أدركه من أصحابنا جَحْظة ، وكتبنا عنه عن ابن المَكّيّ هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيْح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعايي بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعةٌ عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتابٌ في الأغاني ونِسَبها وأخبارها وأجناسها كبيرٌ جليل مشهور ، إلاّ أنّه كان كالمطَّرح عند الرّواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد ، فإنّه صحّح كثيراً ممّا أفسده أبوه ، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه ، وحقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

[عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر فصحّحه ابنه لمحمّد بن عبد الله]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثني وَسْواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي قال : عَمِل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ شابّ حديثُ السنّ ، فاستحسنه وسُرَّ به ؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عواراً كثيراً في نِسَبه ، لأنّ جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت ألبتّة ، وينسِبُ صنعته إلى المتقدّمين ، وينحل بعضَهم صنعةَ بعض ضنّاً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله وبقي في خِزانته ؛ ثم وقع إلى

---

1 قرح الفارس : صار قارحاً وهو الذي شقّ نابه وطلع . الجذع : ما كان في الثانية من سنه . وثنيان جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه .

محمَّد بن عبد الله ، فدعا أَبي ، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلاً ، فعَرَضه عليه ؛ فقال له : إنّ في هذه النِّسب تخليطاً كَثيراً ، خلّطها أَبي لضنّه بهذا الشأن على الناس ، ولكنّي أَعمل لك كتاباً أُصحّح هذا وغيرَه فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر أَلف صوت وأَهداه إليه ، فوصله محمَّد بثلاثين أَلف درهم . وصحّح له الكتابَ الأَوّل أَيضاً فهو في أَيدي الناس . قال وَسْواسة : وحدَّثني حمّاد أَنّ أَباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكّيّ تقديماً كثيراً ويفضّله ويناضل أَباه وابنَ جامع فيه ، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذي لا يعرفه أَحدٌ منكم من أَحد أَمرين : إمّا أَن يكون مُحقّاً [فيه] كما يقول ، فقد علم ما جهلتم ، أَو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين ، كما تقولـون ، فهو أَفضل [له] وأَوضح لتقدّمه عليكم . قال : وكان أَبي يقول : لولا ما أَفسد به يحيى المكّيّ نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك ، لَمّا تقدّمه أَحد . وقال محمَّد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً ، ولا يزال يصنع الصوتَ بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أُخرى وبابن سُريج وابن مُحرز ، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أَحدث [فيه] من ذلك ، فيأتي بأَحسن صنعة وأَتقنها ، وليس أَحد يعرفها ؛ فيُسأَل عن ذلك فيقول : أَخذته عن فلان وأَخذه فلان عن يونس أَو عن نظرائه من رواة الأَوائل ، فلا يُشَكّ في قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أَحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأَخذه من مَظانّه ودوّنه ، وكشف عَوار يحيى في منحولاته وبيّنها للناس .

[أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه]

أَخبرني عمّي [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أَحمد بن سعيد المالكيّ ، وكان مغنّياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوّاد ، قال : حضرتُ يحيى المكّيّ يوماً وقد غَنى صوتاً فسُئل عنه فقال : هذا لمالك ، ولم يحفظ أَحمد بن سعيد الصوتَ ، ثم غنّى لحناً لمالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لي ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا ؟ فديتُك ، وتضاحك به . فسئل عن صانعه فأَخبر به ، ثم غنّى الصوتَ . فخجل يحيى حتى أُمسك عنه ؛ ثمّ غنّى بعد ساعة في الثقيل الأَوّل ، واللحن : [من مخلّع البسيط]

صوت

إنّ الخَليــطَ أَجَــدّ فاحتَملا ... وأَراد غيظَـك بالذي فعــلا

فظَلِلْتَ تأمُــل قـربَ أَوبَتهم ... والنفسُ ممّـا تأمُــل الأَمــلا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض ، فقال له إسحاق : يا أبا عثمان ، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته في الغناء ، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض ماله ولم تَتْعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه . فلمّا انصرف بعثَ إلى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع ، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له : لستُ من أقْرانك فتُضادَّني ، ولا أنا ممّن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني ، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأُعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني ، فأُعطي غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له ، وأنت أولى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى ، فكتب إليه يعتذر ، وردّ الألطافَ التي حملها إليه ، وحلَف لا يعارضه بعدها ، وشَرط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد ؛ فوفّى له بها ، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدّمين . وكان إذا حَزَبه أمرٌ في شيء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه ؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى ، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صَدَق فيه ، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إيّاه وأفاده وناصحه ، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أبي محمّد ما الله يعلم أنّي كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك ؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصّباً شديداً ، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته ، وكذلك كان في وَصْف أحمدَ ابنِه وتقريظه .

[عدد أصواته التي صنعها]

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلافِ صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد ، والباقي متوسِّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد بن يحيى المكّيّ عنه أنّه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها ألف وثلثمائة صوت ، منها مائة[1] وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومَن تأخّر ، فلم يُقم له فيها أحد .

[كان ينسب الأصوات عمداً لغير أصحابها فافتضح أمره]

وقال حمّاد بن إسحاق قال لي أبي : كان يحيى المكّيّ يُسأل عن الصوت ، وهو يعلم لِمَن هو ، فينسبُه إلى غير صانعه ، فيُحمل ذلك عنه كذلك ، ثم يسأله آخرون فينسبُه غيرَ تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه ، فظهر عَواره ، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

---

1 في ل : ثلاثمائة .

[أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد]

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره : قال إسحاق يوماً للرشيد ، قبل أن تَصْلُح الحال بينه وبين يحيى المكّيّ في ما ينسبه من الغناء : أتحبّ يا أمير المؤمنين أن أريه كذبَ يحيى فيما يدعيه من روايته ؟ قال نعم . قال : أعطني أيَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه ، واسألني بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنّي سأنسبه إلى رجل لا أَصْلَ له ، واسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنّه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغنّاه الرشيد ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلمّا حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لَمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنتَ لقيتَ غناديس المديني ؟ قال : نعم ، لقيتُه وأخذتُ عنه صوتين ؛ ثم غنّى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلمّا خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق [ثلاثاً] وعِتْقِ جواريه : أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس ، ولا سُمع به في المغنّين ولا غيرهم ، وأنّه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

[علم إسحاق صوتاً غنّاه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل قال : غنّى جدّي يوماً بين يدي الرشيد : [من الطويل]

صوت

هــل هيّجتكَ مَغاني الحيّ والدُّورُ فاشتقْتَ إنّ الغريبَ الدارِ معذورُ
وهــل يَحُلّ بنـا إذ عيشُنا أَنِقٌ بِيضٌ أَوانسُ أَمثــالُ الدُّمَى حُورُ

والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ، فسار إليه إسحاق وسأله أن يُعيده إيّاه ؛ فقال : نعم ، حبّاً وكرامةً لك يا ابن أخي ، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلمّا انصرف بعث إلى جدّي بتَخْتِ[1] ثياب وخاتم ياقوت نَفيس .

[دسّ له إبراهيم بن المهديّ مَن أخذ عنه صوتاً بثمنٍ غالٍ]

حدَّثني جَحظة قـال حدَّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقيّ قـال : قال لي إبراهيم بن المهديّ : وَيْلَك يا مارقيّ ؛ إنّ يحيى المكّيّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ ، وقد كان النبيذ أخذ منّي فأنسيتُ شعرَه ، واستعدتُه إيّاه فلم يُعده ، فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[2] . فقال لي المارقيّ ، وأنا يومئذٍ غلامُه ،

1 التخت : وعاء تصان فيه الثياب .
2 السبق : الخطر يوضع في السّباق مَن سبق أخذه .

اذهب إليه فقل لـه إنّي أسأله أن يكونَ اليومَ عندي ؛ فمضيت إليه فجئته به . فلمّا تغدَّوْا وُضع النبيذ ؛ فقال له المارقيّ : إنّي كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحبّ أن آخذه منك ، وكان يحيى يوفّي هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنه إلاّ بحذر ، ولا يدع الطلبَ والمسألةَ ، ولا يُلقي صوتاً إلاّ بِعَوض . قال لي جحظة في هذا الفصل : هذا فديتُك فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال ، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم[1] تغافلوا عنّا ، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومني أن أشتِمهم ؟ فقلتُ : ما عليك لوم . قال : فقال له يحيى : وأيّ شيء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوتَ ؟ قال : ما تريد ؛ قال : هذه الزَّرْبيّة[2] الأرمينيّة ، كم تقعد عليها ! أمَا آن لك أن تَمَلَّها ؟ قال : بلى ، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة ، وأنا مكّيّ لا أنت ، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك ، وأمر بحملها معه . فلمّا حَصَلت له ، قال المارقيّ : يا غلام ، هات العود ؛ قال يحيى : والميزانَ والدراهم ، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً ، فأعطاه إيّاها ؛ فألقى عليه قولَه : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ وقُلْ إن تَمَلّينا فما ملّكِ القلبُ

ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أوّل ، فلم يشكّ المارقيّ أنّه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه . فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ ، فقال له : قد جئتك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إيّاه ؛ فقال له : لا والله ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً . فلمّا دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليتَ بين دَعَواتك لي ، ولم تكن بَرّاً ولا وَصولاً ، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلاّ محبّتي للأخذ عنك والاقتباس منك ؛ فقال : سَرّك الله ، فَمَهْ . قال : تذكّرتُ الصوتَ الذي سألتك إيّاه فإذا ليس هو الذي ألقيتَ عليّ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل ، ثم اندفع فغنّاه : [من البسيط]

أَلِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفِدا قَلّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا[3]

والغناء لمعبد ثقيل أوّل فقال له : نعم ، فديتُك يا أبا عثمان ، هذا هو ، أَلْقِه عليّ ؛ قال : العِوَضَ ؛ قال : ما شئتَ ؟ قال : هذا المِطْرَف الأسود ؛ قال : هو لك . فأخذه وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له ، وبكّر إلى إبراهيم ؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيتُ

1 في ل : مكارمة .

2 الزربية : واحدة الزرابيّ وهي البُسط .

3 أفد : دنا .

الحاجةَ ؛ فدعا له بعود فغنّاه ؛ فقال : خدعك والله ، ليس هذا هو ؛ فعاودْ الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تعطيه إيّاه ففي ذمّتي . فلمّا كان اليومُ الثالث بعث بي إليه ، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فما لك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان ، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ ؛ فقال له : لستُ أعلم ما في نفسك فأذكرَه ، وإنّما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب ألبتّةَ إلاّ أحضرتها ؛ فقال : هاتِ على اسم الله ؛ قال : اذكرِ العِوَضَ ؛ قلت : ما شئتَ ؛ قال : هذه الدُّرّاعة الوَشْيُ التي عليك ؛ قال فخذها والخمسين الدرهم ، فأحضرَها . فألقى عليه والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل : [من الطويل]

لزينبَ طيـفٌ تعترينــي طوارقُـه ... هدوءاً إذا النجمُ ارجحَنَّت لواحقُه[1]

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم ، فصادفه يشرب مع الحُرَم ؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل ؛ فقال : قل له : قد جئتك بحاجتك . فدخل فأعلمه ؛ فقال : يدخلُ فيغنّيه في الدار وهو قائم ، فإن كان هو وإلاّ فليخرج ، ففعل ؛ فقال : لا والله ما هو هذا ، ولقد خدعك ، فعاود الاحتيالَ عليه . ففعل مثل ذلك بيحيى ؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظَفِرتَ بزينبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان ، وما أشكّ في أنّك تَعتمدني بالمنع ممّا أُريده ، وقد أخذتَ كلّ شيء عندي معابثةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن ، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم ، لك الشريطة ؛ قال : لا تَلُمني في أن أعابثك لأنّك أخذت في معابثتي ، والمطلوبُ إليه أقدرُ من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنّك تظفر منّي بما تريد ، إنّما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ منّي صوتاً غنّيتُه ، فسألني إعادتَه فمنعتُه بخلاً عليه لأنّه لا يلحقني منه خير ولا بركة ، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً ، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ؛ لا والله إلاّ بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك ، وإلاّ فلا تطمع في الصوت . فقال له : أمّا إذ فطنتَ فالأمرُ وَاللهِ على مَا قلتُ ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هُوَ هُوَ وإلا فعليكَ إعادتُـه ، ولو غنّيتَني كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلاّ به ؛ قال : اشتره . فتساوما طويلاً ومَاكَسهُ حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم ، فدفعها إليه ، وألقى عليه : [من الكامل]

صوت

طَرَقتْـك زينبُ والمَـزار بعيدُ ... بمنى ونحـن مُعرِّسون هجودُ

فكأنّما طَرَقـتْ بريّـا روضةٍ ... أُنُفٍ تُسَحْسِح مُزنَها وتَجُودُ

لحنه خفيف ثقيل . قال : وهو صوت كثير العمل ، حلو النَّغَم ، مُحكم الصَّنْعة ، صحيح

1 ارجحنّت : اهتزّت ومالت .

القسمة ، حسن المقاطع فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني ، وأبلاني بوجه يحيى المكّيّ وشحّه وطلبه وشرَهه ، وحدّثه بالقصّة ؛ فضحك إبراهيم . وغنّاه إيّاه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذه ، وأخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم ، وحمله على برذون أشهبَ فارهٍ بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيّدي ؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ ، هَبْ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .

[غنّى للأمين لحناً أراد المغنّون أخذه عنه فأبى]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثتني رَيِّق وشارِية جميعاً قالتا : كان مولانا ، تعنيان أبي ، في مجلس محمّد الأمين يوماً والمغنّون حضور ، فغنّى يحيى المكّيّ ، واللحن له خفيف ثقيل : [من مجزوء الوافر]

صوت

خليلٌ لي أهيمُ بـه فما كافـا ولا شَكَرا
بلى يُدْعَى لـه باسمي إذا مـا رِيعَ أو عثَرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيى يُفسده . وفطن الأمينُ بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط فيه ، فدعا له وقبّل الأرضَ بين يديه وردّ الصوت وجوّده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيى : ليست تَطيبُ لك نفسي به إلاّ بعوَض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته ، فلِمَ تأخذ أنت غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبّل يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوّده ، فنظر إلى مُخارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطى أستاه عدّة صبيان ، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال : يا سيّدي ، إنّي أصير إليك حتى تأخذَه عنّي متمكّناً ولا يَشْرَكَك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

[غنّى للرشيد بتل دارا فأكرمه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه قال : أُرسل إليّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بَتَلّ دارًا[1] ، فقال : يا يحيى ، غنّني : [من الطويل]

1 دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

متى تلتقي الأُلاّفُ والعيسُ كلَّما تَصعَّدْنَ مـن وادٍ هَبطنَ إلى وادِ

فلم أزل أُغنّيه إيّاه ويتناول قدحاً إلى أن أمْسى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ، وشرب عليه عشرةَ أقداح ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرني بالانصراف .

[مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتاً له]

وقال محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ في خبره حدَّثني أبي أحمدُ بن يحيى قال : قال لي إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبي : أيَّ شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه في شعر الأخطل : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا وأزعجتْهم نَـوىً في صَرْفِها غِيَرُ

كأنّنـي شاربٌ يـومَ استُبِدّ بهم من قَهْوةٍ عتّقتها حِمْص أو جَدَرُ[1]

لحن يحيى المكّيّ في هذين البيتين ثقيل أوّل ، هكذا في الخبر ، ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر ، ولابن سُرَيج رمل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

بَـانَ الخليـطُ فمـا أُؤمِّلـه وعفـا مـن الرَّوْحاء منزلُـهُ[2]

مـا ظَبيـةٌ أدمـاءُ عاطلـة تحنـو عـلى طِفـل تُطَفِّلُهُ

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر . قال أحمد : قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أنّ هذا الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : «على طفل تطفّله» .

قال : ومنها : [من الطويل]

صوت

وَكَفّ كَعوّاذ النقا لا يَضيرها إذا برزتْ ألاّ يكونَ خِضابُ

أنامل فُتْـخٌ لا تـرى بأصولها ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ[3]

ولحنه من الثقيل الثاني .

---

1 جدر قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الروحاء : قرية قرب المدينة .

3 فتخ : رخصة ليّنة .

قال : ومنها : [من المنسرح]

صوت

صادَتْكَ هنــدٌ وتلك عادتها فالقلــب ممّــا يَشُفّــه كَمِــدُ
كم تشتكي الشوقَ من صبابتها ولا تبــالي هنــدٌ بمــا تَجِــدُ

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

أعَسيتَ مِــن سَلْمى هـوا كَ اليومَ محتـلاً جديـدا
ومَرابِـطَ الخيـلِ الجيـا دِ ومنزلاً خَلَقـــاً هَمُودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً .

قال : ومنها : [من المتقارب]

صوت

ألا مرحبــاً بخيـــالٍ ألــمّ وإن هاج للقلب طـولَ الألَمْ
خيـــالٌ لأسمــاءَ يَعتـــادني إذا الليــلُ مَــدَّ رُواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أوّل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

كم ليلةٍ ظلماءَ فيـــكِ سَرَيْتُها أتْعبتُ فيهـا صُحْبَتي وركابي
لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءَها ومواضعَ الأوتــاد والأطنابِ

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكّيّ : غنّى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه ، ثم قال له : قُم يا يحيى فخُذ ما في ذلك البيت ؛ فظنّه فرشاً أو ثياباً ، فإذا فيه أكياس فيها عَيْن ووَرِق ؛ فحُمِلتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَيْن .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي امرؤٌ مـا لي يَقي عِرْضي ويَبيت جـاري آمنـاً جَهْـلي
وأرى الذّمامـة للرَّفيـق إذا أُلقَـى رِحالتَـه إلى رَحْـلي[1]

ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ . قال ابن المكّيّ غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأوّل من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً ؛ فأعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً ، وأَسْكت لابن جامع المغنّين جميعاً ، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أَمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشر خِلَع ، وانصرف . فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكّيّ فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فأخبره بالذي كان من أَمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أَفَزاد على البيت الأوّل شيئاً ؟ قال لا ؛ قال أفرأَيتَ إن زِدْتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أَو عرفه ثم أُنسيه ، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لي ؟ قال : النصف مّما يصل إليّ بهذا السبب ؛ قال : والله ؟! فأَخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أَيماناً مؤكّدة ؛ ثم زاده البيتَ الثاني وأَلقاه عليه حتى أَخذه وانصرف . فلمّا حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أَوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثاني وتحفَّظ فيه فأَصاب وأَحسن كلَّ الإحسان ، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر ، وأَمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلَع ؛ فحَمَل ذلك كلَّه ، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد ، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه ؛ فدفَع ابنُ جامع في صدر بوّابه ودخل إليه ، فقال له : إيه يا يحيى ، كيف صنعتَ ! أَلقيتَ الصوت على الجُرْمُقاني[2] ! لا رفع الله صَرْعتَك ولا وهب لك العافية . وتشاتما ساعةً ، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ .

[مدحه إسحاق الموصليّ في جمع من المغنّين عند الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني محمَّد بن أَحمد بن يحيى المكّيّ عن أَبيه قال قال لي إسحاق :كنت أنا وأَبوك وابن جامع وفُلَيح بن أَبي العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يوماً عند الفضل بن الربيع ؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأَبيك (يعني يحيى) ، فجعلا يُغنّيان ويُباري كلُّ واحد منهما صاحبَه ، وذلك يعجب الفضل ، وكان يتعصّب لأَبيك ويُعجب به . فلمّا طال الأَمر بينهما قال له الزبير : أَنت تنتحل غناءَ الناس وتدّعيه وتَنحلهم ما ليس لهم . فأَقبل الفضل عليّ وقال : احكم أَيّها الحاكم بينهما ، فلم يخفَ عليك ما هما فيه ؛

1 الذّمامة : الحرمة والحقّ .

2 الجرمقاني : واحد الجرامقة من العجم .

فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيى ويغنّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يَرْووه وما لم نَرْوِه ، وعَلِم ما جهِلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعته إنّه لأحسن الناس صنعةً ، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء ، كان ما يغنّيه له أو لغيره . فسُرّ بذلك الفضلُ وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لي .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا بذي الزِّيّ الجميلِ من الأثاثِ

ظعائنُ أُسلِكتْ نَقْبَ المُنَقَّى تُحَثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ[1]

الشعر للنُّمَيريّ . والغناء للغريض ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 نقبَ المنقّى : موضع .

[89] ـ أخبار النُّمَيريّ ونسبه

[نسبه]

هو محمّد بن عبد الله بن نُمَير بن خَرَشة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ ؛ وقَسِيّ هو ثَقيف . شاعر غَزِل ، مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجّاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها[1] .

[كان يهوى زينب أُخت الحجّاج بن يوسف ، وسياق أحاديثه مع الحجّاج بشأنها]

حدّثني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط بن بكر المُحاربيّ ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدَّثنا عمر بن شبّة : أنّ النميريّ كان يَهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمّه . وأمّهما الفارعة بنت همّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقفيّ ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوماً بُكْرةً وهي تتخلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت ، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ ، وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرّة أنت ؛ والله ما هو إلاّ من شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني . قال حَبيب بن نصر خاصّةً في خبره : قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النَّبيل .

أخبرني حَبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثَّقفيّ ، وحدّثنا به ابن عَمّار والجوهريّ عن عمر بن شَبّة ، ولم يذكرا فيه يعقوبَ بن داود ، قالوا جميعاً : قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ وكان قاضي الجماعة بالمدينة : إنّي لمع محمّد بن عبد الله بن نُمَير بنَعْمان[2] وغلامٌ يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة : فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجّاج بن يوسف ، دَعْه فإنّي ذكرتُ أُختَه في شعري ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبّة في خبره : وولدت الفارعة أمُّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت ؛ فنازع الحجّاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد في ميراثها ؛ فأغلظ الحجّاج لعُروة ، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : ألأبي عبد الله تقول هذه المَقالة ! وكان الحجّاج حاقداً

---

1 في ل : يُنسب .

2 نعمان : هو نعمان الأراك ، وادٍ بينه وبين مكّة نصف ليلة .

على آل زياد يَنفيهم من آل أَبي سفيان ويقول : آل أَبي سفيان سُتة[1] حُمْش[2] ، وآل زياد رُسْحٌ حُدْل[3] .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنَذَرت زينب إن عُوفي أَن تمشي إلى البيت ؛ فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطنَ وَجّ[4] ، وهو ثلثمائة ذراع ، في يوم جعلتْه مرحلةً لثِقَل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكّة والطائف إلاّ في شهر . فبينا هي تسير [إذ] لقِيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيريّ أَخو محمَّد بن عبد الله منصرفاً من العمرة . فلمّا قدم الطائفَ أَتى محمّداً يسلّم عليه ؛ فقال له : أَلك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَماء[5] في بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أَحسبك إلاّ وقد قلت شيئاً ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أَن يَنْشَبَ بيننا وبين إخوتنا شرّ . فقال محمّد هذه القصيدةَ وهي أَوّل ما قاله : [من الطويل]

صوت

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... بـه زينـبٌ في نسوة عَطِـراتِ

فأَصبح مـا بـين الهَماء فحزوة ... إلى الماء ماء الجِزْع ذي العُشَراتِ[6]

لـه أَرَجٌ من مِجْمَر الهند ساطع ... تَطلّـعُ رَيّـاه مـن الكَفِراتِ[7]

تهادَين ما بين المُحَصَّب من مِنىً ... وأَقبلـن لا شُعْثـاً ولا غَبِراتِ

أَعان الذي فوق السموات عرشُه ... مـواشيَ بالبَطْحـاء مُؤْتجِراتِ

مَرَرْن بفَـخٍّ ثـم رُحْـن عشيّةً ... يُلبِّـين للرحمـن معتمِـراتِ[8]

يُخبِّئن أَطـرافَ البنان مـن التُّقى ... ويقتلـن بـالأَلحاظ مقتدراتِ

تَقَسَّمن لُبّي يـومَ نَعْمانَ إنّني ... رأَيتُ فؤادي عـارِم النظراتِ[9]

---

1 سُتة : عظام الأستاه .
2 حمش : دقاق السوق .
3 الحدل : جمع أحدل وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر .
4 وَجّ : اسم واد بالطائف .
5 الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكّة .
6 العشرات : جمع عُشَر ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو .
7 الكفرات جمع كَفِر وهو العظيم من الجبال .
8 فخ : موضع بينه وبين مكّة ثلاثة أَميال .
9 لُبّي في ل : قلبي . عارم : شارد النظرات حائرها .

جَلَوْنَ وجوهاً لم تَلُحْها سمائمٌ ... حَرُورٌ ولم يُسْفَعن بالسَّبَراتِ[1]

فقلتُ يَعافِيرُ الظباءِ تناولتْ ... نِياعَ غصون المَرْد مُهْتَصِراتِ[2]

ولمّا رأتْ ركبَ النُّمَيريّ راعَها ... وكُنّ مِنَ آنْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

فأُدْنَيْن ، حتى جاوز الركبُ ، دونها ... حجاباً من القَسِّيّ والحِبَراتِ[3]

فكدتُ اشتياقاً نحوَها وصَبابةً ... تَقَطَّعُ نفسي إثْرَها حَسَراتِ

فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعد ما ... بَلَلتُ رداءَ العَصْب بالعَبَراتِ[4]

غنّى ابن سُرَيج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان» ، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان ، فكتب إلى الحجّاج : قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فالْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره ، فإنّك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته ، وإن عاقبته صدّقته .

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبي قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو سَلَمة الغِفاريّ قال : هَرَب النُّمَيريّ من الحجّاج إلى عبد الملك واستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولمّا رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ مِنَ آنْ يَلْقَيْنه حَذِراتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميريّ ؟ قال : أربعة أحْمِرة لي كنت أجلُب عليها القَطِران ، وثلاثة أحْمِرة صحبتي تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجّاج أن لا سبيل له عليه . فلمّا أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينَّ على نفسه ، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى

1 السّبرات : جمع سبْرة وهي شدّة برد الشتاء .

2 النياع من الغصون : التي تحرّكها الرّياح فتتمايل .

3 القسّيّ : ضرب من الثياب ، وهو منسوب إلى قسّ ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتّان مخلوط بالحرير .

4 العصب : ضرب من البرود .

قوله : [من الطويل]

ولمّـا رأَتْ ركبَ النُّمَيْريِّ راعهـا وكنّ مِـنَ آنْ يلقينـه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنّها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أَنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

مَرَرْن بفَـخّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبّـين للرحمـن معتمِـراتِ

فقال : صدقتَ ، لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ما علمتُها . ثم أَنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخمِّرن أَطرافَ البنان من التُّقى ويخرجن جنحَ الليل مُعْتجِراتِ

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرّة المسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنّي أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب ، وقولَك قولَ بريء ، وقد أَمّنتك ، ولم يَعْرِض له . قال أَبو زيد[1] : وقيل : إنّه طالب عريفَه به وأَقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه ، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة :

[من شعره في زينب]

قال أَبو زيد : وقال النُّميريّ في زينب أَيضاً : [من الطويل]

صوت

طَرِبتَ وشاقتـك المنازلُ مـن جَفْنِ ألاَ ربّمـا يعتـادك الشوقُ بالحُزْنِ[2]

نظـرت إلى أَظعـان زينبَ باللّوى فأعولْتهـا لـو كان إعوالُها يُغني

فـوالله لا أَنساكِ زينبُ مـا دعتْ مُطوَّقةٌ ورقـاءُ شجـواً على غُصنِ

فإنّ احتمـال الحـيّ يـومَ تحمّلـوا عَناك وهـل يَعنيك إلاّ الذي يَعني

ومُرْسِلة في السرّ أَن قـد فضحتَني وصرّحتَ باسمي في النَّسيبِ فما تَكْني

وأشمتَّ بـي أَهلي وجُلَّ عشيرتي ليَهْنِئْك مـا تهواه إن كان ذا يَهْني

وقـد لامني فيهـا ابنُ عمِّيَ ناصحاً فقلتُ لـه خُـذ لي فؤاديَ أَو دَعْني

غنّى ابنُ سُريج في الأَوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأَبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أَبو زيد : فيقال : إنّه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ؛ فقالت لها خادمتها : ما يُبكيكِ ؟ فقالت : أَخشى أَن يسمعَ بقوله هذا

---

1 أبو زيد : هو أبو زيد بن عمرو بن شبة النميري البصري ، كان شاعراً إخبارياً فقيهاً .

2 جفن : اسم واد بالطائف لثقيف .

جاهلٌ بي لا يَعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقّاً .

قال : وقال النميريّ فيها أيضاً : [من الوافر]

أَهاجتْك الظعائنُ يــوم بانوا ... بذي الزِّيّ الجميل من الأَثاثِ
ظعائــنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ
تُؤَمِّل أن تُلاقــيَ أَهلَ بُصْرَى ... فيا لك مــن لقــاء مستراثِ[1]
كأَنّ على الحدائــج يوم بانوا ... نِعاجاً ترتعي بَقْــل البِراثِ[2]
يُهَيِّجني الحمــامُ إذا تَداعَــى ... كما سجَــع النوائحُ بالمَراثِي[3]
كأن عيونَهــنّ مــن التبكّي ... فصوصُ الجَزْع أو يُنْع الكَباثِ[4]
أَلاَقِ أَنت في الحِجَج البواقي ... كما لاقيتَ في الحِجَجِ الثلاثِ

[طلب أبو الحجّاج إلى عبد الملك ألاّ يجعل للحجّاج عليه سبيلاً فلقيه الحجّاج ولم يعرض له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أَبي حدَّثنا عثمان بن حَفْص وغيره : أَنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب بن الزبير ، وقال له : يا أَمير المؤمنين ، إنّ غلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمِّه ، وإنّ هذا (يعني ابنَه الحَجّاج) لم يزل يَتَتَوَّق إليه ويَهُمُّ به ، وأَنت الآن تبعثه إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحَجّاج فقال لـه : إنّ محمّداً النُّمَيريّ جارِي ولا سلطانَ لك عليه ، فلا تعرِض له .

قال إسحاق فحدَّثني يعقوب بن داود الثَّقَفيّ قال : قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ : كنتُ مع النُّمَيريّ وقد قتل الحجّاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخّر النُّميريّ حتى كان في آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ عليّ ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أَنشِدْني ما قلتَ في زينب ؛ قال : ما قلتُ إلاّ خيراً ؛ قال : لَتُنشِدَنّي . فأَنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ ... بـــه زينــبٌ في نسوة عَطِراتِ
أَعان الذي فوقَ السموات عرشُه ... مَــواشيَ بالبَطْحـــاء مؤتجِـراتِ

---

1 مستراث : مستبطأ .

2 الحدائج : جمع حديجة . والحديجة من مراكب النساء نحو الهودج والمحفّة . البِراث : الأماكن السهلة الرمل ، واحدها بَرْث .

3 النوائح في ل : النوادب .

4 الكباث : ثمر الأراك .

يخمِّرن أَطرافَ الأَكُفّ من التُّقى ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجراتِ[1]

فما ذكرتُ أيّها الأَمير إلاّ كرماً وخيراً وطيباً . قال : فأَنشدْ كلمتَكَ كلَّها فأَنت آمن ؛ فأَنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

ولمّا رأَتْ ركبَ النُّمَيريّ راعها وكُنَّ منَ آن يَلْقَيْنه حَذِراتِ

فقال له : وما كان ركبُك ؟ قال : والله ما كان إلاّ أَربعة أَحْمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأَمره بالانصراف ولم يَعْرِض له .

[تهدّده الحجّاج فهرب وقال شعراً]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أُسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن نُمير الثَّقفيّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحكَم ؛ فكان الحَجّاج يتهدّده ويقول : لولا أَن يقولَ قائلٌ صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عَدَن ، وقال في هربه : [من الطويل]

أَتَتْني عن الحَجّاج والبحرُ بيننا عقاربُ تَسْري والعيونُ هواجعُ[2]
فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأُجهشتُ خِيفةً ولم آمَنِ الحَجّاجَ والأَمرُ فاظعُ
وحلَّ بي الخطبُ الذي جاءَني به سميعٌ فليستْ تستقرّ الأَضالعُ
فبتُّ أُديرُ الأَمرَ والرأْيَ ليلتي وقد أَخضلتْ خدِّي الدموعُ التوابعُ
ولَم أَرَ خيراً لي من الصبر إنّه أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْني الفواجعُ
وما أَمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرَّه ولا طاب لي ممّا خَشِيتُ المضاجعُ
إلى أَن بدا لي رأس إسْبِيلَ طالعاً وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأَصابعُ[3]
فلي عن ثَقيفٍ إن هممتُ بنَجْوة مَهامِهُ تهوِي بينهنّ الهَجارعُ[4]
وفي الأَرض ذاتِ العَرْض عنك ابنَ يوسف إذا شئتُ مَنْأًى لا أَبا لَكَ واسعُ
فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاشتفِ جاهداً فإنّ الذي لا يحفظ اللهُ ضائعُ

فطلبه الحَجّاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّمَيريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحَجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُميريّ ! أنت القائل : [من الكامل]

1 الأَكُفّ في ل : البنان .

2 بيننا في ل : دوننا .

3 إسبيل : جبل في مخلاف ذمار .

4 تهوي في ل : تعمى . الهجارع : جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السّلوقيّة .

فإن نلتَني حَجَّاجُ فاشْتَفِ جاهداً

فقال : بل أَنا الذي أَقول : [من الطويل]

أَخافُ من الحَجّاجِ ما لستُ خائفاً من الأَسدِ العِرْباضِ لم يَثْنِه ذُعْرُ[1]

أَخافُ يَدَيْه أَن تنالا مَقاتلي بأَبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأَنا الذي أَقول : [من الطويل]

فهأنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً ومَغْرِباً وأُبْتُ وقد دوّخت كلَّ مكانِ[2]

فلو كانت العَنْقاء منكَ تَطير بي لخِلْتُك إلاّ أَن تَصُدَّ تراني

قال : فتبسّم الحجّاج وأَمّنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلّى سبيلَه .

ويروى :

فلو كنت بالعنقاء أَو بأسومها لخلتك إلاّ أَن تصدَّ تراني

[زواج زينب أُخت الحجّاج وتولية كرّيها شرطة البصرة]

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق

قال حمّاد فحدَّثني أَبي قال ذكر المدائنيّ وغيره : أَنّ الحجّاج عرض على زينبَ أَن يزوّجها محمّدَ بن القاسم بن محمّد بن الحكم بن أَبي عَقِيل ، وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفيّ في زمانه ، أَو الحكمِ بن أَيّوب بن الحكم بن أَبي عَقيل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوّجها إيّاه ، فأَخرجها إلى الشام . وكان محمّد بن رياط كَرِيَّها ، وهو يومئذٍ يُكْرِي . فلمّا ولي الحجّاجُ العراقَ استعمل الحكَم بن أَيّوب على البصرة ، فكلّمته زينبُ في محمّد بن رياط فولاّه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجّاج : إنّك ولّيتَ أَعرابيّاً جافياً شرطتَك ، وقد أُجزنا ذلك لكلام مَنْ سأَلك فيه . قال : ثم أَنكر الحَكَمُ بعضَ تَعَجْرُفه فعزله . ثم استعمل الحجّاجُ الحكمَ بن سعد العُذْريّ على البصرة وعزل الحكم بن أَيّوب عنها واستقدمه لبعضِ الأَمر ، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة ، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأَتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزِّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إنّ فيهن امرأَة لم يُرَ أَحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أَريني ساقَكِ ؛ فقالت : لا ، إلاّ بخلوة ؛ فقالت : ذاك لكِ ، فكشفتْه لها ، فأَعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خَلخالاً . قال :

1 العرباض : الأسد الثقيل العظيم .

2 دوّخت في ل : طوّفت .

وكان الحجّاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ . فلمّا قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ ، فأعطاها الكتابَ ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فنشرته تقرؤه ، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرَت ، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرّأ جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول ، الذي نفَذ بالفتح ، بوفاة زينب . فقال النميريّ يرثيها : [من الطويل]

صوت

لزينبَ طيفٌ تَعتريني طوارقُه هُدوءاً إذا النجم ارْجَحنّتْ لواحقُهْ
سيَبكيكِ مِرْنانُ العشيّ يُجيبه لَطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مَرافقُهْ[1]
إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُهْ

غنّاه معبد ، ولحنه ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه .

[غنّى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر]

صوت

[من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَنْ مشتْ به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبِّين للرحمن مُعتمِراتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مزيد قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ[2] عن عبد الله بن مُسْلم الفِهْريّ[3] قال : خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة : غَنّيني فغنّته ، ثم قال لابن سُريج : غنّني يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ : [من الطويل]

1 مرنان العشيّ : كنى به عن الصنج ذي الأوتار . درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه .
2 المدائنيّ : (135–225هـ) : هو أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنيّ مولى شمس بن عبد مناف ، من رواة الأخبار المشهورين .
3 الفهريّ (125–197هـ) : أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري راوٍ مشهور وله مصنفات كثيرة .

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَن مشتْ

فأمر براحلته فنُحرت ، وشَقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّةَ والنصفَ الآخر على ابن سريج . فباع ابنُ سريج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً . وكانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة أَلقت النصفَ الآخرَ عليها تتجمّل به .

[سمع سعيد بن المسيّب شعراً له فأعجبه وزاد عليه]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عَتَّاب عن إبراهيم بن محمّد بن العبّاس المُطّلبيّ : أنّ سعيد بن المُسيَّب مرّ في بعض أَزِقَّة مكّة ، فسمع الأَخضرَ الحَرْبيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت ... بـــه زينـبٌ في نسوة خَفِـــراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله ممّا يَلَذّ استماعه ، ثم قال : [من الطويل]

وليست كأُخرى أُوسعت جيبَ دِرْعِها ... وأبـدت بنـانَ الكـفّ للجَمَراتِ
وعَلّت بَنـان المسكِ وَحْفـاً مرجَّلا ... على مثـل بَـدْرٍ لاح في الظلماتِ[1]
وقامتْ تَراءَى يـومَ جَمْـعٍ فأفْتنتْ ... برؤيتهـا مَـنْ راح مــن عَرَفاتِ[2]

قال : فكانوا يرون أنّ هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

[مرّ على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره في زينب]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله أخي الأَصمعيّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ ، وأخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغيرة بن محمّد المهلَّبيّ قال حدَّثني محمّد بن عبد الوهّاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه ، وتجلس بالعشيّات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فمرَّ بها النُّمَيريّ الشاعر ؛ فسألت عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتوني به ، فأَتَوْها به . فقالت له : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينبَ ؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنة عمّي وقد صارت عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ عليك بالله إلاّ فعلتَ ؛ فأنشدها قولَه : [من الطويل]

تضوّعَ مسكاً بطنُ نعمان أَنْ مشتْ

الأبيات . فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا ذكرتَ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا وصفتَ إلاّ

1 الوحف : الشّعر الغزير الأسود .
2 جمع : علم للمزدلفة .

دِيناً وتُقىً ، أعطوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعة الأُخرى تعرّض لها ؛ فقالت : عليّ به ، فأُحضِر[1] . فقالت له : أنشِدْني من شعرك في زينبَ ؛ فقال لها : أوَ أُنشِدُك من شعر الحارث بن خالد[2] فيكِ ؟ فوثب مواليها إليه ؛ فقالت : دَعُوه فإنّه أراد أن يَستقيد لبنت عمّه ، هاتِ ممّا قال الحارثُ فيّ ؛ فأنشدها : [من الكامل]

ظَعَـن الأميرُ بأحسن الخَلْـقِ وغَـدَوْا بلبّـك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبّحتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوتُ مع أميرٍ تزوّجني إلى الشرق ، وأنّي أحسن الخَلْق في البيت ذي الحسب الرفيع ؛ أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيْريّ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه : أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقّة فحبسه مدّةً ، ثم اصطبح يوماً ، فبينا هو على حاله إذ تذكّره ، فقال : لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أمرُنا وتَمَّ سرورنا . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فَجِيء به ، فما له كبيرُ ذنب . فبعث فجِيءَ به . فلمّا دخل أُطرق الرشيد فلم ينظر إليه ، وأوماً إليه مَنْ حضر بأن يغنّي ؛ فاندفع فغنّى : [من الطويل]

تَضوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ بــه زينــبٌ في نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حَرّك رأسَه مراراً واهتزّ طرباً ، ثم نظر إليه وقال : أحسنتَ والله يا إبراهيم ! حُلُّوا قيودَه وغَطُّوه بالخِلَع ، ففُعِل ذلك . فقال : يا سيِّدي ، رضاك أوّلاً ؛ قال : لو لم أرْضَ ما فعلتُ هذا ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم .

وممّا قاله النُّمَيْريّ في زينبَ وغُنّي فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

تَشْتو بمكّـة نَعْمــةً ومَصيفُهــا بالطائفِ
أحْبِبْ بتلك مواقفــاً وبزينبٍ مِــنْ واقفِ
وعَزيـزة لم يَغْذُهــا بؤسٌ وجفوةُ حائفِ
غَــرّاء يَحْكيها الغزا لُ بمُقلــةٍ وسَوالفِ

1 في ل : فجاء .

2 الحارث : هو الحارث بن خالد المخزوميّ .

الغناء ليحيى المكّيّ خفيفُ رَمَل عن الهشاميّ ، وذكر عمر بن بانة أنّه لابن سُرَيج وأنّه بالبنصر . وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل .

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ : [من المتقارب]

صوت

أَلاَ مَـنْ لقلـبٍ مُعَنّـى غَزِلْ ... يُحِـبّ المُحِلّـةَ أختَ المُحِلّ

تراءتْ لنـا يـومَ فرع الأرا ... ك بـين العِشاء وبين الأُصُلْ

كأنّ القَرَنْفُـلَ والزّنجَبيـلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسلْ

يُعَـلّ بـه بَـرْدُ أَنْيابِهـا ... إذا مـا صفا الكوكبُ المعتدلْ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أنّ لمالك فيه لحناً في : [من المتقارب]

كأنّ القرَنْفُـلَ والزّنجبيل

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما : [من المتقارب]

وقالـت لجارتهـا هـل رأيـ ... ـتِ إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ

وأنّ تَبَسُّمَـه ضاحكـاً ... أَجَـدّ اشتياقاً لقلـب غَـزِلْ

وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيها للهُذَليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا : الحَجّاج بن يوسف ؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمّونه بذلك . ويُسمّي أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير المُحلَّ لأنّه أحلَّ الكعبة ، زعموا أنّه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّتْ بالأهواز على السيّد الحِمْيَريّ ؛ فسأل عنها فنُسبت له ؛ فقال فيها قولَه : [من المتقارب]

مَـرّتْ تُزَفّ على بغلة ... وفـوق رِحالتهـا قُبّهْ

زُبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرامَ مـن الكعبهْ

تُـزفّ إلى ملكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ

وقد قيل بأنّ الأبيات اللاميّة التي أوّلها : [من المتقارب]

أَلاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَير ، وقيل : إنّها لأبي شَجَرَة السُّلَميّ .

[استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميريّ وقام إلى الصلاة]

حدَّثني الحسين بن الطيِّب البَلْخِيّ الشاعر قال حدَّثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدَّثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَليّ[1] قال : كنتُ عند ابن سيرينَ ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر ، فأنشده ابنُ سيرين : [من المتقارب]

كأنّ المُدامـةَ والزنجبيـلَ وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسلْ
يُعَـلُّ بـه بَـرْدُ أنيابهـا إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدلْ

وقال : اللهُ أكبرُ ، ودخل في الصلاة .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق إنّ الأُلَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا[2]

[ويُروى : يذهب بك الحُرَق] :

مـا بالهـم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبَّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها . وفي أبيات من هذه القصيدة أَلحانٌ عدّة ، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة ؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضي أخبارُ وَضّاح ، ثم أذكرها[3] بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

1 المعولي : نسبة إلى بني مَعْوِلة بن شمس بن عمرو .
2 الخُرُق : نقيض الرِّفق .
3 لم يذكرها أبو الفرج كما وعد هنا .

[90] ـ أخبار وضّاح اليمن[1] ونسبه

[نسبه]

وَضّاح لقبٌ غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنّه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويزعمُ آخرون أنّه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج[2] وهو حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف بن قَحْطان . فممّن ذكر أنّه من حمير خالد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَري فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أُمّه إلى أهلها ، وانقضتْ عدّتها فتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبّ وضّاح في حجر زوج أُمّه . فجاء عمُّه وجدّته أُمُّ أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فادّعى زوج أُمّه أنّه ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنّه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[3] في أمره وحضر معهم . فلمّا حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ ، فلُقّب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أُمّ داذ بن أبي جَمَد جدّة وضّاح كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقولُ في بنات عمّه : [من الخفيف]

إنّ قلبي مُعَلَّقٌ بنساء ... واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ
مِنْ بناتِ الكريم دَاذَ وفي كنـ ... ـدةَ يُنسبن من أُباة اللَّعْنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد : [من الخفيف]

بَنـى لِيَ إسماعيلُ مجداً مُؤثَّلاً ... وعبدُ كُلال بعده وأبو جَمَدْ

1 وضاح اليمن ، انظر أخباره في : التذكرة الحمدونية 9 : 232–233 .
2 كان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج في الأصل : العتيق .
3 الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْديّ وأبو زُبَيد الطائي يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى حاضرٌ ذلك ، وكان يزعم أنّ وضّاحاً من الأبناء ؛ فقال أبو عُبيدة : داذ اسم فارسيّ . فقلت له : عبدكلال اسم يَمانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانية ، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأبْرَهة ، وهو اسم حبشيّ ، فينبغي أن تنسُبهم إلى الحبشة . وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ ! وليس كلّ مَن كُني أبا بكر هو الصدِّيق ، ولا مَن سُمِّي عُمَراً هو الفاروق ، وإنّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب .

وممّن زعم أنّه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمّد بن زِياد الكِلابيّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأمّ أبيه بنت فُرْعان ذي الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو .

[أحبّ روضة ولم يتزوّجها وقال فيها شعراً]

وكان وضّاحٌ يهوى امرأةً من أهل اليمن يُقال لها رَوْضة .

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : ذكر هشام بن الكلبيّ أنّها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ .

أخبرني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني محمَّد بن سَعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش : أنّ وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ؛ فذهبت به كلّ مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إيّاها ؛ وعاتبه أهلُه وعشيرته . فقال في ذلك : [من البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ	قد يعشَق المرءُ ثم يَتَّئدُ
قد يكتم المرءُ حبَّه حِقَباً	وهْو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ
ماذا تريدينَ من فتىً غَزِلٍ	قد شَفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَدُ
يهدِّدوني كَيْما أخافَهمُ	هيهاتَ أنّى يُهَدَّد الأسدُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عَبّاد ، من كتاب إبراهيمَ ، غير مجنّس .

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني سالم بن زيد قال أخبرني التَّوَّزِيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن الخليل بن أحمد قال : كان وَضّاح يهوى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلمّا اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزوَّجها ، وزُوِّجتْ غيرَه ، فمكثت مدّة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسرّ إليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت ، وأنّه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبراً يرويه أهلُ العلم إلاّ لُمَعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره ، فأمّا خبرٌ متّصل فلم أجده إلاّ في كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدَّثنا مصعَب بن عبد الله قال : كان وَضّاح اليمن يَهوى امرأةً يقال لها روضة ويشبِّب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا رَوضة الوضّاح قـد	عَنّيـتِ وضّـاحَ اليمنْ
فاسقي خليلَـك مِنْ شرا	بٍ لم يُكـدِّره الدَّرَنْ
الريـحُ ريح سَفَرْجَـلٍ	والطعمُ طعم سُلافِ دَنّ
إنّـي تُهيِّجنـي إليـ	ـكِ حمامتـان على فَنَنْ

قال مُصعَب : فحدَّثني بعض أهل العلم ممّن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهل اليمن : أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً ، ثم عاد إليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى روضة ، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين ، وأُخرجت من بلدها ، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[1] من نفقتي . وجعل يبكي غمّاً بها .

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات ؛ فإن في جميعها غناء .

وممّا قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حِرْمِيٌّ عن الزُّبير عن عمِّه : [من الطويل]

---

1 الصّدر : الطائفة من الشيء .

صوت

أيا روضةَ الوَضّاح يا خيرَ رَوضةٍ   لأهلكِ ، لـو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُـك وَضّاحٌ ذهبـتِ بعقلـه   فإن شئـتِ فاحييه وإن شئت فاقتلي
وتُوقد حِيناً باليَلَنْجُوج نارَهــا   وتوقِــد أحيانـاً بمسك ومَنْدَلِ[1]

والأبيات الأُوَل النونيّة فيها زيادة على ما رواه مصعب ، وفي سائرها غناء . وتمامُها بعد قوله : [من مجزوء الكامل]

«إنّــي تُهيّجنــي إليــــلكِ حمامتان على فَنَنْ»
الــزوج يدعــو إلفَــه   فتطاعمـا حُـبَّ السكنْ
لا خيرَ في نَـثّ الحديــث ولا الجليس إذا فَطَنْ
فاعْصِـي الوُشاةَ فإنّمـا   قـول الوشاة هـو الغَبَنْ
إنّ الـوُشاة إذا أَتــو   كِ تَنَصّحوا ونَهَوْكِ عنّ[2]
دَسَّت حُبَيبــةُ مَوْهِنــاً   إنّي وعيشكِ يــا سَكَنْ
أُبلغـــتُ عنـكِ تبـدُّلاً   وأتـــى بذلــك مُؤْتَمَنْ
وظننــتُ أنّكِ قــد فعلــتِ فكِدْتُ من حَزَن أُجنّ
ذَرَفتْ دموعــي ثــم قلــت بمَــنْ يبادلني بمنْ
اسكُتْ فلستَ مُصدَّقــاً   مــا كان يفعــل ذا أظنْ
إنّي وجَــدِّكَ لــو رأيــــت خليلَنـا ذاك الحسنْ
يجفــوه ثــم يحبنــا   والله مِــتُّ مــن الحَـزَنْ
أخبــرْه إمّــا جئتَــــه   أنّ الفــؤادَ بــه يجَنّ
أبغضتَ فيــه أحبَّتــي   وقَلَيْت أهــلي والوطنْ
أتركتَنـــي حتّـــى إذا   عُلِّقـــت أبيـض كالشَّطَنْ
أنشأتَ تطلــب وَصْلَنــا   في الصيف ضَيَّعتِ اللبنْ

هكذا قال ، وغيره يرويه : «في الصيف ضيحت اللبن» أي مذقته . قال[3] :

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 يريد : عني .
3 الظاهر أنّ كلمة «قال» من عمل النسّاخ .

لـو قيل يـا وضّاح قـم فاختـر لنفسك أو تَمَنّ
لم أعْــدُ رَوْضــةَ والذي ساق الحجيج لــه البُدُنْ

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ ، وبعضها لم يَقَع إليّ أنّه صُنِع فيه . فمن قوله فيها : [من السريع]

صوت

يــا روضُ جيرانكــم الباكرُ فالقلــبُ لا لاهٍ ولا صابــرُ
قالــت ألا لا تَلِجَــنْ دارَنــا إنّ أبانــا رجــلٌ غــائرُ
قلــت فإنّــي طالــبٌ غِرّةً منــه وسَيفــي صارمٌ بــاترُ
قالت فإن القَصْرَ مِــنْ دوننا قلتُ فإنّــي فوقــه ظـاهرُ
قالت فإن البحرَ مِــنْ دوننا قلت فإنّــي سابحٌ مـاهرُ
قالت فحَــوْلي إخــوةٌ سبعةٌ قلت فإنّــي غالــبٌ قـاهرُ
قالت فليــثٌ رابضٌ بيننــا قلت فإنّــي أسدٌ عــاقرُ
قالت فــإن اللهَ مــن فوقنا قلت فربّــي راحــمٌ غــافرُ
قالت لقــد أعييتَنــا حُجّةً فَــأْتِ إذا مـا هَجع السامرُ
فاسقُط علينا كسقوط النَّدَى ليلــةَ لا نــاهٍ ولا زاجــرُ

الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ ، وذكر يحيى المكّيّ أنّه له .

وقال في روضةَ وهو بالشام : [من الوافر]

أبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا تذكّــرتُ المنــازلَ والحبيبا
تذكّرتُ المنازلَ مــن شَعُوب وحَيّاً أصبحوا قُطِعوا شُعوبا[1]
سَبَوا قلبـي فحَلّ بحيث حَلّوا ويُعظم إن دَعَــوْا ألاّ يُجيبا
ألا ليت الريــاحَ لنا رسولٌ إليكم إنْ شَمــالاً أو جَنُوبا
فتأتِيَكــم بمــا قلنــا سريعــاً ويبلُغَنــا الذي قلتــم قريبا
ألا يا رَوْض قــد عَذّبتِ قلبي فأصبح مــن تذكُّركم كئيبا

1 شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

ورقّقني هـواكِ وكنتُ جَلْداً — وأَبْـدى في مَفارِقـيَ المَشيبا
أَما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ — ولا قـربٌ إذا كانت قريبا

وممّا قال فيها أَيضاً : [من الكامل]

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشي — والقومُ بـين أَباطِـح وعِشاشِ[1]
أنّى اهتديتِ ودون أَرضِك سَبْسبٌ — قَفْرٌ وحَـزْنٌ في دُجىً ورِشاشِ
قالـت تكاليفُ المحبّ كَلِفتُها — إنّ المُحبّ إذا أُخيـف لَماشي
أَدعوكِ روضة رحب واسمك غيرُه — شَفَقاً وأَخشى أَن يَشي بكِ واشي
قالت فزُرْنا قلـتُ كيف أَزورُكم — وأَنـا امرؤ لخُروج سرّك خاشي
قالت فكُنْ لعُمومتي سَلماً معـاً — والطُفْ لإخوتـيَ الذين تُماشي
فتزورنـا معهـم زيـارةَ آمـنٍ — والسرُّ يـا وضّاح ليس بفاشي
ولَقِيتُها تمشي بأَبطَـحَ مـرّةً — بخلاخـلٍ وبحُلّـةٍ أَكْباشِ[2]
فظلِلْتُ معمـوداً وبـتّ مُسَهَّداً — ودمـوع عيني في الرداء غَواشي
يا روض حبُّك سَلَّ جسمي وانتحى — في العظم حتى قد بلغتِ مُشاشي[3]

وممّا قال فيها أَيضاً : [من الكامل]

طرَق الخيـالُ فمرحباً سهلا — بخيال مَنْ أَهدى لنا الوصْلاَ[4]
وسَرى إليّ ودون منزله — خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبْلا
يـا حبّـذا مَنْ زار معتسفاً — حَـزْنَ البـلاد إليّ والسَّهْلا
حتى أَلـمّ بنـا فبِـتُّ بـه — أَغنـى الخلائقِ كلِّهـم شَمْلا
يا حبّذا هي قَدْكَ حسبك قد — واللهِ مـا أَبقيـتِ لي عقلا
واللهِ مـالي عنـكِ مُنْصَرَفٌ — إلاّ إليكِ فأَجْمـلي الفِعْلا

[حجّت أمّ البنين ورأته فهويته]

أَخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال حدَّثنا

1 العشاش : جمع عَشَّة ، وهي الأرض القليلة الشجر ، وقيل هي الأرض الغليظة .
2 الأكباش : من برود اليمن .
3 المشاش : النّفس ، والمشاش أيضاً : رؤوس العظام واحدها مشاشة .
4 طرق في ل : طاف .

العُمَريّ عن لَقيط والهَيْثم بن عَديّ : أنّ أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحجّ فأذِن لها ، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممّن تَبِعها . وقدِمتْ ، فتراءت للناس ، وتصدّى لها أهلُ الغَزَل والشعر ، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه .

فحدَّثنا الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدَّثني إبراهيم بن محمَّد بن عبد العزيز الزُّهري عن محمَّد بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال : قَدِمتْ أُمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً ، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بي . فأمّا وضّاح اليمن فإنّه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها ؛ فوجَد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثيّر فعدَل عن ذكرها ونَسب بجاريتها غاضِرة فقال[1] : [من الوافر]

صوت

شجا أَظْعانُ غاضرةَ الغَوادي ... بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وِسادي
أَوَيْتِ لعاشق لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذَّعُ كالزنادِ[2]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لمّا حجّتْ أُمّ البنين لا تشاء أن تَرى وجهاً حسناً إلاّ رايتَه معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات : بمَن تشبَّب من هذا القَطين ؟ فقال لي : [من الهزج]

وما تصنع بالسرّ ... إذا لم تك مجنونا
إذا عالجتَ ثِقْل الحـ ... ـبّ عالجتَ الأَمَرِّينا[3]
وقد بُحتَ بأمرٍ كا ... ن في قلبيَ مكنونا
وقد هِجْتَ بما حاولْـ ... ـتَ أمراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : اكتُم عليّ ، فإنّك موضع للأمانة ؛ وأنشدني : [من مجزوء الكامل]

1 هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندف الأسديّ لمّا قتل .
2 أَوَيتِ في ل : رنيت .
3 الأمرُّون : الدواهي .

صوت

أصحوتَ عــن أُمّ البنيــنَ وذكرِهــا وعَنائها
وهجرتَها هجــرَ امرىءٍ لم يَقْلُ صفــوَ صفائها
قُرشيّــةٌ كالشمس أَشْــرق نورُهــا ببهــائها
زادتْ على البِيض الحِسا ن بحسنهــا ونقــائها
لّمــا اسبكرَّتْ للشبــا ب وقُنّعــت بــردائها
لم تلتفــت لِلداتهــا ومضــتْ عــلى غُـلوائها
لولا هَــوى أُمِّ البنيــنَ وحاجتــي للقائها
قــد قرّبــت لي بغلــةً محبــوسةً لنَجــائها

قال بُدَيح : فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن ، حجّتْ بعد ذلك أُمُّ البنين محتجبةً لا تكلِّم أحداً ؛ وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرُّقيّات ، فقال : يا بديح ،

صوت

[من مجزوء البسيط]

بَانَ الحبيبُ الذي بــه تَثِــقُ واشتــدّ دون الحبيبــة القَلَــقُ
يــا مَــن لصَفْراء في مفاصلها لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكرت مع أخبار ابن قيس الرقيّات .

الغناء في الأبيات الأُوَل التي أوّلها : [من مجزوء الكامل]

أَصحوتَ عــن أُمّ البنــين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤَمَّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدَّثني كُثَيِّر قال : حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك ، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي ؛ فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرة ، فقلت : [من الوافر]

شجا أَظعانُ غاضرة الغَوادِي بغير مَشُورة عَرَضــاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم حُنُوّ العائــدات على وسادي
أَوَيْــتِ لعــاشقٍ لم تشكُميه بواقــدةٍ تلــذَّع كالـزنادِ

وأمّا وضّاح فنَسب بها ، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده عنده وتقوِّيَ أمره . فقَدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه : [من الوافر]

صوت

صبا قَلبي ومـال إليكِ مَيْلا ... وأرّقنـي خيالُـكِ يا أُثَيْلاَ[1]

يَمانِيَـةٌ تُلـمّ بنـا فتُبْدي ... دقيـقَ محاسنٍ وتُكـنّ غَيْلا[2]

دَعِينَا مـا أَمَمتُ بنـاتِ نَعْشٍ ... من الطَّيْف الذي يَنتاب ليلا[3]

ولكـنْ إن أردتِ فصَبِّحينا ... إذا أَمَّـتْ ركائبُنـا سُهَيلا

فإنّك لـو رأيتِ الخيلَ تعدو ... سِراعـاً يتّخذن النَّقْعَ ذَيْلا[4]

إذاً لرأيتِ فوقَ الخيـل أُسْداً ... تُفيـد مغانمـاً وتُفيـت نَيْلا

إذا سار الوليـدُ بنـا وسِرْنا ... إلى خيـل نَلُـفّ بهـنّ خَيْلا

ونَدخل بالسرور ديـارَ قـومٍ ... ونُعقِـب آخريـن أذىً ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه[5] ومدحه بعدّة قصائد . ثم نُمي إليه أنّه شَبّب بأُمّ البنين ، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً : [من الطويل]

مـا بـال عينكَ لا تَنام كأنّما ... طلب الطبيبُ بها قَذىً فأضَلَّهُ

بـل ما لقلبك لا يـزالُ كأنّه ... نَشوانُ أنْهلـه النديـمُ وعَلَّـهُ

ما كنتُ أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ ... وأخي بأُخْرى لا أَحُلُّ مَحلّهُ

---

1 أُثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .

2 وتكنّ في ل : وتُجنّ . الغيل : السّاعد الريّان الممتلىء . وفي شرح الحماسة في التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكنّ غيلا : أي تستر ما جلَّ منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» .

3 بنات نعش : من الكواكب الشامية .

4 سراعاً في ل : عوابس .

5 في ل : جائزته .

كنّا لعَمْرُك ناعمـين بغبطـةٍ مـع مـا نُحبّ مَبيتَـه ومَظَلَّهُ
فـأرى الذي كنّـا وكان بِغرّة نلهـو بِغِرّتـه ونهـوَى دَلَّهُ
كالطيف وافق ذا هوىً فلَها به حتى إذا ذهب الرقـاد أَضلَّهُ
قُـل للذي شعَف البلاءُ فؤادَه لا تهلكنّ أخاً فـربّ أخ لهُ
والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه عِـرق المكـارم والنّدى فأقلَّهُ
واشْكُ الذي لاقيته من دونه وانشرْ إليـه داءَ قلبـك كلَّهُ[1]
فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من امرىءٍ أمسى يـذوق مـنَ الرُّقاد أقلَّهُ
شوقاً إليك فمـا تنالك حالُه وإذا يَحِـلّ البابَ لم يُؤذن لهُ
فإليك أُعملـتُ المطايا ضُمَّراً وقطعـتُ أَرْواحَ الشتـاء وظِلَّهُ
ولياليـاً لـو أنّ حاضرَ بَثِّهـا طـرف القضيب أصابـه لأَشلَّهُ

فلم يزل مجفُوّاً حتى وجَد الوليد له غِرّة ، فبعث إليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به ، فقتله ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

[قتل الوليد له]

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضّاح قد شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي أُمّ ابنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغ الوليدَ تشبُّبه بها ، فأَمر بطلبه فأُتي به ، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أَمير المؤمنين فتحقِّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل ؛ فإنّه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأَله أَن يقتله ؛ فقال : إذاً تُحقّق قولَه ، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحيي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حيّاً . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فَخارٌ خرجا فيه إلى أَن أَغْلَظا المُسابَّةَ ، وذلك في دولة بني العبّاس ؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أَنّ أُمَّ البنين عشِقتْ وَضّاحاً ، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأَنهاه إليه وأَراه الصندوق ، فأَخذه ووضّاح فيه فدفنه . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير بن بَكّار جميعاً .

وأَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش في كتاب المغتالين قال حدَّثنا أَبو سَعيد السُّكَّريّ قال حدَّثنا محمَّد بن حَبيب عن ابن الكَلبيّ قال : عَشِقتْ أُمُّ البنين وَضّاحاً ، فكانت تُرسِل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها وأَقفلتْ عليه . فأَهدي

1 دونه في ل : جفوة .

للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أُمّ البنين وقال : قُل لها : إنّ هذا الجوهر أَعجبني فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأَدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى ، فأَدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبيني منه حجراً ؛ فقالت : لا ، يا ابنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأَخبره ؛ فقال : كذبتَ يا ابن اللخناء ، وأَمَر به فُوجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أُمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أُدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أُمّ البنين ، ما أَحبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أَجلسُ فيه وأَختاره لأَنّه يجمع حوائجي كلَّها فأَتناولها منه كما أُريد من قرب . فقال لها : هَبِي لي صندوقاً من هذه الصناديق ؛ قالت : كلُّها لك يا أَمير المؤمنين ؛ قال : ما أُريدها كلَّها وإنّما أُريد واحداً منها ؛ فقالت له : خُذ أَيَّها شئتَ ؛ قال : هذا الذي جلستُ عليه ؛ قالت : خُذ غيرَه فإن لي فيه أَشياءَ أَحتاج إليها ؛ قال : ما أُريد غيره ؛ قالت : خُذْه يا أَمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأَمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيداً له فأَمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً ، فنُحّي البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : [يا هذا] إنّه بلغنا شيء إن كان حقّاً فقد كفّنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أَثرك إلى آخر الدّهر ، وإن كان باطلاً فإنّا دفنّا الخشب ، وما أَهونَ ذلك ! ثم قُذِف به في البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأَرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليدُ عليه . ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أَثر في الدنيا إلى هذا اليوم . قال : وما رأَتْ أُمّ البنين لذلك أَثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

[مرضت أمّ البنين وهو في دمشق فقال شعراً]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أَحمد بن زُهير قال حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : مَرِضت أُمّ البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً عليها ؛ فقال في علّتها : [من الكامل]

حتّامَ نَكتُم حزنَنا حتّاما ... وعَلامَ نستبقي الدموعَ علاما
إنّ الذي بي قد تفاقم واغتلى ... ونما وزاد وأَوْرَث الأَسقاما
قد أَصبحت أُمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أَن يكونَ حِماما
يا ربِّ أَمْتِعْني بطول بقائها ... واجبرْ بها الأَرمال والأَيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأَرضها ... قد فارق الأَخوالَ والأَعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤَّسٍ ... عُصموا بقرب جَنابها إعصاما

بجنـاب ظاهــرة الثّنا محمودةٍ لا يُستطـاع كلامُهـا إعظـاما

الغناء في الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس لحَكَمٍ الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى. وممّا وجد في روايتَي هارون بن الزيّات وابن المكّيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأوّل والثاني لعمر الواديّ خفيفُ رمل، من رواية الهشاميّ.

[شبّب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد في بئر وهو حيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا مصعب قال: بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وَضّاح بأُمّ البنين فهَمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتَني وحقَّقتَ قولَه، وتوهَّم الناسُ أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسكَ عنه على غيظٍ وحَنَق، حتى بلغ الوليدَ أنّه قد تعدَّى أمَّ البنين إلى أُخته فاطمةَ بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها: [من الكامل]

بنتُ الخليفة والخليفة جَدُّها أخـتُ الخليفة والخليفة بعلُها

فَرِحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ وكذاك كانوا في المسَرّة أهلُها

فأُحْنق واشتدّ غيظه وقال: أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب؛ ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحُفِرتْ ودفَنه فيها حيّاً.

[شعر له]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون قال: أنشدتُ محمَّدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح: [من الطويل]

فمـا نوّلتْ حتى تَضَرَّعتُ عندها وأَعلمتُهـا ما رخَّص الله في اللَّمَمْ

قال: فضحك وقال: إن كان وضّاح إلاّ مُفْتِياً لنفسه. وتمام هذه الأبيات: [من الطويل]

ترجَّـل وَضّاحٌ وأَسْبـل بعدما تَكَهَّل حيناً في الكهول وما احتلَمْ

وعُلِّق بيضاءَ العـوارض طَفْلـةً مُخضَّبة الأطـراف طيّبةَ النَّسَمْ

إذا قلـتُ يومـاً نَوّليني تبسّمتْ وقالت مَعاذَ الله مِن فِعْل ما حَرُمْ

فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها وأَعلمتُها مـا رَخَّص اللهُ في اللَّمَمْ

[رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أُمّ البنين]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال: كان وَضّاح مقيماً عند أُمّ البنين، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه؛ فقال يرثيهما: [من الوافر]

أراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ ... بفاجعةٍ مُشَنَّعَة الطُّروقِ
نعمْ وَلَهاً على رجل عَميد ... أظَلُّ كأنّني شَرِقٌ بريقي
كأنّي إذ علمتُ بها هُدُوّاً ... هوتْ بي عاصفٌ من رأس نِيقِ[1]
أُعَلُّ بزفْرة من بَعْد أُخرى ... لها في القلب حَرٌّ كالحريقِ
وتَردُف عَبْرةٌ تَهتانَ أُخرى ... كفائض غَرْب نَضّاح فتيقِ
كأنّي إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عيني ... وأنّهاها أقول لها هَريقي
ألاَ تلك الحوادث غِبْتُ عنها ... بأرض الشام كالفرد الغريقِ
فما أنفكُّ أنظر في كتاب ... تُداري النفسُ عنه هوًى زَهوقِ[2]
يُخبّر عن وفاة أخٍ كريم ... بعيدِ الغور نَفّاع طَليقِ
وقَرْمٍ يُعرِض الخصماءُ عنه ... كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنِيقِ[3]
كريم يملأ الشِّيزى ويَقْري ... إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ[4]
وأعظم ما رُميتُ بهِ فَجُوعاً ... كتابٌ جاءَ من فَجٍّ عميقِ
يُخبّر عن وفاة أخٍ فصبراً ... تَنجَّزْ وعدَ مَنّان صَدوقِ
سأصبر للقضاء فكلُّ حيٍّ ... سيلقى سَكْرة الموت المَذوقِ
فما الدنيا بقائمةٍ وفيها ... مِن الأحياء ذو عين رَموقِ
وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى ... يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسُوقِ
فأغناهم كأعدمهم إذا ما ... تقضّتْ مُدّةُ العيشِ الرقيقِ
كذلك يُبعثون وهم فُرادى ... ليوم فيه تَوْفيةُ الحُقُوقِ
أبعدَ هُمام قومك ذي الأيادي ... أبي الوضّاح رَتّاق الفُتوقِ
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم ... وبَعدَ سَماعَة العَوْد العَتيقِ
وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ ... هما أخواك في الزمن الأنيقِ
تؤمِّل أن تعيشَ قريرَ عينٍ ... وأنت أمامَ طَلاّبٍ لَحُوقِ

---

1 النّيق : أعلى موضع في الجبل .

2 الزّهوق : الهالك .

3 البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل ، والفنيق : الفحل المكرّم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يُركب .

4 الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع . وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى .

ودنيـاك التـي أمسيتَ فيهـــا　　　مزايلـةُ الشقيـق عـــن الشقيقِ

وممّا قاله في مَرْثِيَة أهله وذكْر الموت وغُنّي فيه ، وإنّما نذكر منها ما فيه غناء لأنّها طويلة : [من الرجز]

صوت

ما لـكَ وَضَّاحُ دائـمَ الغَزَلِ　　　ألستَ تخشى تَقارُبَ الأَجلِ

صلِّ لذي العرش واتَّخِذْ قَدَماً　　　تُنجيك يـوم العِثـار والزَّلَلِ

يا موتُ ما إن تزال معترضاً　　　لأمـلٍ دون منتهـى الأَمـلِ

لو كان مَـنْ فـرَّ منك منفلتاً　　　إذاً لأَسرعتُ رحلـةَ الجَملِ

لكـنّ كفَّيْك نـال طولُهما　　　مـا كَلَّ عنـه نجائبُ الإبلِ

تنـال كفَّـاك كلَّ مُسْهِلة　　　وحُوتَ بحـر ومَعْقِلَ الوَعِلِ

لولا حِذاري من الحُتُوف فقد　　　أُصبحتُ من خوفها على وَجَلِ

لكنتُ للقلبِ في الهـوى تَبَعاً　　　إنّ هـواه ربائـبُ الحَجَلِ

حِرْميّـة تسكن الحجـازَ لهـا　　　شيخٌ غَيـور يعتـلُّ بالعِلَلِ[1]

عُلّق قلبـي ربيبَ بيت ملو　　　كٍ ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ الكَفَلِ[2]

تَفْتَـرُّ عـن مَنْطِقٍ تَضِنّ بـه　　　يَجري رُضاباً كذائب العسلِ

[قال شعراً يشبّب بحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مُصْعب قال : قال وَضّاح اليمن في حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديداً : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا مَـنْ لقلـبٍ لا يُطيـ　　　ـع الزاجرِيـن ولا يُفيقْ

تسلو قلوبُ ذوي الهـوى　　　وهـو المكلَّـف والمَشوقْ

1 حِرْميّة : نسبة إلى الحَرَم .

2 امرأة وعثة : كثيرة اللحم .

تَبَلَت حَبابةُ قلبَه بالدَّلّ والشكل الأنيقْ[1]
وبعين أحورَ يرتعي سَقْط الكثيب من العقيقْ[2]
مكحولةٌ بالسِّحر تُنْـ ـشي نشوةَ الخمر العَتيقْ
هيفاء إن هيَ أقبلتْ لاحت كطالعة الشروقْ
والردفُ مثلُ نقاً تلبّـ ـد فهْو زُحلوق زَلُوقْ
في درّة الأصداف معـ ـتنقاً بها رَدْع الخَلوقْ[3]
داوِي هوايَ وأطْفئي ما في الفؤاد من الحريقْ
وترفَّقي أملي فقد كلّفتِني ما لا أُطيقْ
في القلب منك جوى المُحـ ـبّ وراحةُ الصبِّ الشفيقْ
هذا يقود برُمّتي قوداً إليك وذا يسوقْ
يا نفسُ قد كلّفتني تَعبَ الهوى منها فذوقْ[4]
إن كنتِ تائقةً لحـ ـرّ صبابة منها فتُوقْ

[شعر له في روضة]

وممّا قال في روضة وفيه عناء قوله : [من الخفيف]

صوت

يا لَقومي لِكثرة العذّالِ ولطَيفٍ سرى مليحِ الدَّلالِ
زائر في قصور صنعاءَ يَسْري كلَّ أرض مخوفةٍ وجبالِ

والغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل ، وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها : [من الخفيف]

يقطع الحَزْن والمَهامِهَ والبيـ ـد ومِنْ دونه ثَمانُ ليالي
عاتبٌ في المنام أحْبِبْ بعُتْبا ه إلينا وقولِهِ مِنْ مَقالِ
قلتُ أهلاً ومرحباً عَددَ القَطْـ ـر وسهلاً بطَيف هذا الخَيالِ

---

1 قلبه في ل : لبّه .
2 سَقْط الكثيب : منقطعه .
3 ردْع : أثر الطيب في الجسد ، والخلوق : ضرب من الطيب .
4 فذوقِ وتوقِ أصلهما ذوقي وتوقي .

حبَّذا مَــنْ إذا خلونا نَجيّــاً قال : أَهلي لك الفِداء ومالي
وهي الهمّ والمُنى وهوى النفْـ ـس إذا اعتلّ ذو هوىً باعتلالِ
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا س فمــا قِسْتُ حبَّها بمثالِ
لم أَجِــد حبَّها يُشاكله الحـ ـبّ ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجالِ
كلّ حــبٍّ إذا استطال سيبلَى وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالي
لم يَــزِدْه تقادُمُ العهـدِ إلاّ جِدّةً عندنــا وحسنَ احتلالِ
أَيُّها العاذلــون كيف عتابي بعــد ما شاب مَفرِقي وقَذالي
كيف عَذْلي على التي هي منّي بمكان اليَمين أُختِ الشِّمالِ
والذي أَحْرمــوا لــه وأَحلّوا بمِنىً صُبْحَ عاشراتِ الليالي
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّي مُنــذ عُلِّقتُها فكيــف احتيالي
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً أَو دنتْ لي فثَمّ يبدو خَبالي
يا ابنةَ المالكيّ يــا بَهْجة النفـ ـس أَفي حبّكم يَحِلُّ اقتتالي
أَيّ ذنب عليّ إن قلتُ إنّي لأُحِبّ الحجازَ حــبَّ الزُّلالِ
لأُحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ ـه وأَهوى حِلالَه من حِلالِ[1]

وممّا فيه غناء من شعر وضّاح : [من المديد]

صوت

أَيُّها النَّاعِــبُ مــاذا تقولُ فكِلانــا سائــلٌ ومَسولُ
لا كساك الله ما عشتَ ريشاً وبخــوفٍ بــتَّ ثــم تَقيلُ
ثم لا أَنْقَفْتَ في العُشّ فرخاً أَبــداً إلاّ عليــك دليلُ[2]
حين تُنبــي أَنّ هنداً قريبٌ يبلُغ الحاجاتِ منهــا الرسولُ
ونــأَت هنــد فَخَبَّرْتَ عنها أَنّ عهــد الودّ سوف يزولُ

ومنها : [من الكامل]

1 الحلال : جمع حِلّة وهي المحلّة أو القوم النزول فيهم كثرة .

2 أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

صوت

حـــيٌّ التي أَقْصى فؤادِكَ حَلّتِ   علمــتْ بأنّــك عاشقٌ فأَدلّتِ
وإذا رأَتــك تقلقلتْ أَحشاؤُها   شوقــاً إليــك فأَكثرتْ وأَقلَّتِ
وإذا دخلــتَ فأُغلِقــتْ أبوابُها   عزم الغيــورُ حجابَهــا فاعتلّتِ
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً   حتى تَبُــلّ دموعُهــا مــا بَلّتِ
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحباً   رَحُبَت عليك بلادُنــا وأَظلّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها خفيف رمل بالوسطى يماني عن عمرو وفيها ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أنّ ليحيى فيها أيضاً خفيفَ ثقيل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَتعــرف أَطلالاً بمَيْسرة اللِّوَى   إلى أَرْعب قد حالفتك به الصَّبا[1]
فأَهــلاً وسهلاً بالتي حــلّ حبُّها   فؤادي وحلَّت دارَ شَحْط من النَّوى

الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وهذه أبيات يقولها لأُخيه سَماعةَ ، وقد عتَب عليه في بعض الأُمور . وفيها يقول : [من الطويل]

أُبــادر دُرْنــوكَ الأَمير وقُرْبَه   لأُذْكَرَ في أَهْل الكرامة والنُّهى[2]
وأَتّبِع القُصّاصَ كلَّ عشيّــةٍ   رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضربُ الماءُ سورَه   وأَصبحتُ في صنعاءَ أَلتمس النَّدى
فمــن مُبْلِغٌ عنّــي سماعــةَ ناهياً   فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى[3]
وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم في غير حيلة   فعلنــا وقُلْنا للذي تشتهي بَلى
وإن شئتَ صُرْماً للتفرُّق والنَّوى   فبُعْــداً ، أَدام الله تفرقةَ النَّوى

ومنها : [من الكامل]

---

1 أرعب : موضع .
2 الدُّرنوك : الطنفسة وضرب من البُسط أو الثياب .
3 السَّلى : الجلدة التي يكون فيها الجنين ، فإن انقطع في البطن هلكت الأمّ والجنين .

صوت

طـرَق الخيـالُ فمرحباً أَلْفَا ... بالشاغفـاتِ قلوبَنـا شَغْفا
ولقـد يقول ليَ الطبيبُ ومـا ... نَبّأتُـه من شأننـا حَرفا :
إنّـي لأحسب أنّ داءَك ذا ... مِـن ذي دَمالجَ يخضِب الكفّا
إنّـي أنـا الوضّاح إنْ تَصِلي ... أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا
شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكَها ... ودنتْ فما بذلـتْ لنـا عُرْفا

ومنها :

صوت

ويروى لبشّار : [من مجزوء الكامل]

يـا مرحبـاً ألفـاً وألفَا ... بـالكاسِراتِ إليّ طَرْفا
رُجُـح الرَّوادِف كالظِّبا ... ء تعرّضت حُـوّاً ووُطْفا
أنكـرنَ مركبـيَ الحِمـا ... رَ وكنّ لا يُنكرن طِرْفا
وسألننـي أيـنَ الشبا ... بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفا
أفْنى شبابـي فانقضـى ... حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفا
أعطيتهـنّ مودّتـي ... فجزيننـي كذبـاً وخُلْفا
وقصائـدٌ مثـلُ الرُّقى ... أرسلتُهـنّ فكـنّ شَغْفا
أوجعـن كلَّ مُغـازِلٍ ... وعَصَفْن بالغَيران عَصْفا
مـن كلِّ لـذّاتِ الفتى ... قـد نلـتُ نائلةً وعُرْفا
صِـدتُ الأوانسَ كالدُّمى ... وسقيتُهـنّ الخمـرَ صِرْفا

ومنها : وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمَن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جَمَد : [من الطويل]

صوت

أُعنّي عـلى بيضاءَ تَنْكلّ عـن بَرَدْ ... وتمشي على هَوْنٍ كمِشْية ذي الحَرَدْ[1]

---

1 تنكل : تفتر وتبسم . الحَرَد : ثقل الدرع على المدرع أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

وتلبَس من بَزّ العراق مَناصِفاً وأبرادَ عَصْبٍ من مُهَلْهَلَةِ الجَنَدْ[1]
إذا قلت يوماً نَوّليني تبسّمتْ وقالت لعمرُ الله لو أنّه اقتصدْ
سموتُ إليها بعدَ ما نام بعلُها وقد وسّدتْه الكفّ في ليلة الصَّرَدْ
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ستُعطى الذي تهوى على رغم مَنْ حسدْ
ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوِّنا وكلّ غلام شامخ الأنف قد مَرَدْ
فقلتُ لها إنّي امرؤ فاعلمِنّه إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَدْ
بَنى لِيَ إسماعيلُ مجداً مُؤَثّلاً وعبدُ كُلالٍ قبله وأبو جَمَدْ
تُطيف علينا قهوةٌ في زجاجةٍ تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسدْ

ومنها : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ قد يعشَقُ القلبُ ثم يتّئِدُ
قد يكتُم المرءُ حبَّه حِقَباً وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ
ماذا تُراعون من فتىً غَزِلٍ قد تيّمتْه خَمْصانةٌ رُؤُدُ
يهدّدوني كيما أخافَهمُ هيهاتَ أنّى يُهدَّدُ الأَسدُ

ومنها : [من الخفيف]

صوت

صدَع البَيْنُ والتفرُّقُ قلبي وتولّت أمُّ البنين بِلُبّي
ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها وتولّى بالجسم منّيَ صَحْبي
ولقد قلتُ والمدامعُ تَجري بدموعٍ كأنّها فَيْضُ غَرْبِ
جزعاً للفراق يومَ تولّت : حَسْبيَ الله ذو المَعارج حسبي

ومنها : [من السريع]

صوت

يا أمةَ الواحد جودي فما إن تَصْرِميني فَبِما أو لِمَا
جُودِي علينا اليومَ أو بَيِّني فِيمَ قتلتِ الرجلَ المُسلِما

---

1 وأبراد في ل : وأكباش . العصْب : ضرب من برود اليمن ، واحده وجمعه سواء . الجَند : مدينة باليمن .

إنّي وأيــدِي قُلُصٍ ضُمَّـرٍ　　وكلٌّ خِـرْق وَرَد المَـوْسما[1]
مـا عُلِّـق القلبُ كتعليقها　　واضعةً كفّـاً علَتْ مِعْصما
ربَّـةُ محرابٍ إذا جئتُهـا　　لم أَلْقَهـا أو أرتقـي سُلَّما
إخوتُهـا أربعــة كلُّهــم　　ينفـون عنهـا الفارسَ المُعلَما
كيــف أُرجِّيها ومِنْ دونها　　بَوّابُ سَوء يُعجِـل المَشْتما
أسودُ هَتّـاك لأعراضٍ مَنْ　　مـرَّ على الأبــواب أو سَلَّما
لا مِنّـةً أعْلَـمُ كانت لهـا　　عنـدي ولا تطلُب فينـا دما
بل هــي لمّا أن رأت عاشقاً　　صبّاً رمته اليومَ فيمن رَمى
لمّـا ارتمينـــا ورأت أنّـها　　قــد أثبتتْ في قلبـه أسهُما
أعجبهـا ذاك فأبْدت لـه　　سُنَّتَهـا البيضـاءَ والمِعْصَما[2]
قامت تراءَى لي على قَصْرها　　بـين جَـوارٍ خُـرَّد كالدُّمى
وتَعقِـد المِـرْطَ على جَسْرةٍ　　مثـلِ كَثيب الرمل أو أعْظَما

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعي　　وأنــت وضّاحُ ذو اتباعِ
دعتْــك ميّالـةٌ لَعُوبٌ　　أسيلـةُ الخـدِّ بـاللّماعِ
دلالُــكِ الحُلْـو والمشهّي　　وليس سرِّيــك بالمُضاعِ
لا أمنعُ النفسَ عن هواها　　وكلُّ شيء إلى انقطـاعِ

ومنها : [من الطويل]

صوت

ألاَ يا لقَومـــي أطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ　　ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ
تذكَّر سَلْمى وَهْي نازحةٌ فحَنّ　　وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ
ألَم تَرَهـا صفراءَ رُؤْداً شبابُهـا　　أسيلةَ مجرى الدمع كالشّادن الأغَنّ

---

1 الخِرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة .

2 السُّنّة : الوجه ، وقيل الجبهة والجبينان .

وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَيْ مَراجِلٍ وأَبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمنْ[1]
فقلتُ لها لا تَرتقي السطحَ إنّني أَخاف عليكم كلَّ ذي لِمَّة حَسَنْ

الغناء لابن سُريج ، وله في هذا الشعر لحنان : ثقيل أَوّل بالبنصر عن عمرو ، ورمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وأَوّل الرمل قولُه : [من الطويل]

أَلا يــا لَقومي أُطلقوا غلَّ مرتهَن

وأَوّل الثقيل الأَوّل : «تذكَّر سلمى» . وفي هذه الأَبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أغدوتَ أَمْ في الرائحين تَرُوحُ أَم أَنت من ذِكْر الحسانِ صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ مــا لصديقنا رثُّ الثيــاب وإنّــه لمليــحُ
لا تسألِنّ عــن الثياب فإنّنــي يومَ اللقاء على الكُمــاة مُشيحُ
أَرْمي وأَطعَــن ثم أُتبِـع ضربةً تَدَعُ النساءَ على الرجـالِ تنوحُ

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا صاحِ إنّي قد حَججـ ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدسِ
وأَتيـــتُ لُــدّاً عامــداً في عيــد مَرْيـا سَرْجَسِ[2]
فرأَيـــتُ فيــه نِسوةً مثــلَ الظبـــاء الكُنّسِ

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهْديّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر . وكان المُعلّى بن طَريف وأَخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولَّدي الكوفة لرجل من أَهلها ، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأَهداهما إلى المنصور ، فوهبهما المنصور للمهديّ فأَعتقهما . ونهر المعلَّى ورَبَض المعلّى ببغداد منسوب إلى المعلّى هكذا ذكر ذلك ابن خُرْدَاذْبَهْ ، وكان ضارباً محسِناً طيّبَ الصوت حسنَ الأَداء صالح الصنعة ، أَخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع

1 المراجل : ضرب من برود اليمن عليها تصاوير .
2 لُدّ : هي مدينة الله بفلسطين .

وحَكَم الوادي . ووُلّي أخوه ليثٌ السِّنْدَ ، ووُلّي هو الطِّرازَ[1] والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه ، ثم وُلّي الأَهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أَخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصَلَّى : [من الخفيف]

يا عليَّ بنَ صالح ذا المصلَّى أَنت تَفْدي لَيْثاً وتفدي المعلَّى
سَدّ ليثٌ ثغراً ووُلّيت فاختُنْـ ـتَ فبئس المَولى وبئس المولَّى

وعليّ بن سليمان هذا الذي أَهدى المُعَلَّى وأَخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأَسَديّ ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد ، فرمى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما ، وقد أُرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأَصاب المهديّ الظبيَ وأَصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما . فقال أبو دُلامة : [من مجزوء الرمل]

قــد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهــم فـؤادَهْ
وعـليٌّ بــنُ سُليمــا نِ رَمـى كَلْباً فصادهْ
فهنيئــاً لهمــا كــ ـلّ امرىء يأكل زادَهْ

حدَّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أَحمد بن زُهير عن مصعَب ، وعن أَحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أَلاَ طَرَد الهوى عنّـي رُقادِي فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبـدةَ إنّ عبــدةَ تَيّمتْنــي وحلّت من فؤادي في السّوادِ

الشعر لبشّار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر ، ذكر يحيى بن عليّ أنّه يمنيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه لسُلَيم .

1 الطراز : يريد ديوان الطراز وهو الذي تُنسج فيه الثياب .

[91] ـ أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت[1]

[حبّه لعبدة وشعره فيها]

حدّثني محمّد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا أبو أيّوب المَديني عمّن حدّثه عن الأصمعيّ هكذا قال ، وأخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال : كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدان . فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ امرأة يقال لها عَبْدة في المجلس ، فدعا غلامَه فقال : إنّي قد عُلّقت امرأة ، فإذا تكلّمتْ فانظر مَنْ هي واعرفْها ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتْبَعها وكلّمها وأعْلمها أنّي لها محبّ وأنْشدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنّي قلتُها فيها : [من البسيط]

صوت

قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذِي فقلتُ لهم ... الأذْنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا

ما كنتُ أوّلَ مشغوفٍ بجارية ... يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحاً ورَيْحانا

ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية .

يا قوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأُذن تعشقُ قبلَ العين أحيانا

غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيها لِسيَاطٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، عن عمرو . وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ، قال : فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة يَصْحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها : [من البسيط]

قالت عُقَيل بنُ كعب إذ تعلّقها ... قلبي فأضحى به من حبّها أثَر[2]

أنّى ولم ترها تَهذِي ؟ فقلتُ لهم ... إنّ الفؤاد يَرى ما لا يرى البَصر[3]

---

1 تقدّمت أخباره في الجزء الثالث ، ص 94 من هذا الكتاب .

2 عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .

3 تهذي في الديوان : تصبو 3 : 159 .

أَصبحتُ كالحائـم الحَرّان مُجتَنباً ... لم يَقضِ وِرْداً ولا يُرجى له صَدَر[1]

قال : وقال فيها أَيضاً وهو من جيّد ما قال فيها : [من الطويل]

يُزَهِّدني في حـبّ عبدةَ معشرٌ ... قلوبُهـمُ فيهـا مخالفـةٌ قلبـي

فقلتُ دَعُوا قلبي وما اختار وارتضَى ... فبالقلب لا بالعين يُبصِرَ ذو الحبِّ[2]

فما تُبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمعُ الأُذْنان إلاّ من القلبِ[3]

وما الحسْنُ إلاّ كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبا ... وألّف بين العشق والعاشِق الصبِّ

قال : وقال فيها : [من مجزوء البسيط]

يـا قلـبُ مـا لي أَراك لا تَقِرُ ... إيّـاكَ أَعْنـي وعنـدك الخبرُ

أَضِعْتَ بـين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً ... أَم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا ؟

فقـال بعضُ الحديـث يَشْغَفُني ... والقلبُ راءٍ ما لا يَـرى البصرُ

[عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه]

وأَخبرني بهذا الخبر أَبو الحسن أَحمد بن محمَّد الأَسديّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ قال حدَّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أَبيه بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : أَنّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهنّ قريب فسأَلنه أَن يقول شعراً يَنُحْن عليه به ، فوافَيْنَه وقد احتجم وكان له مجلسان : مجلس يجلس فيه غُدوةً يسمِّيه «البَرَدان» ومجلس يجلس فيه عشيَّةً يسمِّيه «الرَّقيق» وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه : أَمسِكْ عليّ بابي واطبُخْ لي وهيِّيء طعامي وطَيِّبْه وصَفِّ[4] نبيذي . قال : فإنّه لكذلك إذا قُرع الباب عليه قرعاً عنيفاً ؛ فقال : وَيْحَك يا غلام ! انظر مَن يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال : خمس نسوة بالباب يسأَلنك أَن تقول شعراً يَنُحْن فيه ؛ فقال : أَدخلهنّ . فلمّا دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه ؛ [في جانب بيته] فقالت إحداهنّ : خمر ؛ [وقالت الأُخرى : زبيب] ؛ وقالت الأُخرى : معسَّل . فقال : لستُ بقائل لكُنّ حرفاً أَو تَطْعَمن من طعامي وتشربن من شرابي . فتماسكْنَ ساعةً ، وقالت إحداهنّ : فما عليكنّ من ذلك ! هذا أَعمى ، كُلْن من طعامه واشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه ، ففعلن . وبلغ ذلك الحسنَ البصريّ فعابه وهتَف به . فبلغ ذلك بشّاراً ، وكان الحسنُ يُلقَّب القَسّ ، فقال فيه بشّار : [من مجزوء الكامل]

---

1 مجتنبا في الديوان : محتسباً 3 : 159 .

2 ذو الحبّ في الديوان : ذو اللب 4 : 12 .

3 تبصر في ل : تنظر .

4 في ل : وصبَّ .

لَمّا طلعنَ من الرَّقيـ ـق عليّ بالبَرَدان خَمْسا
وكأنّهنّ أهلّـة تحت الثياب زَفَفن شمسا
باكَرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ وغُمِسْن في الجاديّ غَمسا
فسألنني مَنْ في البيو ت فقلتُ ما يحوين إنْسا
ليت العيونَ الناظرا تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهنّ لي يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسًّا

[لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس]

أخبرني الأسَديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قالوا حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثنا علي بن محمَّد عن جعفر بن محمّد النَّوْفَليّ قال : أتيت بشّاراً ذات يوم ، فقال لي : ما شَعرت منذُ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصبح ؛ فقلت : يا جارية ، انظري مَنْ هذا ؛ فقالت : ما لك بن دينار ؛ فقلت : ما لي ولمالك بن دينار ! ما هو من أشكالي ! ائذَني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذ ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلاّ دفعُه عن نفسي بأن قلت : لا أعاود ؛ فخرج من عندي . وقلت في إثره : [من المتقارب]

غدا مالكٌ بمَلاماته عليّ وما باتَ مِن باليَهْ
[على حبِّ خُود مقيم الحشا من الحور محطوطة عاليهْ]
فقلتُ دَعِ اللوم في حُبِّها فقبلك أعييتُ عُذاليهْ
وإنّي لأكتُمهم سِرَّها غداةَ تقولُ لها الجاليهْ
أعبدةَ ما لكِ مَسْلوبةً وكنتِ مُقرطَقةً حاليهْ[1]
فقالت على رِقْبةٍ : إنّني رهنتُ المرعَّث خَلْخاليهْ
بمجلسِ يومٍ سأوفي به وإن أنكر الناسُ أحواليهْ

[أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فردّ عليها بشعر فيها]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عمرو بن محمّد بن عبد الملك قال حدَّثني الحسن بن جمهور قال حدَّثني هشام بن الأحنف ، راوية بشّار ، قال : إنّي لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ

1 مقرطقة : لابسة القُرْطق وهو القباء .

أيّام ؛ فقال : عن غير مَقْلِية والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام ، خُذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقولُ لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأملى عليّ : [من الخفيف]

عبد إنّي إليكِ بالأشواقِ لِتَلاقٍ وكيف لي بالتلاقي
أنا والله أشتهي سحرَ عينيْـ ـكِ وأخشى مَصارعَ العشّاقِ
وأهاب الحَرْسيّ مُحتسِبَ الجُنْـ ـد يَلُفّ البريءَ بالفُسّاقِ[1]

وممّا يغنّى فيه من شعر بشّار في عبدة قولُه : [من الطويل]

صوت

لعبدةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدارُ تَلُوح مَغانيها كما لاح أسطارُ
أُسائلُ أحجاراً ونُؤْياً مُهَدَّماً وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجارُ
وما كلّمتْني دارُها إذ سألتُها وفي كبدي كالنِّفْط شُبَّت به النارُ
وعند مَغاني دارِها لو تكلّمتْ لِمكتئبٍ بادِي الصَّبابة أخبارُ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

تحمَّل جيراني فعيني لبَيْنهم تَفيض بتَهتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على مَن كنتُ أحظى بقربه وحقَّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا[2]

الغناء ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

ومن الأغاني في شعره في عبدةَ : [من الخفيف]

صوت

مَسَّني من صدود عبدةَ ضُرُّ فبناتُ الفؤادِ ما تستقرُّ
ذاك شيء في القلب من حبّ عبـ ـدةَ بادٍ وباطنٌ يَسْتَسِرُّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشاميّ .

---

1 الحَرَسي : واحد حرس السّلطان وسُكّن للضرورة .
2 ساروا : في الديوان صاروا ، ص 448 (طبعة دار صادر) .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد إنّي قـد ظلمتُ وإنّني مُبْدٍ مقالةَ راغـبٍ أو راهبِ
وأتـوبُ ممّـا تكْرَهين لِتَقْبَلي واللهُ يقبـلُ حُسنَ فعلِ التائبِ

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رمل عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يـا عبـد حبُّـك شفَّني شَفّا والحبُّ داءٌ يُـورث الحَتْفا
والحبُّ يُخفيـه المحبّ ، لكي لا يُستراب بـه ، وما يخفَى

الغناء لِسِيَاط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يـا عبـد بالله فَرِّجـي كُرَبي فقـد بـراني وشفّني نَصَبي
وضِقْتُ ذَرْعاً بما كَلِفْتُ بـه من حُبّكم والمحبُّ في تعبِ
ففرِّجي كُرْبـةً شَجِيتُ بها وحَرَّ حُزْنٍ في الصدر كاللَّهَبِ
ولا تَظُنّي مـا أشتكي لَعِبـاً هيهاتَ قد جلّ ذا عن اللعبِ

غنّاه سِيَاطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا عبـد زُوريني تَكُنْ مِنّةً لله عنـدي يـومَ أَلْقـاكِ
واللهِ ثُـمّ اللهِ فاستيقنـي إنّـي لأَرجـوكِ وأخشاكِ
يـا عبـد إنّي هالكٌ مُدْنَفٌ إنْ لم أَذُقْ بَـرْدَ ثنـاياكِ
فـلا تَـرُدّي عاشقـاً مُدْنَفاً يرضى بهـذا القدر من ذاكِ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأنْعِمي واشفي فؤادَ فتـىً يَهيم مُتَيَّمِ

الغناء ليزيدِ حَوْراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبـد هـلْ لِلّقاء مِنْ سَبَبِ أوْلاَ فأدعو بالويـلِ والحَرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد هلْ لي منكمُ مِنْ عائِد أمْ هل لديكِ صلاحُ قلب فاسدِ

الغناء لابن عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبـد حيِّـي عن قريبِ وتأمَّـــلي عـــينَ الرقيبِ
وارعَـيْ وِدادي غائبـا فلقـد رَعَيتُـكِ في المَغيبِ
أشكـو إليـكِ وإنّمـا يشكو المُحـبّ إلى الحبيبِ
غَرَضي إليـك مـن الهوى غَـرَض المريضِ إلى الطبيبِ

الغناء لحَكَم مطلق في مجرى البنصر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا عبـد بالله ارْحمي عَبْدكِ وعَلِّليـه بمُنَـى وَعْـدِكِ
يُصبح مكروبـاً ويُمسي بـه وَليس يَـدري مـا لـه عندك
مـاذا تقولـين لربّ العُلا إذا تخلّيـتِ بـه وحـدكِ

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه . وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنِّسه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثاني لِسيَاط .

ومنها : [من المجتث]

صوت

يا عَبْد جَلِّي كروبي وأَسْعِفي وأثيبي[1]
فقد تَطاول هَمّي وزَفْرتي ونَحيبي

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنسه .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد أَنتِ ذخيرتي نفسي فَدَتْكِ وجِيرتي
اللّهُ يعلم فيكمُ يا عبد حسنَ سريرتي
نفسي لنفسِك خُلَّةٌ وكذاك أَنت أميرتي[2]

الغناء لحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد حُبِّي لكِ مستورُ وكلّ حبّ غيره زُورُ
إنْ كان هجري سَرَّكم فاهجروا إنّي بما سَرّك مسرورُ

الغناء لحَكَم هَزَج[3] بالوسطى عَنْ ابن المكّيّ .

ومنها : [من الرمل]

صوت

لم يَطُلْ لَيْلي ولكنْ لم أَنَمْ ونَفَى عنّي الكَرى طيفٌ أَلَمّ
وإذا قلتُ لها جُودي لنا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
رَفِّهي يا عَبْدَ عنّي واعلمي أنّني يا عبد من لحم ودمْ
إن في بُرْديّ جسماً ناحلاً لو تَوَكّأتِ عليه لانهدمْ
ختَم الحبُّ لها في عُنقي موضعَ الخاتم من أهل الذممْ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أَحد . وفيه لعَثْعَث الأَسود خفيفُ رمل في الأَوّل والخامس . وكان بشّار يُنكر هذا

1 وأثيبي في الديوان : وأنيبي ، ص 437 ، طبعة دار صادر .
2 خُلَّة : خليلة .
3 في ل : خفيف رمل .

البيتَ الأخير وهو : [من الرمل]

خَتَم الحبّ لهــا في عُنقي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثني أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدَّثني مَنْ أنشد بشاراً قولَه : [من الرمل]

لم يَطُل لَيْلي ولكنْ لم أَنم

حتى بلغ إلى قوله : [من الرمل]

ختــم الحــبُّ لهــا في عُنقي موضع الخاتم من أهل الذمْ

فقال بشّار : عَمّن أخذتَ هذا ؟ قلتُ : عَنْ راويتك فلان ؛ فقال : قَبّحه الله ؛ والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أما ترى إلى أثره فيه ؟ ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عن مذهبي ! فقال له بعضُ من حضر : نَعم ، هو ألْحقه بالأبيات .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

عَبْــد إنّي قــد اعترفتُ بذَنْبي فاغفِري واعْرُكي خَطايَ بجَنْبِ[1]
عبــد لا صبر لي ولستُ فمهلاً قائلاً قــد عَتَبتِ في غير عَتْبِ
ولقد قلــتُ حــين أنْصبني الحــ ــبُّ فأَبْلى جِسْمي وعذّب قلبي
ربِّ لا صبرَ لي على الهجر حَسْبي فأَقِلْني حَسْبي لكَ الحمدُ حسبي

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبــد مُنّــي وأَنْعمي قــد مَلَكْتــم قِيادِيَــهْ
شابَ رأسي ولم تَشبْ وابَلائــي لِدَاتِيــهْ

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هزج .

ومنها : [من الخفيف]

---

1 واعركي في ل : واعدلي .

صوت

عبد يـا هِمّتي عليك السلامُ فيـم يُجْفى حبيبُك المستهامُ[1]
نـزل الحبّ منزلاً في فؤادي ولـه فيـه مجـلسٌ ومقامُ

الغناء لأبي زَكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ[2] .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبـد يـا قُـرّةَ عيني أنصفي ، رُوحي فداكِ
عاشق ليس لـه ذِكـ ـر ولا هــمٌّ سواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيدِ حَوْراء غير مجنّس .

ومنها : [من الرمل]

صوت

يا عَبْـد يـا جافيةً قاطعه أَمَا رَحِمتِ المُقْلَةَ الدامعهْ
يا عبد خافي اللهَ في عاشقٍ يهـواكِ حتـى تَقَع الواقعهْ

الغناء لأبي زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَرْسَلَتْ أُمُّ جعفـر لا تـزورُ ليتَ شعري بالغيب مَنْ ذا دهاها
أَأَتاهـا محـرِّش بنَميـمٍ كاذبٌ مـا أَراد إلاّ رَدَاها

عروضه من الخفيف ، الشعر للأحوص . والغناء لأُمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولحنه من الثقيل الأَوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من الثقيل الأَوّل بالبنصر ، فلا أَعلم أَهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ .

---

1 الهمّة : الهوى .

2 في ل : رمل .

[92] ـ أخبار الأحوص مع أُمّ جعفر

[أُمّ جعفر التي كان يشبّب بها الأحوص ونسبها]

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدَّماً إلاّ أخبارَه مع أُمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنّها أُخّرت إلى هذا الموضع . وأُمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة[1] ، وهي أُمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتادة بن مَعَدّ[2] بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأوْس . وله فيها أشعار كثيرة .

[تشبيب الأحوص بأُمّ جعفر وتوعّد أخيها أيمن له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم ومحمّد بن يحيى الطَّلْحيّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، وأخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني أحمد بن زُهَير عن مصعَب ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسيّ ، قالوا جميعاً : لمّا أكثر الأحوصُ التشبيب بأُمّ جعفر وشاع ذكرُه[3] فيها توعّده[4] أخوها أيْمَنُ وهدّده فلم يَنْته ، فاستعدى عليه واليَ المدينة ، وقال الزُّبَير في خبره : فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ، فربَطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أخوها . وقال غير الزُّبَير في خبره : وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها : [من الطويل]

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ
وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي ... وقد وَغِرتْ فيها عليّ صدورُ
أدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أزورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكن ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بُدّ أن سيزورُ

1 لقب خطمة لأنّه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه .
2 في ل : معبد .
3 في ل : شعره .
4 في ل : أوعده .

أَزورُ على أَن لستُ أَنفكُّ كلَّما ... أَتيتُ عدوّاً بالبنان يُشيرُ

فقال السائب بن عمرو ، أَحد بني عمرو بن عَوْف ، يعارضُ الأَحوصَ في هذه الأَبيات ويعيِّره بفراره : [من الطويل]

لقد منع المعروفَ من أُمِّ جعفر ... أَخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ

عَلاك بمَتْنِ السوطِ حتى اتّقيته ... بأَصفرَ من ماء الصِّفاق يفورُ[1]

فقال الأَحوص : [من الطويل]

إِذا أَنا لم أَغفِر لأَيْمَنَ ذنبَه ... فمَن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي

أُريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدّني ... يدٌ لأَدانيه مباركةٌ عندي

وقال الزبير في خبره خاصّة : وإِنّما أَعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطيْن وأَمرهما أَن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفّان ؛ فإِنّه كان لمّا تهاجى سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الغَطَفانيّ الفَزاري لَزّهما عثمان بحبل وأَعطاهما سوطيْن فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : وقال الأَحوص فيها أَيضاً ، وقد أَنشدني علي بن سليمان الأَخفش هذه الأَبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأَضفتهما إِليها : [من الطويل]

وإِنّي ليدعوني هوى أُمِّ جعفر ... وجاراتها من ساعةٍ فأُجيبُ

وإِنّي لآتي البيتَ ما إِن أُحبُّه ... وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيبُ

وأُغْضي على أَشياء منكم تسوءني ... وأُدعى إِلى ما سَرّكم فأُجيبُ

هَبِيني امرأً إِمّا بريئاً ظلمتِه ... وإِمّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ

فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإِنّها ... منَ الحزن قد كادت عليك تذوبُ

لك اللهُ إِنّي واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثْنٍ بما أُوليتني ومُثيبُ

وآخُذُ ما أَعطيتِ عفواً وإِنّني ... لأَزْوَرُ عمّا تكرهين هَيوبُ

هكذا ذكره الأَخفش في هذه الأَبيات الأَخيرة ، وهي مروية للمجنون في عدّة روايات ؛ وهي بشعره أَشبه . وفي هذه الأَشعار التي مضت أَغانٍ نسبتها : [من الطويل]

صوت

أَدورُ ولولا أَن أَرى أُمَّ جعفر ... بأَبياتكم ما درتُ حيث أَدورُ

---

1 الصِّفاق : جمع صَفَق وهو الأَديم الجديد الذي يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أَصفر يسمّى صَفْق .

أُدورُ عــلى أن لستُ أُنفكّ كلّما أتيــتُ عــدوّاً بالبَنـــانِ يُشيرُ

الغناء لمَعْبد ، وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وخفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولإسحاقَ فيهما وفي قوله : [من الطويل]

أُزور البيوتَ اللاّصقاتِ ببيتها

وبعده : [من الطويل]

أُدورُ ولولا أن أرى أُمَّ جعفر

لحن من الرمل . وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد ، للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، ولإبراهيم خفيف ثقيل . وفيه لحن لشارِية عن ابن المعتزّ ولم يذكر طريقتَه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا أنــا لم أغفِــر لأَيْمَــنَ ذنبَه فمَنْ ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أُريــدُ مكافــاةً لــه وتَصُــدّني يــدٌ لأُدانيــه مباركــةٌ عنــدي

الغناء لمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيرُه أنّه من منحول يحيى إلى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيب ورَونق .

ومنها وهو : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

وإنّي لآتــي البيتَ مـا إن أُحِبُّه وأُكثر هجــرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضي على أشياءَ منكم تسوءني وأُدعى إلى مــا سرّكم فأُجيبُ
وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأنّني أُميم بأفْيــاء الديــار سَلِيبُ[1]
أُبُــثُّك ما أَلقَى وفي النفس حاجةٌ لهـا بــين جِلْدي والعظام دَبيبُ
لكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتني ومُثْــنٍ بمـا أُوليتنـــي ومُثيبُ
وآخُــذ مــا أعطيتِ عفواً وإنّني لأَزْوَر عمّــا تكرهــين هَيوبُ
فــلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنّها من الحزن قد كادت عليك تذوبُ

---

1 أميم : في ل : لهيم . سليب : مستلب العقل .

الشعر للأحوص . ومن الناس مَن ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحْمان . وهو ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنّ في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل ، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى أم ثقيلاً آخر . وفي : [من الطويل]

لكِ اللهُ إنِّي واصلٌ مـا وصلتني ... ومُثْـنٍ بمـا أوليتنـي ومُثيـبُ

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[لمّا أكثر من ذكر أمّ جعفر عرضت له في أمر فحلفَ أمام الناس أنّه لا يعرفها]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدَّثني محمّد بن حسن ؛ قال الزُّبَير وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن مُحرِز : أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقِبة ، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها ، وكانت امرأةً عفيفة ؛ فقالت له : اقضِ ثمنَ الغنم التي ابتعتَها منّي ؛ فقال : ما ابتعتُ منكِ شيئاً . فأظهرتْ كتاباً قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضرّاً وفاقةً وقالت : يا قوم ، كلِّموه . فلاَمه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها ؛ فجعل يحلفُ أنّه ما رآها قطُّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويْحك ! أما تعرفني ؟ فجعل يحلف مجتهداً أنّه ما يعرفها ولا رآها قطُّ . حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمِعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم ، قامت ثم قالت : أيّها الناس ، اسكتوا . ثم أقبلت عليه وقالت : يا عدوَّ الله ؛ صدقتَ ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني ، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق ، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأمّ جعفر وقالت لي أمّ جعفر في شعرك ! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم .

[سمع أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرب]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدَّثنا الزُّبَير ، وأخبرني به محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا ثَعْلَب قال حدَّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص : [من الطويل]

لقـد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر ... وإنِّـي إلى معروفهـا لفقيرُ

فلمّا انتهيتُ إلى قوله : [من الطويل]

أزورُ على أن لستُ أنفكُّ كلَّما ... أتيـتُ عـدوّاً بالبنان يُشيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدري يا ابنَ أخي كيف كانوا يقولون ! الساعةَ دخل ، الساعةَ خرج ، الساعةَ مرّ ، الساعةَ رَجع ، وجعل يُومىء بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسَبّابته إلى حِيال وجهه ويقلبها ، يحكي ذهابَه ورجوعَه .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الخفيف]

صاحِ قــد لُمْتَ ظالمًا فانظرِ آنْ كنتَ لائمَا
هل تــرى مثلَ ظَبْيَةٍ قَلَّدوهــــا التمائما

الشعر لعمر بن أَبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأَخبرني ذُكَاء وجه الرزّة أن فيه لِعَريبَ رملاً بالبنصر ، وهو الذي فيه سَجْحة . وفيه لابن المَكّيّ خفيفُ ثقيل آخرُ بالوسطى . وزعم الهشاميّ أَن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج ، وقد سمعها ممّن يغنّيه . وذكر حَبَش أَنّ فيه رمَلاً آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل ، وهو من جيِّد صنعتها ، وذكر جَحْظة عن أَصحابه أَن لحنها الرمَلَ وهو اللحن المختار ، وأَنّ إسحاق كان يقدّمها ويستجيده ، ويزعم أَنّه أَخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدَّثني أَبو عبد الله الهشاميّ : أَنّ عَرِيب صنعتْ فيه لحنها الرمَل بعد أَن أَفضت الخلافةُ إلى المعتصم ، فأَعجبه وأَمرها أَن تطرحه على جواريه ، ولم أَسمع بَشَراً قطُّ غنّاه أَحسنَ من خِشْف الواضحيّة .

وكلّ أَخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ ، أَوْ لها موضع تُذكر فيه ، إلاّ عاتكة بنت شُهْدة فإنّ أَخبارَها تذكر هاهنا ؛ لأَنّه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأَذكرَه غير هذا . وقد ذكر جَحْظة عن أَصحابه أَنّ لحنَها هو المختار فوجب أَن نذكر أَخبارها معه أُسوةَ غيرها .

[93] ـ [عاتكة بنت شُهدة]

[عاتكة بنت شُهدة وشيء من أخبارها]

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة . وأُمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح . وكانت شُهدة مغنّيةً أيضاً .

[غنّى ابن داود الرشيد صوتاً لأمها فطرب]

حدَّثني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا العَلاء[1] قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن بعض المغنِّين قال : كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما ، وعنده في تلك الليلة محمّد بن داود بن إسماعيل بن عليّ ؛ فتغنَّى المغنّون ، ثم اندفع محمّد بن داود فغنّاه بين أضعافهم : [من الرمل]

صوت

أمَّ الوليـد سَلَبْتِني حِلْمِـي ... وقتلتِنـي فتخـوّفي إثمـي

بـاللهِ يـا أُمّ الوليـد أمَـا ... تخشَيْنَ فيّ عواقـبَ الظلْـمِ

وتركتنـي أبغـي الطبيبَ وما ... لطبيبنـا بالـداء مـن عِلْـمِ

خافي إلهكِ في ابن عمِّكِ قد ... زوّدتِـه سُقْمـاً عـلى سُقمِ

قال : فاستحسن الرشيد الصوتَ واستحسنه جميعُ مَن حضره وطربوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي ، لَمن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْ هؤلاء المغنّين لَمن هو . فقالوا : والله ما ندري ، وإنّه لغَريبٌ . فقال : بحياتي لَمن هو ؟ فقال : وحياتِك ما أدري إلاّ أنّي أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أُمّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيّات ، والغناء لابن مُحْرِز ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالك ثاني

---

1 في ل : الغلابي .

ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش .

[كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصليّ]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يوماً فقال : كانت أَضربَ مَنْ رأيتُ بالعود ؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلفُ إليها في كلّ يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين[1] ، ووصل إليها منّي ومن أبي بسببي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم : دراهمَ وهدايا .

[ماتت بالبصرة ، وقصّتها مع ابن جامع عند الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم ، وماتت بالبصرة . وأُمّها شُهْدة نائحة من أهل مكّة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودعنا من جنونك . فأضجرتْه يوماً بين يديّ الرشيد فقال لها : أي أُمّ العبّاس : إنّي أشتهي ، عَلِم الله ، أنْ تحتكّ شِعْرتي بشعرتك . فقالت : اخسَأْ ، قطع الله ظهرَك ! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

[غنّت جارية بشعر فعارضتها هي وذمّت بنداراً الزيّات]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : قال لي عليّ بن جعفر بن محمّد : دخلت على جواري المروانيّ المغنّيات بمكّة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنَها : [من الكامل]

يــا صاحبيّ دَعـا الملامةَ واعلَما   أنّ الهـوى يَـدَع الكِرامَ عَبيدا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول : «يدعُ الرجالَ عَبيداً» . فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة : ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أُمّه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ؟ . قال : فكنتُ إذا مرَّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحيي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً ؛ حتى أوْرث هذا بيني وبينه مقاربةً ؛ فكان يقول : أبو الحسن عليُّ بن جعفر صديقٌ لي .

[علّمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة ، وهي علَّمتْه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذُكر ذلك في أخباره .

---

1 في ل : طرقاً أو طرقين .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلِ
لعمري لأنتَ البيتُ أُكـرِمُ أهلَه وأقعُـد في أفيائـه بـالأصائلِ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذليّ . والغناء لحكَم الواديّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعيّ ، رجل كان يَبِيع الخمرَ بالطائف ، وزعم أنّ الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابيّ : ليس هذا بشيء ، وزعم أنّ الناطل : الشيء ؛ يقال : ما في هذا الإناء ناطل ، أي ليس فيه شيء . وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ . انتهى .

1 لأنت في ل : لآتي .

[94] ـ ذكر أَبي ذُؤَيب[1] وخبره ونسبه

[نسبه]

هو خُوَيْلِد بن خالد بن مُحرِّث[2] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم[3] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضَر بن نِزار . وهو أَحد المخضرَمين ممّن أَدرك الجاهليّة والإسلام ، وأَسلم فحسُن إسلامُه . ومات في غَزاة إفْرِيقية .

[رأي ابن سلام فيه وشهادة حسّان له]

أَخبرني أَبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال : كان أَبو ذُؤَيب شاعراً فَحْلاً لا غَميزة[4] فيه ولا وَهْن .

وقال ابن سَلاّم : قال أَبو عمرو بن العلاء : سُئل حسّان بن ثابت : مَنْ أَشعر الناس ؟ قال : أَحَيّاً أَم رجلاً ؟ قالوا : حيّاً ؛ قال : اشعرُ الناسِ حيّاً هُذَيل ، وأَشعر هذيل غيرَ مُدافع أَبو ذُؤَيب . قال ابن سلاّم : ليس هذا من قول أَبي عمرو ونحن نقوله .

[اسمه بالسريانية مؤلف زورا]

أَخبرني أَبو خَليفة قال حدَّثنا محمّد بن سَلاّم قال أَخبرني محمّد بن مُعاذ العُمَريّ قال : في التّوراة : أَبو ذؤيب مؤلّف زوراً ، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأخبرتُ بذلك بعضَ أَصحاب العربيّة ، وهو كثير بن إسحاق ، فعجب منه وقال : قد بلغني ذاك . وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكِّناً في الشعر .

[تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية]

قال أَبو زيد عمر بن شَبّة : تقدّم أَبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التي يَرثي فيها بَنِيه . يعني قولَه : [من الكامل]

1 انظر أَخباره في : الشعر والشعراء : 457 وطبقات ابن سلام : 131 والمؤتلف : 173 ومصورة ابن عساكر 5 : 690 ومختصر ابن منظور 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر 5 : 182 وأسد الغابة 5 : 188 والإصابة 7 : 63 والوافي 13 : 437 . والخزانة 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 والعيني 1 : 295 ومعاهد التنصيص 2 : 165 والدميري 2 : 47 ومعجم الأدباء : 3 : 1275–1277 والتذكرة الحمدونية 8 : 28–29 .

2 في ل : محرز .

3 في ل : غنم .

4 غميزة : مطعن .

أَمِـنَ المَنـونِ ورَيْبِـه تتوجّـعُ والدَّهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ[1]

وهذه يقولها في بنينَ له خمسة أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أَثَر أخباره هذه .

[خرج مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزُّبَير فمات في مصر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعَب الزُّبَيريّ ، وأَخبرني حِرْميُّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمِّي قال : كان أَبو ذؤيب الهُذَليّ خرج في جُند عبد الله بن سَعْد بن أَبي سَرْح أَحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفْرِنْجَةَ في زمن عثمان . فلمّا فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزُّبَير وكان في جنده بشيراً إلى عثمان بن عفّان ، وبعث معه نفراً فيهم أَبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أَبو ذؤيب : [من المتقارب]

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا ءِ يَنْهض في الغزو نهضاً نَجيحا[2]

في قصيدة له . فلمّا قدِموا مصرَ مات أَبو ذؤيب بها . وقدِم ابنُ الزُّبَير على عثمان ، وهو يومئذٍ ، في قول ابن الزُّبَير ، ابنُ ستّ وعشرين سنة ؛ وفي قول الواقِديّ ابن أَربع وعشرين سنة . وبُشّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزُّبَير وبأَخيه عُرْوة بن الزُّبَير ، وكانا وُلدا في ذلك العام ، وخُبيب أَكبرهما .

[وصف ابن الزبير لحرب إفريقية]

قال مصعب : فسمعتُ أَبي والزُّبَيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير يقولان : قال عبد الله بن الزُّبَير : أَحاط بنا جُرْجِير صاحبُ إفريقية وهو ملك إفْرِنْجة في عشرين أَلفاً ومائة أَلف ونحن في عشرين أَلفاً ؛ فضاق بالمسلمين أَمرُهم واختلفوا في الرأي ، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطه يخلو ويفكّر . قال عبد الله بن الزبير : فرأَيتُ عَوْرة من جُرْجير والناسُ على مَصافّهم ، رأَيته على بِرْذَوْن أَشهبَ خَلْفَ أَصحابه مُنقطِعاً منهم ، معه جاريتان له تُظِلاّنه من الشمس بريش الطَّواويس . فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذنَ عليه من حاجبه ؛ فقال : إنّه في شأنكم وإنه قد أَمرني أن أُمسك الناسَ عنه . قال : فدُرتُ فأَتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلتُ عليه ، فإذا هو مُستلقٍ على فراشه ؛ ففزِع وقال : ما الذي أَدخلك عليّ يا ابن الزُّبَير ؟ فقلت : إيه وإيه ! كلُّ أَزَبَّ[3] نَفورٌ ! إنّي رأَيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيتُ فواتَها ، فاخرُجْ فَانْدُب

---

1 وريبه في ل : وريبها .

2 الضَّرا في ل : الغضا .

3 الأزب من الإبل : الذي يكثر شعر حاجبيه .

الناسَ إليّ . قال : وما هي ؟ فأخبرته ؛ فقال : عورةٌ لعمري ! ثم خرج فرأى ما رأيت ؛ فقال : أيّها الناس ، انتدِبوا مع ابن الزُّبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، وقلت : إنّي حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإنّي سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبّوا عنّي حتى خرقتُهم إلى أرض خالية ، وتبيّنته فصمَدْتُ[1] صَمْدَه ؛ فوالله ما حسِب إلاّ أنّي رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلاّ ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى بِرْذَوْنَه هارباً ، فأدركتُه فطعنته فسقط ، ورميتُ بنفسي عليه ، واتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما . وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه في رُمحي ، وجال أصحابُه وحمَل المسلمون في ناحيتي وكبّروا فقتّلوهم كيف[2] شاؤوا ، وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك ، فبعثني إلى عثمان .

[اشترى مروان خُمس فيْء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان]

وقَدِم مروانُ[3] بعدي على عثمان حين اطمأنّوا وباعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفَق[4] على الخُمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك ممّا تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[5] بن مُلَيل وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف لأُمّه ، وهي صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممّن سقط من اليمن إلى مكّة : [من المتقارب]

أحْلِــف بالله جهد اليميـ ... ـن ما ترك الله أمراً سُدَى
ولكنْ خُلقــتَ لنــا فتنةً ... لكــي نُبتلى فيكَ أو تُبتلى
دعــوتَ الطَّرِيدَ فأدنيتَه ... خلافاً لسنّة مَنْ قد مضى[6]
وأعطيتَ مَرْوان خُمسَ العبا ... د ظلماً لهم وحَمَيْتَ الحمى
ومالاً أتاكَ بــه الأشعريّ ... من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا
وإنّ الأمينَيْنِ قــد بَيّنــا ... منــارَ الطريق عليه الهُدى

1 صمد صمد الأمر : قصد قصده .
2 في ل : حيث .
3 هو الخليفة مروان بن الحكم .
4 الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع .
5 في ل : حسان .
6 الطريد : الحكم بن العاص بن أُميّة .

فمـــا أخـــذا درهماً غِيلةً ولا قسّما درهماً في هوى

قال : والمال الذي ذكر أنّ الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق ، فأعطى عبدَ الله بن أسيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم ، وقيل : ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناسُ ذلك .

[ذكر ابن بُجرة وخمره في قصيدة غنّى في أبيات منها]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن محمّد بن يحيى عن عبد العزيز ، أظنّه ابن الدّراوَرْدي ، قال : ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش ، ولم يسكنوا مكّة ولا المدينة قَطّ ، وبالمدينة منهم امرأة ، ولهم موالٍ أشهرُ منهم ، يقال لهم بنو سجفان . وكان ابن بُجرة هذا خَمّاراً . وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فممّا يغنّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائل عن الحيّ أم عن عهده بالأوائلِ

عفا غيرَ رسم الدار مـــا إن تُبينُه وعفْرِ ظباءٍ قد ثَوَتْ في المنازلِ[1]

فلو أنّ مـــا عند ابن بُجْرَةَ عندها من الخمر لم تَبْلُل لَهاتـــي بناطلِ

فتلك التي لا يَذهبُ الدَّهرَ حُبُّها ولا ذِكرُها مـــا أَرْزَمَتْ أُمُّ حائلِ

غنّاه الغَريض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لَمَعْبد فيه أيضاً لحناً .

قوله : «أساءلتَ» يخاطب نفسه . ويروى : «عن السُّكْن أو عن أهله» . والسُّكْن . الذي كانوا فيه . وقال الأصمعيّ : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضاً . ويروى : «عفا غير نُؤْيِ الدار» . والنُّؤْي : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلاّ يَصِل المطر إليها . ويروى وهو الصحيح :

وأقطاع طُفْي قـــد عَفَتْ في المعاقلِ[2]

والطُّفْي : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فامتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْي : طُفْية . وأَرْزمتْ : حَنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنها : [من الطويل]

1 تبينُه في ل : أُبينه .

2 أقطاع : جمع قِطع وهو كالقطيع الغصن تقطعه من الشجرة .

صوت

وإنّ حديثاً منكِ لو تَبْذُلينه — جَنى النحلِ في أَلبان عُوذٍ مَطافلِ
مَطافل أَبْكار حَدِيث نِتاجها — تُشاب بماءٍ مثل ماء المفاصلِ

غنّاه ابن سُريج رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع فهي عائذ ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنفَصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[1] ، والماء الذي يَسْتنقِع[2] فيها أَطيبُ المياه . وتُشاب : تُخلط .

وأَخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأَصمعيّ : أَن أَبا ذؤيب إنّما عَنى بقوله : «مَطافل أَبْكار» أَنّ لبن الأَبكار أَطيبُ الألبان ، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ . قال : وكذلك العسل فإنّ أَطيبَه ما كان من بِكر النحل . قال : وحدَّثني كُرْدين قال : كتب الحجّاج إلى عامله على فارس : إبعثْ إليّ بعَسل من عسل خُلاَّر[3] ، من النحل الأَبكار ، من الدستفشار[4] ، الذي لم تمسَّه النار .

[صوت من قصيدته العينية]

فأمّا قصيدته العينية التي فُضِّل بها ، فممّا يغنَّى به منها : [من الكامل]

صوت

أَمِنَ المَنون ورَيْبها تتوجّعُ — والدَّهرُ ليس بمُعْتبٍ من يَجْزَعُ
قالت أُمامة ما لجسمكَ شاحباً — منذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنْفعُ
أَم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً — إلاّ أَقضَّ عليك ذاك المضجَعُ
فأجبتُها أَنْ ما لجسمي أَنّه — أَودى بَنيّ مِن البلاد فودّعوا

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرز ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالبنصر في مجراها . قال الأَصمعيّ : سُمِّيت المَنون منوناً لأَنّها تذهب بمُنَّة كلّ شيء وهي قوّته . ورَوى الأَصمعيّ : «ورَيْبه» فذَكَّر المَنون . والشاحب : المُغيَّر المهزول . يقال : شَحُبَ يشحُب . ابتُذِلتَ : امتَهَنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا ، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أَقضّ عليك أي

1 الرضراض : ما دقَّ من الحصى .
2 يستنقع : يجتمع .
3 خلار (كرمان) موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيّد .
4 الدستفشار : لفظة فارسية ، معناها : ما عصرته الأيدي وعالجته .

خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز : [من الرجز]

إنّ أُحَيحاً مـات من غير مَرَضْ ووُجْدَ في مَرْمَضه حيث ارتمضْ[1]

عَساقلٌ وجبــأٌ فيهـا قَضَضْ[2]

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك في الذهاب لأنّ من عادة المفارق أن يودّع .

[طلب المنصور قصيدته العينيّة فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدّب فأجازه]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدَّثني أبي عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عياش قال : لمّا مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[3] إلى مقابر قريش ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه ، ثم انصرف إلى قصره . ثم أقبل على الربيع[4] فقال : يا ربيع انظُر مَنْ في أهلي يُنشدني : [من الكامل]

أمِــنَ المنــون وريْبهــا تتوجّع

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي . قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور ، فسألتُهم عنها ، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ، فرجعتُ فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقِلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصيبتي بابني . ثم قال : انظُر هل في القوّاد والعَوامّ من الجند مَنْ يعرفها ، فإنّي أحبّ أن أسمعها من إنسانٍ يُنشدها . فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلاّ شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شِعْر أبي ذُؤَيب . فقلت : أنْشِدْني . فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة . فقلت له : أنت بُغيتي . ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إيّاها . فلمّا قال : [من الكامل]

والدَّهرُ ليس بمُعتِــب مَــنْ يَجْزَعُ[5]

قال : صدق والله ، فأنْشِدْني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدَه ، ثم مرّ فيها . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

والدَّهرُ لا يَبْـقى على حَدَثانه جَــوْنُ السَّراة له جدائدُ أربعُ[6]

---

1 ارتمض الرجل من كذا : أي اشتدّ عليه وأقلقه .

2 العساقل : ضرب من الكمأة . والجبء : الكمأة السّود .

3 يريد بغداد .

4 هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

5 أعتبه : رجع إلى ما يُرضيه وترك ما يُسخطه .

6 جون السّراة يقصد الحمار . والجدائد : الأتن التي لا لبن لها .

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أَمَر الشيخَ بالانصراف . فاتّبعتُه فقلت له : أأَمَرَ لك أميرُ المؤمنين بشيء ؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم .

[خانه خالد بن زهير في امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : كان أبو ذؤيب الهُذَليّ يهوَى امرأةً يقال لها أُمّ عمرو ، وكان يُرسِل إليها خالد[1] بن زُهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجلٍ يقال له عُوَيم بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها . فلمّا علِم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَمها . فأرسلتْ تترضّاه ، فلم يفعلْ ، وقال فيها : [من الطويل]

تُريدين كيما تجمعيني وخالداً … وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحكِ في غِمْدِ

أخالدُ ما راعيْتَ مِني قرابةً … فتحفَظَني بالغيب أو بعض ما تُبدي[2]

دعاكَ إليها مُقْلتاها وجيدُها … فملتَ كما مال المُحبّ على عَمْدِ

وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بدا … لقوم وقد باتَ المطيُّ بهم يَخْدي[3]

فآليتُ لا أنفكّ أحْذو قصيدةً … تكون وإيّاها بها مثلاً بعدي

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر . الغيب : السرّ . والرقراق : الجاري . ويروى : «أحذو قصيدة» . فمن قال : «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع ، ومن قال : «أحدو» أراد أغنّي .

وقال أبو ذؤيب في ذلك : [من الطويل]

وما حُمِّل البُخْتيُّ عامَ غِياره … عليه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُها[4]

أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها … كَرَفْغ التراب كلُّ شيءٍ يَميرها[5]

الرفغ من التراب : الكثير اللين .

فقيل تَحَمَّلْ فوق طوقك إنّها … مُطَبَّعة مَنْ يأتها لا يَضيرُها

1 خالد بن زهير الهذلي ، ابن أخت أبي ذؤيب .

2 مني في ل : من ذي .

3 خدى البعير : أسرع وزج بقوائمه .

4 الغِيار : مصدر غارهم يُغيرهم إذا مارهم أي أتاهم بالميرة . الوسوق : جمع وسَق : وهو حمل البعير ، وقيل الحمل عامة .

5 أتى قرية في ل : إلى قرية .

بأعظمَ ممّا كنتُ حَمَّلتُ خالداً وبعضُ أُمانات الرجال غُرورها
ولو أنّني حَمّلته البُزْلَ ما مشتْ به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صدورها

تتلئب : تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع .

خليلي الذي دلى لغَيٍّ خليلتي جِهاراً فكلٌّ قد أُصابَ عُرورها[1]

يقال : عَرّه بكذا أي أصابه [به] .

فشأنَكها ، إنّي أمينٌ وإنّني إذا ما تَحالَى مثلُها لا أُطُورها

تَحالى : من الحلاوة . أُطورها : أَقْرَبُها :

أُحاذر يوماً أن تَبِين قَرينتي ويُسْلمها أَحْرازُها ونَصيرها

الأَحراز : الحصون . قرينتي : نفسي .

وما أَنفُس الفتيانِ إلاّ قرائنٌ تَبِينُ ويبقى هامُها وقُبورها
فنفسَك فاحفظْها ولا تُفشِ للعِدا من الشرّ ما يُطوى عليه ضَميرُها
وما يُحْفظُ المكتومُ من سرّ أَهله إذا عُقَدُ الأَسرار ضاع كبيرُها
مِنَ القوم إلاّ ذو عَفاف يُعينه على ذاك منهُ صِدْقُ نفس وخِيرُها
رَعى خالدٌ سرّي ليالِيَ نفسُه تَوالى على قَصْد السبيل أُمورُها
فلمّا تراماه الشبابُ وغَيُّه وفي النفس منه فِتْنَةٌ وفُجورها[2]
لوى رأسَه عنّي ومال بودّه أَغانيجُ خَوْد كان فينا يَزُورها[3]
تَعلَّقه منها دَلالٌ ومُقلة تَظَلّ لأَصحاب الشَّقاء تُديرها
فإنّ حراماً أَنْ أَخون أَمانةً وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرها

فأَجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنّ الله لُبَّك إذ غَزا وسافَرَ والأَحلامُ جَمٌّ عُثُورُها

غزا وسافر لبّك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ .

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقتْ بأَمرٍ صُدورها

---

1 دلّى فلان فلاناً في الشر : أوقعه وصيّره فيه . العُرور : المعرّة والعيب .
2 تراماه الشباب : أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .
3 الأغانيج : جمع أُغنوجة .

لعلّـك إمّا أمُّ عمـرو تبدّلـت سِواكَ خليـلاً شاتمي تَسْتخيرها

الاستخارة : الاستعطاف .

فإنّ التي فينـا زعمـتَ ومثلَها لَفِيـكَ ولكنّـي أراك تَجُورها

تجورها : تُعرض[1] عنها .

ألم تَنْتقذهـا من عويم بن مالك وأنت صفـيُّ نفسِه وسَجيرها[2]

فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أنت سِرْتَها فـأوّلُ راضٍ سُنّـةً مَنْ يسيرها

ويروى [قد] أسرتَها ، أي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأنّ مستقبل أفعل أسارها يسيرها . و«يَسِيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها .

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانَـةً فتلك الجَوازِي عَقْبها ونُصُورها

عَقْبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أي تُنصر عليك ، الواحد نصر .

وإن كنتَ تَبْغـي للظُّلامة مَرْكباً ذَلُولاً فإنّـي ليس عندي بَعيرها

نشأتُ عَسيراً لا تَلِين عَريكتي ولم يَعْلُ يوماً فوق ظهري كُورها[3]

متى ما تشأْ أَحمِلْك والرأسُ مائلٌ على صَعْبَةٍ حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورها[4]

فـلا تَكُ كالثور الذي دُفنتْ له حديدةُ حَتْفٍ ثـم أمسى يُثيرها

يُطيـل ثَـواءً عندهـا لِيَرُدَّهـا وهيهاتَ منـه دارهـا وقُصورها

وقاسمهـا بـالله جَهْـداً لأَنتـمُ أَلذُّ مـن السَّلْوى إذا ما نَشُورها

نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل .

فلم يُغن عنـه خَدْعُه يوم أَزْمَعتْ صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها[5]

ولم يُلْفَ جَلْداً حازماً ذا عَزيمة وذا قـوّة يَنفي بهـا من يَزورها

فأَقْصِرْ ولم تأخـذْك منّي سحابةٌ يُنَفِّـر شاءَ المُقْلِعـين خَريـرُها

المقلعين : الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب .

---

1 في ل : تعدل .

2 السّجير : الخليل الصفيّ .

3 الكور : الرّحل .

4 الرأس : مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .

5 مرٌّ ضميرها : أي نفسها خبيثة كارهة .

ولا تَسْبِقنّ الناسَ منّـي بخَمْطةٍ مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها[1]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدَّثنا العبّاس بن هشام قال حدَّثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَلِيّ من أهل المدينة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد[2] ، حتى قَدِموا على عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه . فقال له : أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ في سبيل الله . قال : ذلك كان عليّ وإنّي لا أرجو جنّة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلمّا قَفَلوا أخذه الموت ؛ فأراد ابنه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمنعهما صاحبُ الساقة وقال : ليتخلّفْ عليه أحدُكما وليعلمْ أنّه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا ، فطارت القُرعة لأبي عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد ، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعضِد[3] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْني إلى هذا النهر فإنّك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فاغسِلْني وكفّنّي ثم اجعلني في حَفيري وانثِلْ[4] عليّ الجُرُف برمحك ، وألقِ عليَّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجةً[5] تراها في الأفق إذا مشيتَ كأنّها جَهامة . قال : فما أخطأ ممّا قال شيئاً ، ولولا نَعْته لم أهتدِ لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه : [من الرجز]

أبـا عُبَيـد رُفع الكتابُ واقترب الموعـدُ والحسابُ
وعند رَحْلي جملٌ نُجاب أحمـرُ في حاركه انصباب[6]

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم ، فما كان وراء قبر أبي ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

---

1 الخمطة : الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم ، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد .
2 في ل : عقيل .
3 عضد الشجر : قطعه .
4 نثل الركية ينثلها : أخرج ترابها .
5 الرهجة : ما أثير من غبار .
6 الحارك : أعلى الكاهل .

[95] ـ ذكر حَكَم الواديّ وخبره ونسبه

[نسبه وأصله وصناعته]

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حَلاّقاً يحلِقُ رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلاً أَحْوَلَ ، يُكْرِي الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويُكنى أبا يحيى . وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبَير : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان جَمّالاً ينقلُ الزيتَ من وادي[1] القُرَى إلى المدينة .

[غنّى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد]

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّه كان شيخاً طويلاً أحولَ أَجْنأً[2] يخضِب بالحِنّاء ، وكان جَمّالاً يحمل الزيتَ من جُدّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحِذْق ، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّي مرتجِلاً ، وعُمِّر عمراً طويلاً ، غنّى الوليدَ بن عبد الملك ، وغنّى الرشيدَ ومات في الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنّه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان ، وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسمّيه الوليد جامعَ لذّتي ، وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك ، وقيل : ابن عبيد ، ويعقوب الوادي . وكلّ هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني حمّاد قال قال لي أبي : أحذقُ من رأيتُ من المغنّين أربعة : جدّك وحَكَم وفُليح بن العوراء وسِيَاط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناء غيرهم فيحسنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أَطْبع من حَكَم وابن جامع ، وفُليحٌ أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

[غنّى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه]

وذكر هارون بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات أنّ أحمد بن المكّيّ حدّثه عن أبيه قال حدَّثني حكم الواديّ ، وأخبرني به محمّد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدَّثنا الغَلابيّ عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكّيّ عن أبيه عن حكم الواديّ قال : أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد ، وهو

1 وادي القُرى : وادٍ بين الشام والمدينة .

2 أجنأ : أحدب .

على حمار ، وعليه جُبّة وَشْي ورداء وشي وخُفّ وشي ، وفي يده عِقْد جوهر ، وفي كُمِّه شيء لا أدري ما هو . فقال : مَنْ غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمِّي وما عليّ وما معي وما تحتي ؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يَطْرَب ؛ فقال لي : غَنِّ يا غلام ، فغنَّيتُ : [من مجزوء الرجز]

صوت

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس له جيرانُ
إذا مشتْ تَثنّتْ كأنَّها ثعبانُ

الشعر لمُطيع بن إيّاس . والغناء لحَكَم الوادي هَزَجٌ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كمّه ، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار ، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر ؛ فلمّا دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إيّاس .

[مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً]

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش : [من الوافر]

صوت

أبو يحيى أخو الغَزَلُ المغنِّي بَصيرٌ بالثِّقال وبالخِفافِ
على العيدان يُحسِنُ ما يُغنِّي ويُحسنُ ما يقول على الدِّفافِ

غنّاه حكم الوادي هزجاً بالبنصر .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادِيّ قال حدَّثني أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي : يا قِصَافيّ[1] ، إنّ رجلاً من قريش قال فيّ هذا الشعرَ : [من الوافر]

أبو يحيى أخو الغَزَل المغنِّي

وقد غنّيتُ فيه ، فخُذ العودَ حتى تسمعه منّي ؛ فأخذتُ العود فطربتُ عليه وغنّانيه ، فكنتُ أوّلَ مَن أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت .

[سئل عن صوت فقال ما يكون إلاّ لي]

قال أبو يحيى قال إسحاق : سمعتُ حكماً الواديّ يغنّي صوتاً فأعجبني ، فسألتُه لَمن هو ؟ فقال : ولَمن يكون هذا إلاّ لي .

---

1 بنو قصاف : بطن من العرب .

[فغضب من شيخ قال له أحسنت]

وقال مُصْعَب : حدَّثني شيخ أنّه سمع حَكَماً الواديَّ يغنّي ، فقال له : أحسنتَ ؛ فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحكَ اللهُ ، تراني مع المغنّين منذ ستّين سنةً وتقول لي أحسنتَ ! .

[قصّته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد]

وقال لي هارون حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال قال لي فُلَيح : بعث إليّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الواديّ أو قال لي إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاونّي عليه لنكسِرَه . فلمّا صرنا إلى الغِناء غنَّى حَكَمٌ ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دَنانيرَ : إن أصحابَكِ عندنا ، فهل لكِ أن تخرجي إلينا ؟! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لَها ، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح ، ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائت كلَّ إنسان بألفيْ درهم ، فجاء بها . فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمّه ، ولحَكَم مثلَ ذلك فطرحها في كمّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك ، فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها مثلَها ، وأرسلتْ إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخَواتي (تعني جواريّ) .

[بلغ في الهزج مبلغاً قصّر عنه غيره]

قال هارون بن محمّد قال حَمّاد بن إسحاق قال أبي : أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنه غيرُهم : معبد في الثقيل ، وابن سُرَيج في الرَّمَل ، وحَكَمٌ في الهَزَج ، وإبراهيمُ في الماخُوريّ .

[كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم بن المهديّ فوصله هو أيضاً وأخذ عنه ثلثمائة صوت]

قال هارون وحدَّثني أبي قال حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال : زار حَكَمٌ الوادي الرشيد ، فبَرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم ، وسأله عمّن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، وكان عاملاً له بالشام ، قال إبراهيم : فقدِم عليّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد ، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله ، إلاّ أنّي نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت ، كلُّ صوت منها أحبُّ إليّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له .

[أهانه ابن شقران ولمّا عرفه اعتذر]

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْدَاذْبه قال قال مصعَب بن عبد الله : بينا حَكَمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقران ، فإنّها حسنة

الغناء ! فمضوا إليها ، وتبِعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزلِ يظنّ أنّه معهم وهم يظنّون أنّه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنّتِ الجارية أصواتاً ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً . فقال حَكَمٌ الوادي : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصَّ كذا وكذا من أمّه ؛ وما يُدريك ما الغناء ؟ فوثَب عليه يُتعتِعه وأراد ضربَه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله ، دخلتُ بسَلام وأخْرجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك . فقال حَكَم : على رِسْلك ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا ، واندفع يغنّي . فقالت الجارية : إنّه والله أبو يحيى ؛ فقال ربُّ المنزل : جُعلتُ فداك ! المعذرةُ إلى الله وإليك ؛ لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأخرجنّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

[لامَه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه]

وذكر أحمد بن المكّيّ عن أبيه : أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[1] به حتى صار الأمر إلى بني العبّاس ؛ فانقطع إلى محمّد بن أبي العبّاس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور ؛ فأعجب به واختاره على المغنّين وأعجبته أهزاجهُ . وكان يقال : إنّه من أهْزج الناس . ويقال : إنّه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره ، وإنّ ابنه لامَه على ذلك ، وقال له : أبعدَ الكِبر تغنّي غناء المخنَّثين ! فقال له : اسكت فإنّك جاهلٌ ، غنّيتُ الثقيلَ ستّين سنةً فلم أنَلْ إلاّ القوت ، وغنّيت الأهزاج منذ سُنيّات[2] فأكسبتُك[3] ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

[شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء]

قال هارون بن محمّد وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحداً أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلاّ وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلاّ حَكَماً . فقيل لحكم ذلك فقال : إنّي لست أشرب ، وغيري يشرب ، فإذا شرب تغيَّر غناؤه .

[استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : كان خبرُ حَكَم الوادي يتناهى إلى المنصور ويَبْلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ ، فيَعْجَب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلاّ أنْ حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه ، فماذا يكون ؟ وعَلامَ يُعطونه هذه العَطايا المُسْرِفة ؟ إلى أن جلس يوماً في مُسْتشرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده ،

1 والصوت والصيت الحسن : الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس .

2 في ل : سنتين .

3 في ل : فاكتسبت ما لم تره .

أراه قال : عليُّ بن[1] يَقْطين أو أبوه ، وهو يراه ؛ ثم خرج عشيّاً وقد حَمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها لـه . فلمّا رآه المنصور قال : مَن هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادي . فحرّك رأسَه مَلِيّاً ثم قال : الآنَ علمتُ أنّ هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضعه إلاّ في حقّه .

[اعترض المهديّ في الطريق وغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن أبي سعد قال حدَّثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المَقْدِس ، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفَّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل : [من مجزوء الخفيف]

ومتـى تَخـرجُ العرو سُ فقد طـال حبسُها

فتسرَّع إليه الحَرَسُ ؛ فقال : دعوه وسأل عنه فأُخبر أنّه حَكَم الوادي ؛ فوصَله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره ، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد .

[أطرب الهادي دون غيره من المغنّين فأعطاه ثلاث بدر]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن صالحٍ[2] الأضجَم عن حَكَمٍ الوادي قال : كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسَّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يُستَخَفّ جدّاً ؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : مَن أطربني فهي له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبَير بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سرَيج : [من المنسرح]

صوت

غَـرّاءُ كالليلة المباركة الْـ قَمْراء تَهْـدي أوائلَ الظُّلَمِ

أكْني بغير اسمها وقد علم اللّـ ـه خَفِيّـاتِ كلِّ مُكتتـمِ

كأنّ فاهـا إذا تُنُسِّم عـن طَيـب مَشَمٍّ وحسن مُبْتَسَمِ

---

1 علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وكان والده يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدّعاة ، وطلبه مروان فهرب .

2 هو صالح بن علي بن عطيّة الأضجم الراوي .

يُسَنُّ بالضَّرْو من بَراقِشَ أو هَيْلانَ أو يانِعٍ من العُتُمِ[1]

الشعر في هذا الغناء للنابغة الجَعْديّ ؛ والصنعة لابن سُريج رمل بالبنصر ، فوثَب عن فراشه طرباً وقال : أحسنتَ أحسنتَ أحسنتَ والله ! إسْقُوني فسُقي . ووثِقتُ بأنّ البِدَرَ لي ، فقمتُ فجلستُ عليها . فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال : أحسن والله كما قال أمير المؤمنين ، وإنّه لمُحْسِن مُجْمِل . فلمّا سكن[2] أمَرَ الفرّاشين بحملها معي . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ في شَرَفك ونسبِك ! فإن رأيتَ أن تشرّفني بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَددْتُ أنّ الله زادك ، وأسأل الله أن يُهنِّيَك ما رزقك . ولحقني المَوْصليّ فقال : آخذُ يا حكَمَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهماً واحداً لأنّك لم تُحْسِن المَحْضَر .

[موته وشعر الدارميّ فيه]

ومات حَكَمٌ الوادي من قُرحة أصابته في صدره . فقال الدارميّ فيه قبلَ وفاته : [من السريع]

صوت

إنّ أبا يحيى اشتكى عِلّةً أصْبَحَ منها بين عُوّادِ
فقلتُ والقلبُ به مُوجَعٌ يا رَبّ عافِ الحَكَمَ الوادي
فرُبَّ بِيضٍ قادةٍ سادةٍ كأنصُلٍ سُلّت مِنَ اغْماد
نادمَهم في مجلس لاهياً فَأَصْمَتَ المُنشِدَ والشادي

غنّى فيه حَكَمٌ الوادي هَزَجاً بالبنصر .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

أمعارِفَ الدِّمَنِ القِفار تَوَهّمُ ولقد مضى حولٌ لهنّ مُجَرَّمُ[3]
ولقد وقفتُ على الديار لعلّها بجواب رَجْع تحيّةٍ تتكلّمُ

---

1 يُسنُّ في ل : يستنّ . الضّرو : شجرة الكمكام . هيلان في ل : هَمْلان . العتم : شجر الزيتون .
2 في ل : سكر .
3 مجرم : منقطع ومنصرم .

عن عِلْم ما فعل الخليطُ ، فما دَرَتْ أَنَّى توجَّــهَ بالخَليــط المَوْسِمُ

ولقــد عهِدتُ بهــا سُعادَ وإنّها بــالله جاهــدةَ اليمين لتُقسِمُ

إنّي لأُوْجَــهُ مَــنْ تكلّم عندها بأَلِيّــةٍ ومخالــفٌ مَــن يَزْعُمُ

فلها لدينــا بــالذي بذَلَتْ لنا وُدٌّ يطــول لــه العَنــاء ويَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصيْب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان . والغناء لابن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاقَ وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

[96] ـ ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[نسبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أَبِي[1] وَداعة بن ضُبَيرة [بن سُعَيد] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو] بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[ضبيرة السهمى جدّ ابن جامع وشيء من أخباره]

أَخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه مصعَب ، وأَخبرنا محمّد بن جَرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا محمّد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً : مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحْيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يَرثيه : [من مجزوء الكامل]

حُجّــاجَ بيــتِ اللهِ إ نّ ضُبَيرة السَّهْمِيّ ماتَا

سبَقــتْ منيّتُــه المَشيـ ـبَ وكان مِيتتُهُ افتلاتا

فتــزوّدوا لا تَهْلِكــوا من دون أُهلكُم خُفاتا[2]

قال : وأُسِرَ أَبو وَداعة كافراً يوم بَدْر ففَداه ابنُه المطَّلِب ، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ ﷺ الحديث .

[كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمّه]

ويُكنى ابنُ جامع أَبا القاسم . وأُمّه امرأة من بني سَهم ، وتزوّجَتْ بعد أَبيه رجلاً من أَهل اليمن . فذكر هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أَبيه عن بعض أُصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال : رأَيتُ[3] أُمّ ابن جامع مَعْن بن زائدة وابن جامع معها وهو صغير وهو ضعيف[4] . يَتْبعُها ويَطأُ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئذٍ على اليمن . فقالت : أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ، إنّ عمِّي زَوّجني زوجاً ليس بكُفْء ففرِّقْ بيني وبينه . قال : مَن هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليَّ به . قال : فدخل أَقبحُ مَنْ خلق اللهُ وأشوهُه خَلْقاً . قال : مَنْ هذه منكَ ؟ قال : امرأتي . قال : خلِّ سبيلَها ، ففعل . فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال : [من الطويل]

---

1 اسم أبي وداعة : الحارث .

2 خفت الرجل خفاتاً : مات فجأة .

3 في ل : أنت .

4 في ل : صغير .

لعمري لقد أُصبحتَ غيرَ محبَّب ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجِبِ
فما لِمُتها لَمّا تبيّنتُ وجهَه وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجبِ
وأنفاً كأنفِ البَكْرِ يقطُر دائباً على لِحية عَصْلاءَ شابتْ وشارِبِ [1]
أَتيتَ بها مثلَ المَهاةِ تسوقها فيا حُسْنَ مجلوب ويا قُبح جالبِ

وأَمَر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك .

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حَمّاد عن أبيه : أنّ الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له : أيُّ بَنِي الإنسِ وَلَدَك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سَلِ ابنَ أخي (يعني إسحاق) ، وكان يُماظّ [2] إبراهيمَ الموصليّ ويَميل إلى ابنه إسحاق ، قال إسحاق : ثم التفتَ إليّ ابنُ جامع فقال : أخبرْه يا ابنَ أخي بنسب عمّك . فقال له الرشيد : قبّحك الله شيخاً من قريش ! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

[شيء من ورعه وتقواه]

قال هارون حدَّثني عبد الله بن عمرو قال حدَّثني أبو هشام محمّد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمّد بن عبد الله بن أبي فَرْوة بن [3] أبي قُراد المخزوميّ قال : كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاجُ إليه ، كان يخرج من منزله يوم الجمعة مع الفجر فيصلّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تَطلع الشمس ، ولا يصلّي الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

[وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه]

قال هارون وحدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني صالح بن عليّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا : قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكّة على الرشيد ، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يَعْتَمُّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة ، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركبُ حماراً مِرِّيسيّاً [4] في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقفُ الناسُ عليه في القديم حتى يأذَنَ لهم أو يَصرفَهم ، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلانِس ؛ فلمّا هجم على

1 عصلاء : معوجة .
2 ماظظتُ فلاناً : شاررته ونازعته .
3 في ل : عن .
4 مريسي : نسبة إلى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد .

الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال لـه : أَمْتع الله بك ، توسَّمتُ فيك الحِجازيّة والقُرَشيّة ؛ قال : أَصبتَ . قال : فمن أيّ قريش أَنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأَيُّ الحرمين منزلُك ؟ قال : مكّة : قال : ومن لقيتَ من فقهائهم ؟ قال : سَلْ عمّن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالـوا : هذا القاضي قد أَقبل على المغنّـي ، وأَبو يوسف لا يعلم أَنّـه ابنُ جامع . فقال أَصحابه : لو أَخبرناه عنه ؛ ثم قالـوا : لا ، لعلّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم ، فلِمَ نَغُمّه . فلمّا كان الإذنُ الثاني ليحيى غَدا عليه الناسُ وغدا عليه أَبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويـلاً كما فعل في المرّة الأولى . فلمّا انصرف قال له بعضُ أَصحابه : أَيّها القاضي ، أَتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أَهل مكّة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّي ؛ قال : إنّا لله ! . قالوا : إنّ الناس قد شَهَروك بمواقفته وأَنكروا ذلك من فعلك . فلمّا كان الإذنُ الثالث جاء أَبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أَنّه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلَّم عليه ، فردّ السلامَ عليه أَبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القصّة ، وكان ابنُ جامع جَهيراً فرفع صوتَه ثم قال : يا أَبا يوسف ، ما لك تنحرف عنّي ؟ أيَّ شيءٍ أَنكرتَ ؟ قالوا لك : إنّي ابنُ جامع المغنّي فكرِهتَ مواقفتي لك ! أَسأَلك عن مسأَلة ثم اصنع ما شئتَ ؛ ومال الناس فأَقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أَبا يوسف ، لو أَنّ أَعرابيّاً جِلْفاً وقفَ بين يديك فأَنْشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال : [من البسيط]

يـــا دار مَيّـة بالعَلْيـاء فالسَّنَـد أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبدِ

أَكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوي عن النبيّ ﷺ في الشعر قولٌ ، وروي في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أَنا هكذا ، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أَتى عليه ؛ ثم قال : يا أَبا يوسف ، رأَيتَني زِدْتُ فيه أَو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أَعْفِنا من ذلك . قال : يا أَبا يوسف ، أَنت صاحب فُتْيا ، ما زدتُه على أَن حسّنتُه بأَلفاظي فحسُنَ في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

[سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالاً فأجيب]

قال : وحدَّثني عبد الله بنَ شبيب قال حدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ ، فقال لبعض أَصحابه : بلغني أَنّ هذا القرشيّ أَصاب مالاً من بعض الخلفاء ، فبأَيّ شيء أَصابه ؟ قالـوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأَنشد بعضُ

أصحابه ما يغنّي فيه : [من المتقارب]

وأصحَبُ بالليل أهلَ الطَّوافِ ... وأرفع من مِئزرِي المُسْبَلِ

قال : أَحْسنَ ، هيه ! قال :

وأسجدُ بالليل حتى الصباح ... وأتلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال : أحسن ، هيه ! قال :

عَسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ ... يُسخِّر لي ربّة المَحْمِلِ

قال : أمّا هذا فدعْه .

[كان يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن]

وحدَّثني محمَّد بن الحسن العَتّابيّ قال حدَّثني جعفر بن محمّد الكاتب قال حدَّثني طيّب بن عبد الرحمن قال : كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمودَ اللحن .

[اشتغاله بالقمار وحبّ الكلاب]

وحدَّث محمَّد بن الحسن قال حدَّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال : قال لي ابن جامع : لولا أنّ القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلاني لتركتُ المغنين لا يأكلون الخبز .

[دعا كلباً أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه قال : أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال : ما اسمُه ؟ فقال : لا أدري ، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكلّ اسم فيه حتى أجابه الكلب .

[ألقى على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجنّ]

قال هارون بن محمّد حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني محمَّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثتني حَوْلاءُ مولاةُ ابن جامع قالت : انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال : عليَّ بهشام (يعني ابنَه) ادعُوه لي عجِّلوه ، فجاء مسرِعاً . فقال : أيْ بُنَيّ ، خذ العودَ ، فإنّ رجلاً من الجنّ ألقى عليَّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه . فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه ، وهو : [من المنسرح]

صوت

أمستْ رُسوم الديار غيَّرها ... هوجُ الرِّياح الزَّعازعِ العُصُفِ

وكلُّ حَنّانة لها زَجَلٌ ... مثلُ حَنين الرَّوائم الشُّغُفِ

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجنّ . وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وقيل : إنّ هذا اللحن لعَبادِلَ . وفيه لابن جامع الرمل المذكور .

[أخذ ببيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار]

قال هارون وحدَّثني أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدَّثني محمَّد بن موسى[1] بن فُلَيج الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد المكّيّ قال : قال لي ابن جامع : أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهُ بهما عشرةَ آلاف دينار : [من مجزوء البسيط]

صوت

لا بـدَّ للعاشقِ مـن وَقْفةٍ ... تكون بـين الوَصْلِ والصَّرمِ
يَعْتِـب أحيانـاً وفي عَتْبـه ... إظهارُ مـا يُخْفي مـن السُّقْمِ
إشفاقُـه داعٍ إلى ظَنّـه ... وظنُّـه داعٍ إلى الظلـمِ
حتى إذا مـا مَضّه هجـره ... راجَع مَنْ يَهْـوَى على رَغْمِ[2]

هكذا رُوِّيتُه . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكر ابن بانة أنّ هذا اللحن لسُلَيم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، قال : ثم قال لي ابنُ جامع : فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !

[صادفه جماعة من القرشيين بفخّ وهو يغنّي]

وقال هارون حدَّثني أحمد بن زُهَير قال حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : خرج ابنُ أبي عمرو الغِفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً يريدون مكّة ؛ فلمّا كانوا بفَخّ[3] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها : قال : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء ؛ فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابنُ جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[4] لهم يشربون منه ؛ فقالوا[5] : تقدّموا يا فِتْيان ، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرِب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبي وأُمّي ! ابنُ أبي قباحة وإلاّ فهو ابن الفاعلة . فقام ابنُ أبي

---

1 في ل : عيسى .
2 مضّه هجره في ل : تمادى به .
3 فخّ : وادٍ بمكّة .
4 فضيخ : عصير العنب ، وشراب يُتّخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .
5 في ل : فقال ابن جامع .

عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابنِ أبي قباحة . فقال ابنُ جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرحُ ونحن على إحرامنا ذلك .

[غنّت جاريته الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبّها]

قال هارون بن محمّد بن عبد الملك حدّثني عليّ بن سليمان عن محمّد بن أحمد النّوْفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تَتَبنّاني فتغنّت يوماً وطربتْ وقالت : يا بُنيّ ، ألا أغنّيك هزجاً لسيّدي في عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه ، وهو : [من السريع]

صوت

أشْبَهَـكَ المسكُ وأشبهتِـه قائمـةً في لونـه قاعـدهْ

لا شكَّ إذ لونُكما واحـدٌ أنّكمـا مـن طينـةٍ واحدهْ

وقد رُوِي هذا الشعر لأبي حَفْصٍ[1] الشِّطْرَنْجيّ يقوله في دَنانيرَ[2] مولاةِ البَرامكة . ونُسب هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامِع وغيرِهما .

[شبّهه برصوما الزامر بزق عسل]

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْريّ قال حدّثني محمّد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان يلقّب الأَبلَه ، قال : قال بَرْصوما الزَّامِر ، وذكر إبراهيمَ الموصليّ وابنَ جامع ، فقال : الموصليّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريّاً لم يَنْضَج ، فتأكل منه مِن ذا وذا . وابن جامع زِقّ عسلٍ ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو ، وإن خرَقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو ، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو ، كلّه جيّد .

[غنّى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمّاد عن إبراهيم بن المهديّ ، وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً ، وابنُ جامع يَميل إليه ، قال : كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ الموصليّ فقال : قد خَرِيَ فيه ؛ وفهمتُ صِدقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم ، أعِدِ الصوتَ وتَحفَّظْ فيه ؛ فانتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم : [من الوافر]

---

1 أبو حفص : عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به ، فلقّب به لغلبته عليه .

2 دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكيّ .

أُعلِّمُه الرِّمايــةَ كلَّ يومٍ فلمّا اشْتَدّ ساعده رماني

وتنكَّر لي لَمَيْلي مع ابن جامع عليه . فقلتُ للرَّشيد بعد أيّام : إن لي حاجةً إليك . قال : وما هي ؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه . فقال : إنّما هو عبدُك ، وقال له : قُم إليه فقبِّلْ رأسَه . فقلتُ : لا ينفعني رِضاه في الظاهرِ دون الباطن ، فسَلْه أن يصحِّح الرِّضا . فقام إليّ ليُقبِّل رأسي كما أُمِر ، فقال لي وقد أكبَّ عليّ ليقبِّل رأسي : أتعود ؟ قلتُ لا . قال : قد رضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً . وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى بعد إبراهيم الموصليّ عند الرشيد فأجاد]

وقال حمّاد عن أبي يحيى العِبَاديّ قال : قدِم حَوْراءُ غلام حمّاد الشّعْراني وكان أحَد المغنِّين المُجيدين قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنِّين : من فيكم يعرف : [من المتقارب]

وكَعْبَـةُ نَجْــرانَ حَتـمٌ عليــ ـكِ حتـى تُناخِي بأبوابها ؟

الشعر للأعشى ، فبدَرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال : أنا أُغنّيه ، وغنّاه فجاء بشيء عجيب . فغضِب ابنُ جامع وقال لزَلْزَل : دَعِ العودَ ، أنا من جِحاش وَجْرةَ[1] لا أحتاج إلى بَيْطار ؛ ثم غنّى الصوتَ ؛ فصاح إليه مسرورٌ[2] : أحسنتَ يا أبا القاسم ؛ ثلاث مرّات .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المتقارب]

وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليــ ـكِ حتى تُناخِي بأبوابِها
نَزور يزيـدَ وعبدَ المَسيح وقيساً هُـمُ خيرُ أربابها
وشاهدُنا الجُلُّ والياسِميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابها[3]
وبَرْبطنـــا دائــمٌ مُعْمَـل فـأيُّ الثلاثـةِ أزْرى بها
تنازِعني إذ خَلَتْ بُرْدَها معطَّــرَةً غيــرَ جِلْبابِها
فلمّـا التقينـا على آلــةٍ ومَــدّتْ إليّ بــأسبابها

1 وجرة : على بعد نحو أربعين ميلاً من البصرة في طريق مكّة .
2 مسرور : أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولّى له قتل جعفر بن يحيى البرمكيّ .
3 الجُلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره واحده جلّة . القصابة : المزمار والجمع القُصّاب وأراد الأعشى الأوتار .

الشعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقِفةُ نَجْران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقبَ والسيِّد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّوميّ ، فإذا انصرف أجْزَلوا صلتَه .

أخبرنا بذلك محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن محمَّد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكَر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل . وذكر عمرو أنّه لابن مُحرِز . وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجنِّسه . وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكّيّ .

[استحضره الفضل بن الربيع لمّا ولّى الهادي]

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدَّثني الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرَّبيع قال : لمّا مات المهديّ ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال : الْحَقْ بمكّةَ فأْتني بابن جامع واحْمِلْه في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا أحداً ؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً ، وكان ابنُ جامع صاحبَ نَساء . فذكره موسى ذاتَ ليلة ، وكان هو والحَرَّاني[1] منقطعَيْن إلى موسى أيّام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّي ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ . وبعَثَ إليه فأُتي به في الليل . فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولاّه حِجابتَه .

[غنّى هو وإبراهيم الموصليّ الرشيد بشعر السَّعْدي فمدحه وذم الموصلي]

قال إسحاق عن بعض أصحابه : كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يا ابنَ جامع ، تغنَّ ببيتَ السَّعْديّ[2] : [من الوافر]

فلو سألتْ سَراةَ الحيِّ سَلْمى ... على أن قد تَلوّن بي زماني
لخبَّرها ذوو الأحساب عنّي ... وأعدائي فكلٌّ قد بَلاني
بذبّي الذمَّ عن حسبي بمالي ... وزَبُّوناتِ أشْوسَ تَيّحانِ[3]

1 الحراني : هو إبراهيم الحراني من ندماء الهادي وكان قيماً على خزائن الأموال في أيامه .
2 هو سوّار بن المضرب السّعدي .
3 زبونات : دفوعات ، واحدها زبونة ، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنّها تدفع غيرها . تيّحان : الذي يتعرّض لكلّ مكرمة وأمر شديد .

وأنّي لا أزالُ أخا حُروبٍ إذا لم أجْنِ كنتُ مِجَنَّ جاني

قال : فحرّك ابنُ جامع رأسه ، وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ، فغنّى به ؛ فاربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميري ! أعِدْ فأعاد ؛ فقال : أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلمّا فرَغ قال : «مَرْعىً ولا كالسَّعْدان»[1] ! أخطأتَ في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نُفي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً ، وقد علمتُ أنّي أغفلتُ في هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلمّا انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسانَ يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه .

[صوت كان إذا غنّاه في مجلس لم يتغنّ بغيره]

قال إسحاق : كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر : [من المجتث]

صوت

مَنْ كان يَبْكي لِما بي مِنْ طول سُقمٍ رَسِيسِ[2]
فالآنَ مِن قبلِ موتي لا عِطْرَ بعد عَرُوسِ[3]
بَنَيْتُم في فؤادي أوكارَ طيرِ النّحوسِ
قلبي فَريسُ المَنايا يا ويحه من فَريسِ

الشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ، لم يتغنَّ في ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمُر عليه بَرْصوما .

[سئل عن تفضيله برصوما فأجاب]

فلمّا كثُر ذلك سألوه إن كان يعلّمه ما يريد أن يغنّيه قبل ذلك فقال : لا والله ، ولكنّي إذا ابتدأتُ فغنّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه ، وكنتُ معه في راحة ؛ وذلك أنّ المغنّي إذا تغنّى بزمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنّه لا يقفو الأثر ؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب ، وإذا زَمَر عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب . فإن

1 مَثَل يُضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .
2 الرسيس : الثابت الذي قد لزم مكانه .
3 هذا مَثَل يُضرب لمَن لا يدّخر عنه نفيس .

شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل . فسألوهما عمّا قال ، فقالا : صدق .

[همَّ المهديُّ بضربه لاتّصاله بالهادي]

قال وحدَّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهديَّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى[1] ، فبعث إليهما فجيء بهما ، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً ، وقال له ابن جامع : ارحم أمّي ! فرقَّ له وقال له : قبّحك الله ! رجل من قريش يغنّي ! وطرده . فلمّا قام موسى ، وجّه الفضلُ خلفَه بريداً حتى جاء به ؛ فقال له موسى : ما كان ليفعلَ هذا غيرك .

[غنّى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار]

قال وحدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال قال لي فلفلة : تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع ، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خَمْسَمائة دينار وقال : امض حتى تحملَ ابنَ جامع ، وبعث إليه بما يُصلحه ، فمضيتُ فحملتُه . فلمّا دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغنّاه فلم يُعجبْه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنّيتَ الثقيل ، قال : فأدْخِلْني عليه أُخرى ؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

[غنّى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصليّ فأجاد]

قال وحدَّثني عبد الرحمن بن أيّوب قال حدَّثنا أبو يحيى العِبَاديّ قال حدَّثني ابن أبي الرجال قال حدَّثني زَلْزَل قال : أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد ، فأمَر مسروراً الخادمَ يسأل عنه ، وكان أمير المؤمنين قد صيّر أمْرَ المغنّين إليه ، فقيل له : لم يأت بعدُ . ثم جاء في آخر النهار ، فقعد بيني وبين بَرْصوما ، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب واللهِ كلَّ مَن كان في المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال : ثم غنّى فنسينا أنفسَنا ، والله لكأنّ العودَ كان في يده .

[شهد له إبراهيم الموصليّ بجودة الإيقاع]

قال وحدَّثني عمر بن شبّة قال حدَّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهيك قال : دعا أبي الرشيدُ يوماً ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده ، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلمّا كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصليّ فسأل جعفراً عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلاّ أنّه كان يخرج من الإيقاع ، وهو في قوله يريد أن يطيّب نفسَ إبراهيم الموصليّ ، قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تَطِيب به ؟ لا والله ، ما ضَرِط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلاّ بإيقاع ، فكيف يخرج من الإيقاع ؟ .

---

1 هو موسى الهادي بن المهدي .

[احتال في عزل العثماني عن مكّة أيّام الرشيد]

قال وحدَّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدَّثني أَبي قال : كان سبب عزل العثمانيّ[1] أنّ ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له في المُهارشة بالدُّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ ، فأَذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ . فلمّا وصل الكتاب قال : كذَبتَ ؛ أَميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّم اللهُ ، وهذا كتاب مزوّر . والله لئن ثَقِفْتك على حال من هذه الأَحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك . قال : فحذِره ابنُ جامع . ووقع بين العثمانيّ وحمّاد اليزيديّ ، وهو على البريد ، ما يقع بين العمّال . فلمّا حجّ هارون ، قال حمّاد لابن جامع : أَعِنّي عليه حتى أَعزِله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أَنت وقُل : إنّه ظالم فاجر واستشهدْني . فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبل في العثمانيّ ، ويفهم أَميرُ المؤمنين كذبَنا ، ولكنّي أَحتال من جهة أَلطفَ من هذه . قال : فسأَله هارون ابتداء . فقال له : يا ابن جامع ، كيف أَميركم العثمانيّ ؟ قال : خيرُ أَميرٍ وأَعدلُه وأَفضلُه وأَقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أَفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال : زعم أَنّ كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأَكل وجهَه ، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف ، اعزلوه ! فكان سببَ عزله .

[أخبره إبراهيم بن المهديّ بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون بن محمَّد وحدَّثني الحسن بن محمَّد الغِياثي[2] قال حدَّثني أَبي عن القَطِرانيّ قال : كان ابن جامع بارّاً بوالدته ، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكّة . فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأَظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته . قال : فجزِع لذلك جزعاً شديداً ، وجعل أَصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب ، وسأَلوه الغناءَ فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهديّ : إنّك ستبذل هذا لأَمير المؤمنين ، فابذُله لإخوانك ؛ فاندفع يُغنّي : [من البسيط]

صوت

كم بالدُّروب وأَرض الروم مِنْ قَدَم ... ومِنْ جماجم صَرْعى ما هم قُبِرُوا

بقُنْدُهَارَ ومَنْ تُقْدَر منيّته ... بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبرُ[3]

الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ قال : وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان ممّا

1 العثماني : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

2 في ل : العتابي .

3 قندهار : مدينة في أفغانستان الآن .

خبّرناك شيء إنّما مزحْنا بك . قال : ثم قال له : رُدّ الصوتَ ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء . فقال له إبراهيم : خذه الآن عليّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

[هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغنّاه فأعجب به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ عن أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان أبي بين يديّ الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يديّ الرشيد . فغنّاه : [من مجزوء البسيط]

خليفـةٌ لا يَخيبُ سائلُـه عليـه تـاجُ الوقارِ مُعْتَدِلُ

قال : وغنّى مَن يتلوه . وهَوَّم[1] ابنُ جامع سكراً ونُعاساً . فلمّا دار الغناء على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي : [من مجزوء البسيط]

إسْلَمْ وحُيِّيتَ أيُّها الطَّلَلُ وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ[2]

قال : وهو يتلو البيت الأوّل ، فعجِب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

إسلمْ وحُيِّيـت أيُّها الطَّلَلُ وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ
خليفـةٌ لا يَخيـبُ سائلُـه عليه تـاجُ الوقـارِ مُعْتَدِلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، من روايَة الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكّيّ .

[أخبره الرشيد بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيّوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِن حَسُنَ صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع وكان بارّاً بأمّه ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه ،

1 هوّم : هزّ رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلاً .
2 السَّبَل : المطر .

فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ أُمِّك . فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه : [من البسيط]

كَم بالدّروب وأَرض السِّند من قَدَم ... ومن جماجم صَرْعى ما بها قُبِروا
بقَنْدُهَــار ومــن تُكتَــب مَنِيّتــه ... بقَنْدُهَــار يُرَجَّــم دونــه الخبرُ

قال : فوالله ما ملكنا أَنفسنا ، ورأَيتُ الغِلْمانَ يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأَساطين ، قال هارون : لا أَشكُّ أَنّ ابن المكّيّ قد حدَّث به عن رجل حضر ذلك فأَغفله عبد الرحمن بن أَيّوب ، قال : ثم غنَّى بعد ذلك : [من مجزوء الرجز]

يــا صاحب القبر الغريب

وهو لحنٌ قديم . وفيه لحن لابن المكّيّ ، فقال له الرشيد : أَحسنتَ ! وأَمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأَخير

صوت

[من مجزوء الكامل]

يــا صاحبَ القبر الغريبِ ... بالشام في طَرَف الكَثِيبِ
بالحِجْــرِ بــين صفائـــح ... صُــمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوبِ[1]
رَصْفــاً ولحــدٍ مُمْكِــنٍ ... تحت العَجاجــة في القليبِ
فــإذا ذكــرتُ أَنينَــهُ ... ومغيبَــه تحــت المغيــبِ
هاجــتْ لواعــجُ عَبْرةٍ ... في الصدرِ دائمــة الدَّبيبِ
أَسفـــاً لحسن بلائـــه ... ولمصرع الشيــخ الغريبِ
أَقبلــتُ أُطلــب طِبَّــه ... والموت يُعْضِل بالطبيبِ[2]

الشعر لمَكِين العُذريّ يرثي أَباه ، وقيل : إنّه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادي ، رمل في مجرى البنصر . وقيل : إنّ هذا الشعر لسَلاَّمة[3] ترثي الوليدَ بن يزيد .

---

1 الحِجر : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز . الجَبُوب : الطّوب المفتّت .
2 أعضل به : أعياه وأعجزه .
3 هي سلامة القس .

[سمعته أمّ جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكلّ بيت غنّى فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني الحسن بن محمَّد قال حدَّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدِّث : أنّ أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إنّي لم أرَكَ منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندي ابنُ جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنّي لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلاّ أن تَشْرَكَني فيه ، فما كان عليك أن أشْرَكك في الذي أنت فيه ! فأرسل إليها : إنّي سائر إليكِ الساعةَ . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحسين الخادم : امضِ إليها فأعلمها أنّي قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلمّا نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنّها قد قامت تستقبله ، فوجَّه إليها : إن معي ابنَ جامع ؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصيَّر ابنَ جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد وأهوَتْ لتنكَبَّ على يده[1] ؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقتْه . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى : [من المنسرح]

صوت

مـا رَعَدَتْ رَعْـدةً ولا بَرَقَتْ — لكنّهـا أُنشئـت لنـا خَلِقهْ[2]

المـاء يجـري على نظـامٍ له — لو يَجِدُ المـاءُ مَخْرِقاً خَرَقَهْ

بِتنـا وباتــتْ على نَمارقهـا — حتى بـدا الصبحُ عَيْنُها أرِقَهْ

أنْ قيل إنّ الرحيلَ بعـدَ غـدٍ — والدارُ بعـدَ الجميـع مُفترِقَهْ

الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع[3] ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن إسحاق . وفيه لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه . وفيه لحَكَم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشاميّ أن لُتَيّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، قال : فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لُمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع لكلّ بيت مائةَ ألف درهم . فقال

1 على يده في ل : عليه .

2 يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أي فيها أثر المطر .

3 في ل : عائشة .

الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبي الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلمّا خرج ، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً .

[أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثني محمَّد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال حدَّثني إسماعيل بن جامع السَّهْميّ قال : ضَمّني الدَّهر[1] ضمّاً شديداً بمكّة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلاّ ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرَّة تريد الرَّكِيّ[2] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول : [من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طـولَ ليلنا ... فقالوا لنـا مـا أقصرَ الليلَ عندنا

وذاك لأنّ النـوم يَغْشى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النـومُ أعْيُنا

إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ لذي الهوى ... جَزِعْنا وهـم يَستبشرون إذا دنا

فلـو أنّهم كانوا يلاقون مثـلَ ما ... نلاقي لكانـوا في المضاجع مثلَنا

قال : فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوَجهُكِ أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبّاً وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب[3] منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتْها على الأُخرى ، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أُخرى ؛ ففَطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَكِ اليومَ إلى أن نلتقي . قال : فأخذَتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وانبعثتْ تغنّي ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه ، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أُردِّده حتى خفَّ على لساني . ثم إنّي خرجتُ أُريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحَوَّل[4] ، فبقيتُ لا أدري أين أتوجّه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرتُ معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛

1 يريد ضغطني واشتدّ عليّ ، من شدّة الفقر والحاجة .

2 الركي : جنس للركية وهي البئر .

3 في ل : قريب .

4 باب محوّل : محلّة كبيرة من محال بغداد كانت متّصلة بالكرخ .

فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمتُ بمكاني حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف أهلُ المسجد وبقي رجلٌ يصلّي ، خلفه جماعة خدم وخَوَل ينتظرون فراغَه ؛ فصلّى مليّاً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أتَغَنّى . قال : فوثب مبادراً ووكّل بي بعضَ مَن معه . فسألتُ الموكّل بي عنه فقال : هذا سَلام[1] الأبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى امتلأت . فإنّي لكذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول[2] وخِلْعة وطِيب ، ففُعل ذلك بي . فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة ، وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ، فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة ، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[3] فيها أَسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهنّ العيدان ، وفي حجر الرجل عود . فرحّب الرجل بي ، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل : تَغَنَّ ؛ فانبعث يغنّي بصوت لي وهو : [من البسيط]

لم تَمشِ مِيلاً ولم تركب على قَتَب ... ولم تَرَ الشمسَ إلاّ دونها الكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأن الريحَ تَرْجِعها ... مَشْيَ اليَعافير في جيآتها الوَهَلُ[4]

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتِينَ[5] مختلفة . ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغَنّيْ ، فغنّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، وهو قوله : [من البسيط]

يا دار أضْحتْ خلاءً لا أنيسَ بها ... إلاّ الظباءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ[6]

---

1 سلاّم الأبرش : خدم المنصور وتولّى المظالم للمهديّ وعاصر الهادي والرشيد .

2 الغسول : الماء يغتسل به .

3 الدار القوراء : الواسعة الجوف .

4 اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع .

5 الدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .

6 الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي . والفرد : المنفرد .

أين الذين إذا مـا زرتُهم جَذِلوا   وطار عن قلبـيَ التَّشْواقُ والكَمَدُ

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنَّت به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثتْ تغنّي بصوت لحَكَم الوادي وهو : [من الطويل]

فواللهِ مـا أدري أيَغلبني الهـوى   إذا جـدَّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُهْ

فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى   فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبهْ

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنَّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله : [من الطويل]

مَرَرْنـا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّـة   لهـا بَشَرٌ صافي الأديـم هِجانِ[1]

فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها   مِـنَ آيّة أرضٍ أو مَـنِ الرُجلانِ

فقلـتُ لهـا أمّا تميـمٌ فأسرتي   هُديـتِ وأمّا صاحبـي فيَمانِ

رفيقان ضَمّ السَّفْرُ بيني وبينـه   وقـد يَلْتقـي الشتّـى فيأتلفانِ

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً فشبّه[2] فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله : [من البسيط]

أمسى بأسماءَ هـذا القلبُ معمودا   إذا أقـول صحـا يعتاده عِيدا

كأنّ أحـورَ من غِزْلان ذي بَقَر   أعارهـا شَبَهَ العينيـن والجيدا[3]

بمُشْرِقٍ كشُعاع الشمس بهجتُه   ومُسْبَكِرٍّ عـلى لَبّاتهـا سودا[4]

ثم عاد إلى الجارية فتغنَّت بصوت لحكم الوادي : [من الطويل]

تُعيِّرنـا أنّا قليـلٌ عَديدُنـا   فقلتُ لهـا إنّ الكـرام قليلُ

ومـا ضَرّنا أنّا قليـلٌ وجارُنا   عزيـزٌ وجـارُ الأكثريـن ذليلُ

وإنّا لقومٌ مـا نـرى القتلَ سُبَّةً   إذا مـا رأتـه عامـرٌ وسَلولُ

يُقرّب حـبُّ المـوتِ آجالَنا لنا   وتكرهُـهُ آجالُهـم فتطولُ

وتغنَّت الثانية : [من الطويل]

وَدِدْتُكِ لمـا كان وُدُّك خالصاً   وأعرضتُ لما صِرْتِ نهباً مُقَسَّما

---

1 الهجان : الأبيض الخالص في كلّ شيء .

2 يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه .

3 ذو بقر : وادٍ بين أخيلة الحِمى حمى الربذة ، وقرية في ديار بني أسد .

4 بمُشرق في ل : وشرقاً . ومسبكرّ في ل : ومسبطرا .

ولا يَلبث الحوضُ الجديـدُ بناؤُه إذا كثُر الـوُرّاد أن يَتهدَّما

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء : [من الطويل]

وما كَـرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعنٍ ولا أبصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ
فيُدركُ ثأراً وهو لم يُخْطِه الغنى فمثلُ أخي يوماً به العين قرّتِ
فلستُ أُرزّا بعده برزيّة فأذكره إلاّ سَلَتْ وتجلّتِ

وغنّى الرجل في الدور الثالث : [من الطويل]

لَحى الله صُعلوكاً مُناه وهمّه من الدّهرِ أن يلقى لَبُوساً ومطعمَا
يَنام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرّما
ولكنّ صعلوكاً يساور همّه ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدّما
فذلك إن يَلْقَ الكريهة يَلْقَها كريماً وإن يَستغن يوماً فربّما

قال : وتغنّت الجارية : [من الطويل]

إذا كنتَ رَبّاً للقَلوصِ فلا يكن رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكبِ
أَنِخْها فأَردفه فإن حملتكما فذاك وإن كان العِقابُ فعاقِبِ[1]

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب : [من الطويل]

أَلم تَرَ لمّا ضمّني البلدُ القَفْرُ سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ يا عمرُو
أَغِثْنا فإنّا عُصْبةٌ مَذْحِجيّة نُزار على وَفْرٍ وليس لنا وَفْرُ

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أَبي ربيعة : [من الطويل]

فلمّا تَواقفْنا وسلّمتُ أَسْفرتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعرفانِ لمّا عرفْنَني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكلّ وأَوْضعا[2]
ولمّا تنازعن الأَحاديثَ قُلْنَ لي أَخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخدَعا

قال : وتوقّعتُ مجيءَ الخادم إليّ ، فقلت للرجل : بأَبي أنت ! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا ؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لي : تَغَنَّ عافاك الله ؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه ، فإذا جماعةٌ من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأَسِرَّة وقالوا : وَيْحَك ؛ لِمَن هذا الغناء ؟ قلت : لي ؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة ، وخرج إليّ

1 العقاب : أن تركب الدابة مرّة ويركبها صاحبك مرّة .
2 أكل : أعيا . وأوضع : أسرع .

الخادم وقال : كذبتَ ؛ هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ ؛ فلمّا انتهى الغناءُ إليّ قلتُ للجارية التي تَلي الرجلَ : خذي العود ، فعلمْت ما أريد فسَوّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فتغنَّيتُ به . فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ؛ لَمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فقال كذبتَ ، هذا لابن جامع ، ودار الدورُ ، فلمّا انتهى الغناء إليَّ قلت للجارية الأخرى سوِّي العود على كذا وكذا ، فعلمت ما أردت ، وخرج الخادم فقال لي : تغنَّ فتغنَّيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلاّ بي ، وسقَوْني ، فتزيّدت ، وهو : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ ... فيـمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ مِنـىً ... حتى يُفـرِّقَ بيننا الدَّهرُ

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادمُ فقال : وَيْحَك ! لَمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلاّ وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضلُ بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليكَ . فلمّا صَعِد السريرَ وثَبتُ قائماً . فقال لي : أبنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : وَيْحَك ؛ متى كنتَ في هذه البلدة ؟ قلت : آنِفاً ، دخلتُها في الوقت الذي علِم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس وَيْحَك يا ابنَ جامع ؛ ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس ، وقال لي : أبْشِر وابسُط أمَلَك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غنِّني يا ابنَ جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجلَ بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة ، فعرف ما أردتُ ، فوَزَن العودَ وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها ، وانبعثتُ أغنّي بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله ما خرَق مسامعي قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ ، فصيّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين . فقـال : يا ابنَ جامـع ، رُدّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ ، فرددتُه وتزيّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيِّدي ، أمَا تراه كيف يتزيّد في الغناء ؟ هذا خلاف ما سمعناه أوّلاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال : فرفع الرشيدُ رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار ، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك . فجعلتُ أقْصِد الصوتَ بعد الصوت ممّا كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجواري فأغنّيه ؛ فلم أزَلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعَس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك ، فأعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنَّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار . قال :

فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسَّمتُ ، ولَحَظني فقال : يا ابن الفاعلة ، مِمّ تبسّمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ مَنْجاة . فقال لي بانتهار : قُل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلمّا استوعبه قال : صدَقَتْ ، قد يكونُ هذا وقامَ . ونزلتُ من السرير ولا أدري أين أَقْصِد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أُمر بها أميرُ المؤمنين ؛ ففُرِشتْ وأُعِدَّ فيها جميعُ ما يكونُ في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كلّ آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها[1] فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الرَّبيع عن أبي حَفْص الشَّيْبانيّ عن محمَّد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال : ضمّني الدّهرُ بمكّة ضَمّاً شديداً فانتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث ، إذ قال لي رجل حَضَرَنا : والله لقد بلغَنا يا ابن جامع أنّ الخليفة قد ذكرك ، وأنت في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضك . فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى العراق ، فقدِمتُ بغدادَ ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه . ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوتَ عنها . وأحسِبَه غَلِط[2] في إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إنّ الدَّوْر دار مرّةً أُخرى حتى صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنِّ أيُّها الرجل ؛ فقلت : ما أَنتظر الآن ؟! ثم اندفعتُ أُغنّي بصوت لي وهو : [من الطويل]

فلو كان لي قلبانِ عِشْتُ بواحدٍ ... وخَلّفْتُ قلباً في هواكِ يُعذَّبُ
ولكنّما أحيا بقلب مُروَّعٍ ... فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقرُبُ
تعلّمْتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخْطها ... وعلّمها حبّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

فخرج الرشيد حينئذٍ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

[من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغْشى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينا

---

1 يريد بغداد .

2 يريد به محمد بن ضوين الصلصال التميمي .

إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذي الهوى جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلـو أنّهـم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلاقي لكانـوا في المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفي الخبر أنّه أخذه عن سوداء لقيها بمكّة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

يا دار أضحت خلاءً لا أنيسَ بهـا إلاّ الظبـاءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ
أين الذين إذا مـا زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبـيَ التشواقُ والكمدُ

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها : [من البسيط]

صوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل ولم تـرَ الشمسَ إلاّ دونهـا الكِلَلُ
أقـولُ للركب في دُرْنا وقد ثَمِلوا شِيموا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ[1]

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يُغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها : [من البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرةَ إن الركبَ مُرْتحلُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

مَرَرْنـا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّـةٍ لهـا بَشَرٌ صافي الأديمِ هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها مِنَ آيّة أرض أو مَـنِ الرجلان
فقلتُ لهـا أمّا تميـمٌ فأسرتي هُديـتِ وأمّا صاحبـي فَيَماني
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني وبينـه وقـد يَلْتقـي الشتّـى فيـأتلفانِ

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها : [من البسيط]

1 درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمّى هكذا في الجاهلية .

صوت

أُمسى بأَسماءَ هذا القلبُ معمودا إذا أَقول صحا يعتاده عِيدا
أَجْرِي على موعد منها فتُخلفني فما أُمَلّ ولا تُوفي المواعيدا
كأنّني حين أُمْسي لا تكلّمني ذو بُغْية يَبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أَبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أَوّل بالوسطى ، وله فيه ثقيل أَوّل [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أَنّ لمعبد فيه ثقيلاً أَوّل] بالوسطى على مذهب إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فوالله مـا أَدرى أَيغلِبني الهوى إذا جدَّ وَشْكُ البين أَم أَنا غالبُهْ
فإن أَستطع أَغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبُهْ

عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيّادة ، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها : [من الطويل]

صوت

تُعيِّرنا أَنا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما ضَرّنا أَنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأَكثرين ذليلُ
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً إذا ما رأَتْه عامرٌ وسَلُولُ
يقرِّب حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهه آجالُهم فتطولُ

عروضه من مقبوض الطويل . والشعر للسَّموأل بن عَادِياء اليهوديّ . والغناء لحَكَم الوادي .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وَدِدْتُكِ لَمّا كان ودُّك خالصاً وأَعرضتُ لما صار نَهْباً مقسَّمَا
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديدُ بناؤه على كثرة الورّادِ أَن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأَهل مكّة . وفيه لِعَرِيب ثقيلٌ أَوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وما كَـبَّرَ إلاّ كان أوّلَ طاعـن ولا أبْصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ

فيُدرِكَ ثـأراً ثم لم يُخْطِهِ الغِنى فمثلُ أخي يوماً بـه العين قرّتِ

فـإن طلبوا وِتـراً بَـدا بِتراتِهم ويَصبر يحميهم إذا الخيـل وَلّتِ

عروضه من الطويل . الشعر للخَنْساء ، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنّه لمَعْبد في هذه الطريقة .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لحـا الله صُعلوكاً مُناه وهَمُّه من الدّهرِ أن يلقى لَبوساً ومَطْعما

ينام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى تنبّـه مثلـوجَ الفـؤاد مُوَرَّما[1]

ولكـنَّ صعلوكاً يُساور هَمَّـه ويَمضي على الهَيْجاء ليثاً مصمِّما

فذلك إن يلـقَ الكريهةَ يلقَها كريماً وإن يَستغنِ يومـاً فربَّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنّه لعُرْوة بن الوَرْد ، ويقال : إنّه لحاتم الطائيّ وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رملٍ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ ربّاً للقَلوص فـلا يكن رفيقُك يَمْشي خلفَها غيرَ راكبِ

أنِخْهـا فأردفـه فإنْ حملتْكمـا فذاك وإن كان العِقـابُ فعاقبِ

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيىء .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ألَـم تَـرَ لمّا ضَمَّني البلـد القَفْرُ سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرُو

أغِثنـا فإنّـا عُصْبـةٌ مَذْحِجيّـة نُـزار على وَفْـر وليس لنا وَفْرُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معد يكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها : [من الطويل]

---

1 مثلوج في ل : مسلوب .

صوت

فلمّا توافقْنا وسلّمتُ أقبلتْ — وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعِرفانِ لما رأَيْنَني — وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلّ وأَوْضعا
ولما تَنازعن الأَحاديثَ قلن لي — أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا
وقرّبن أَسبابَ الهوى لمتيَّم — يَقيسُ ذراعاً كلّما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أَبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة أَلحان ، قد كُتبتْ مع الخبر في موضع غير هذا .

ومنها : [من الكامل]

صوت

عُوجي عليَّ فسلِّمي جَبْرُ — فيمَ الصدودُ وأَنتم سَفْرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ مِنىً — حتى يُفرِّق بيننا النَّفْرُ[1]
الحول ثم الحول يتبعه — ما الدهر إلاّ الحول والشهرُ

الشعر للعَرْجيّ . والغناء للأَبجر ثقيل أَوّل عن الهشاميّ ، ويقال إنّه لابن محرز ، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأَبجر . وفيه رمل يقال إنّه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنّه لابن سريج ، وأَن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد — وخلّفتُ قلباً في هواك يعذَّبُ
ولكنّما أَحيا بقلب مُروّع — فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُبُ[2]
تعلّمتُ أَسباب الرِّضا خوفَ هجرها — وعلّمها حبِّي لها كيف تغضبُ
ولي أَلف وجه قد عرفتُ مكانَه — ولكن بلا قلب إلى أَين أَذهبُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنّه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريب ثقيلٌ أَوّل . وفيه لزَذاذ خفيفُ ثقيل . وفيه هَزَجٌ يقال إنّه لعَريب ، ويقال إنّه لنمرة ، ويُقال إنّه لأَبي فارة ، ويقال إنّه لابن جامع .

---

1 النَّفر في ل : الدَّهر .
2 مروّع في ل : معذّب .

[سمعه مصعب الزُّبيريّ يغنّي في بساتين المدينة فمدحه]

حدَّثني مصعب الزُّبَيريّ قال : قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيّام الرشيد ؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة : [من الطويل]

ومــا ليَ لا أَبكي وأَندُب ناقتي إذا صَــدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ

وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتُها فسارت بمحــزون كثير البَلابلِ[1]

وكان رجلاً صيِّتاً[2] ، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ومــا لي لا أَبكي وأَندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيــانُ وِرْدَ المناهلِ

وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي ركبتها فسارتْ بمحـــزون كثير البلابلِ

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ .

[أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفّه وأعتقه]

أَخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمَّد الزيّات قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنتُ في خمسين وصيفاً أُهدوا للمنصور ، فَفُرِّقنا في خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنتُ أراه يفعل شيئاً أعلم أنّه خطأ : يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لي يوماً : كُن مكاني في آخر المستراح . فكنت أُعطيه الإبريق وأخرج مبادراً ، فإذا سمعتُ حركته بادرت إليه . فقال لي : ما أخفّك على قلبي يا غلام ؛ ويحك ؛ ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو : [من الطويل]

ومــا ليَ لا أَبكي وأَندُب ناقتي إذا صـدَر الرّعيــانُ نحـوَ المَناهِـلِ

وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلْتُها فسارتْ بمحزون طويل البلابـلِ

وتحته مكتوب : آه آه ، فلم يَدْرِ ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتُ ما هو . فقال : قُل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال : آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفسه وتأسُّفه . فقال : ما لك قاتلك الله ؛ قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر .

1 كثير في ل : طويل . البلابل : جمع بلبال : شدّة الهمّ والوسواس في الصدر وحديث النفس .

2 الصيّت : الجهير الصوت .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة [في] الأخبار وإنّما افردتها عنها لئلاّ تنقطع

خبر

[من البسيط]

أمسى بأَسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا

[خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حمّاد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكّيّ قال حدَّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال : بلغني أنّ الغريضَ خرج مع نِسْوة من أهل مكّة من أهل الشَّرَف ليلاً إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكّة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ ، وخِفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مَهيباً معظَّماً لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منّي قريباً ؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة حتى سمّيتهنّ كُلَّهنّ قد بعثْنني ، وهنّ يَقرأْنَ عليك السلامَ ، وقُلن : تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدَناه فُوَيسِقُك الغريض وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده ، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريضَ أن يُغنيه ، وهو قولُه : [من البسيط]

أَمْسى بأَسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أَقول صَحا يعتاده عِيدَا

كأنّ أحورَ من غِزْلانِ ذي نفر ... أَهدى لها شَبَه العينين والجِيدا

قامت تراءَى وقد جَدَّ الرَّحيلُ بنا ... لتنكأَ القرحَ من قلب قد اصطيدا

كأنّني يومَ أُمسي لا تكلّمني ... ذو بُغْيةٍ يبتغي ما ليس مَوْجودا

أجري على موعدٍ منها فتُخلفني ... فما أَمَلُّ وما تُوفي المواعيدا

قد طال مَطْلي ، لَوَ انَّ اليأسَ يَنْفعني ... أوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا

فليس تَبْذُل لي عفواً وأُكرمُها ... من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلمّا أَخبرتُه الخبرَ قال : لقد أَزعجتَني في وقت كانت الدَّعَةُ أَحبَّ فيه إليَّ ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتَّرَك ولا عنه مَحيص . فدعا بثيابه فلبِسها ، وقال : امضِ ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ . فقال لي عمر : خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ في أطيب حديث وأَحسن مجلس ؛ فسلّمنا ، فتهيّبْننا وتخفَّرن منّا . فقال الغريض : لا عليكنّ ! هذا ابن أَبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقيْن إلى حديثكنّ

وغنائي . فقالت فلانة : وعليك السلامُ يا ابنَ أبي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسُنا إلاّ بك ، إجلِسا . فجلسنا غيرَ بعيدٍ ، وأخذنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر : كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا ؟ فقال : هذا الفاسقُ جاءَني برسالتكنّ وكنتُ وَقيذاً[1] من علّة وجدتُها ، فأسرعت الإجابةَ ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة . فردَدْن عليه : قد وجب أجْرُك ، ولم يَخِبْ سعيُك ، ووافقَ منّا الحارثُ إرادةً . فحدَّثهنّ بما قلتُ له من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النِّسوة : والله ما كان ذلك كذلك ، ولقد نبّهتنا على صوت حسن ، يا غريضُ هاتِه . فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول : [من البسيط]

أمسى بأسْماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أقولُ صَحا يَعْتاده عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره ، فكلٌّ استحسنه . وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فجزاني الخيرَ ، وكذلك النِّسوة . فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب ، فقُمنا جميعاً ، وأخذ النّسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر في ذلك : [من المنسرح]

صوت

هل عند رَسْم برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياء تَنتظرُ

قد ذكّرتْني الديارُ إذ دَرَستْ ... والشوقُ ممّا يَهيجه الذِّكَرُ

مَمْشى رسولٍ إليّ يُخبِرني ... عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا[2]

ومجلسَ النِّسوة الثلاث لدى الْـ ... ـخَيْمات حتى تبلّج السَّحَرُ

فيهنّ هِنْدٌ والهَمُّ ذِكْرتُها ... تلك التي لا يُرى لها خَطَرُ

ثم انطلقنا وعندنا ولنا ... فيهنّ لو طال ليلُنا وطرُ

وقولَها للفتاة إذ أزِف الـ ... ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَرُ

عَجْلانَ لم يَقْضِ بعضَ حاجته ... هلا تأنّى يوماً فينتظرُ

اللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ ... دارٌ به أو بدا له سفرُ

غنّاه الغريض ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدَّفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين . وبعدهما : [من مجزوء البسيط]

---

1 الوقيذ : المريض .

2 رسول في ل : فتاة .

هل من رَسول إليّ يُخبرني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يـومَ ظَلِلْنا وعندنـا ولنا فيهنَّ لـو طـال يومُنا وَطَرُ

فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأتيتُه وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛ فاندفع يغنّي : [من المنسرح]

هـل عنـد رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظرُ
ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الْـ ـخيمات حتـى تبلّج السحرُ

فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه ، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه ؛ فقلت : يا أبا الخَطّاب ، جُعِلتُ فِداك ؛ هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إنّ ذلك ليُقال .

[أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عمّاله فأجابه بالمثل وفرّ]

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال : إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل ، فاستعمل رجلاً من أهل حَرّان على كُورة باهُذْرا ، وهي أجلّ كُوَرِ الموصل ، فأبطأ عليه الخراجُ ؛ فكتب إليه : [من المنسرح]

هـل عنـد رسمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظرُ

إحْمِلْ ما عندك يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ، وإلاّ فقد أمرتُ رسولي بشدّك وَثاقاً ويأتي بك . فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلَحِق بحَرّان ، وكتب إليه : يا عاضّ بَظْرِ أُمّه ! إليّ تكتب بمثل هذا ! [من الخفيف]

وإذا أهـلُ بلـدةٍ أنكروني عرفتْـي الدَّوِيَّـةُ المَلْساءُ

فلمّا قرأ موسى كتابَه ضَحِك وقال : أحسنَ يعلم الله الجوابَ ، ولا والله لا أطلبه أبداً . وفي غير هذه الرواية أنّه كتب إليه في آخر رقعة : [من البسيط]

إنّ الخليطَ الأُلَى تهوى قد ائتمروا للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا

يا ابن الزّانية ؛ والسلام . ثم هرب ، فلم يَطْلُبه .

[إسحاق الموصليّ ولحن للغريض]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبي : غنّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض : [من المنسرح]

هـل عنـد رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظـرُ

فسألتُه أن يُلقيه عليّ ، فقال : لا إلاّ بألف درهم ؛ فلم أسمح له بذلك . ومضى فلم ألْقَه .

فوالله يا بنيّ ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك ، ولَوَدِدْتُ أنّي وجدتُه الآن فأخذته منه كما سمعتُه وأخذَ منّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خبر

[من الطويل]

تُعيّرنـا أنّـا قليـلٌ عديدُنـا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْأل بن عَادِياء . ويقـال : إنّه للسموأل . وكان من يهـود يَثربَ ؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال : «أوفى من السّموأل» .

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدَّثني به محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمَّد بن السائب الكَلْبيّ قال : كان امروٌ القيس بن حُجْر أَوْدع السموألَ بن عَادِياء أدراعاً ؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ، ويقال : الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ ، ليأخذَها منه ؛ فتحصّن منه السموألُ ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه : إمّا أن تُسلّم الأدراع وإمّا أن قتلتُ ابنَك ؛ فأبى السموألُ أن يُسَلّم الأدراعَ إليه ؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطَعه اثنين . فقال السموألُ : [من الوافر]

وفَيْتُ بأَدْرُع الكنْديّ إنّي ... إذا مـا خان أقوامٌ وَفيْتُ
وأوصى عَادِيـا يومـاً بألاّ ... تُهدِّمَ يـا سموألُ مـا بنيتُ
بَنى لي عادِيا حصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ

وفي هذه القصيدة يقول : [من الوافر]

صوت

أعاذِلتـــي ألاَ لا تَعذُلِيـــي ... فكَمْ مِنْ أَمْر عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعيني وارْشُدِي إن كنتُ أَغْوى ... ولا تَغْوَيْ زعمتِ كما غَويْتُ
أعاذلَ قـد طلبتِ اللّومَ حتى ... لَـوَ آنّي مُنْتَهٍ لقـد انتهيتُ
وصفـــراء المعاصم قد دَعَتْني ... إلى وَصْلٍ فقلتُ لهـا أَبَيْتُ
وزِقٌ قـد جَرَرْتُ إلى النَّدامَى ... وزقٌ قـد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لـو يكونُ فتى أُنـاسٍ ... بكى مـن عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر . والشعرُ للسَّمَوْأل بن عادِياء . والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني

والرابع والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر في الأوّل والثاني . وغنّى دَحْمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى . وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[1] . ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضاً .

[أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه]

حدَّثني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدَّثنا يحيى بن سَعيد الأُمويّ قال حدَّثني محمَّد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال : [من الوافر]

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهط جبّار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثةَ بن زيدِ

قال : وهؤلاء كلّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : أنا ، لا أبا لك ، أشرفُ من هؤلاء . قال : فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأَسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموأل بن عَادِياء الغَسّانيّ صاحب تَيْماء[2] بحصنه الذي يقال له الأبلَق[3] . فمرَّ شريح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله : [من البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقتْ ... حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظفاري[4]
قد جُلْتُ ما بين بانِقيا إلى عَدَنٍ ... فطال في العُجْمِ تَرْدادي وتَسياري[5]
فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... عَقْداً أبوك بعُرف غير إنكارِ
كالغيث ما استمطروه جادَ وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضّاري
كُنْ كالسموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جَحْفَل كسواد الليل جَرّارِ
إذ سامه خُطّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ

1 في ل : يجنسه .
2 تيماء : بليدة في أطراف الشام على طريق حاج الشام ودمشق .
3 قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل : لأنه بُني من حجارة مختلفة الألوان .
4 القدّ : القيد .
5 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . تردادي في ل : تكراري .

فقــال غَــدْرٌ وثُكْلٌ أَنت بينهما فاخترْ ومــا فيهما حــظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويــلٍ ثم قــال له أُقْتُلْ أَسيرَك إنّي مانــعٌ جاري
وسوف يُعْقِبُنيه إن ظفِرتَ بــه ربٌّ كريــمٌ وبيضٌ ذاتُ أَطهارِ
لا سِرُّهنّ لدينــا ذاهبٌ هَدَراً وحافظات إذا استُوْدِعن أسراري
فاختار أَدراعَه كــي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعــدُه فيهــا بَختّارِ[1]

قال : فجاء شُرَيح إلى الكَلْبيّ فقال له : هَبْ لي هذا الأَسيرَ المَضْرورَ ؛ فقال : هو لك ، فأَطلَقه . وقال له : أَقِمْ عندي حتى أُكرمَك وأَحْبُوَك ؛ فقال له الأَعشى : إن من تمام صنيعك إليّ أَن تُعْطِيني ناقةً ناجِية وتُخْلِيَني الساعةَ . قال : فأَعطاه ناقةً ، فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أَن الذي وَهَب لشُريح هو الأَعشى ، فأَرسل إلى شُريح : ابعث إليّ بالأَسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعْطِيَهُ ؛ فقال قد مضى . فأَرسل الكلبيُّ في أَثرَه فلم يَلْحَقه .

وأَمّا خبر : [من الطويل]

وما كرَّ إلاّ كان أَوّلَ طاعنٍ

والشعر للخنساء ، فإنّه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع ؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفْرداً عن المائة الصوتِ المختارةِ في أَخبار الخنساء ، إن شاء الله تعالى .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

[دفع في صوت أُخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أُربعة آلاف دينار]

وأَمّا خبرُ الجارية التي أَخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أَنّه وقع في حكاية محمّد بن ضوين الصَّلْصال فيها خطأٌ ، فأَخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد ابن إسحاق عن عبد الله بن أَبي محمَّد العامريّ قال حدَّثني عُكّاشة اليزيديّ بجُرْجان قال حدَّثني إسماعيل بن جامع قال : بَيْنا أَنا في غُرْفة لي باليمن وأَنا مُشْرِف على مَشْرَعةٍ[2] ، إذ أَقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ ، فملأَتْها ووضعْتها على المَشْرعة لتستريح ، وجلستْ فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

فَرُدِّي مُصابَ القلب أَنتِ قَتَلتِه ولا تُبعِدي فيما تجشّمتِ كُلْثُما

ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرما» .

---

1 الختّار : الغادر .

2 المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

إلى اللهِ أَشكو بخلَها وسماحتي ... لها عسلٌ منّي وتبذُل عَلْقَما
أبى اللهُ أن أُمسي ولا تذكُرينني ... وعَيْناي من ذكراكَ قد ذَرَفَتْ دَما
أَبيتُ فما تنفَكّ لي منكِ حاجةٌ ... رمى اللهُ بالحبِّ الذي كان أَظْلَما

غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أَوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة قال : ثم أَخذتْ قِرْبتَها لتمضيَ . فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به ، فنزلتُ إليها فقلتُ لها : أَعِيدِيه . فقالت : أنا عنك في شغل بخَراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كلّ يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه عليّ حتى آخذه منك ، وأَعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أَمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تَبْرح حتى أَخذتُه منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأَصبحتُ من غدٍ لا أَذكر منه حرفاً ، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس . فلمّا وضعتِ القِربةَ تغنّت غيرَه ، فَعَدَوْتُ في أَثرها وقلت : يا جارية ، بحقّي عليك رُدّي عليَّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، ما مثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أَنتَ تَقيسُ أَوّلَه على آخره ، ولكنّك قد أَنْسِيتَه ، ولستُ أَفعل إلاّ بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليها وأَعادتْه عليَّ حتى أَخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أَربعةَ دراهم ، وكأنّي بك قد أَصبتَ به أَربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره ؛ فقال : مَن غنّاني فأَطربني فله أَلفُ دينار ، وقدّامَه أَكياسٌ في كلّ كيس أَلفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغِناء إليَّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء ؛ فرمى إليّ بكيس فيه أَلفُ دينار ، ثم قال : أَعِدْه فغنّيتُه ؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال : أَعِدْه فرمى إليّ بثالث وأَمسك . فضحِكتُ ؛ فقال : ما يُضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أَمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فحدّثته به وقصصتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إليّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خبر

[من الكامل]

عُوجِي علَيَّ فسلِّمي جَبْرُ

الشعر للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

[قصّة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنّه أفسد نساء المدينة]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن الواقِديّ عن ابن أَبي الزِّناد قال حدّثني محمَّد بن إسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : إنّ بالمدينة مُخنّثاً قد أَفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أَن يحملَه . فأُدخِل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأَطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنيّة[1] قد

1 السبنية : منسوبة إلى سَبَن : بلدة ببغداد ، وهي إزار أسود متّخذ من الحرير يلبسه النّساء .

حمل دُفّاً في خريطته. فلمّا وقف بين يَديّ عمر صعّد بصرَه فيه وصوَّبه وقال: سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ! أتحفظُ[1] القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا؛ قال: قبّحك اللهُ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا: اسكُتْ فسكتَ. فقال له عمر: أتقرأ[2] من المفصَّل شيئاً؟ قال: وما المُفصَّل؟ قال: ويلك؛ أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأُخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾ وأُخْطىء فيها، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري. قال: ضَعوه في الحبس ووكّلوا به مُعَلِّماً يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأجْرُوا عليه في كلّ يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهمَ أُخَر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ. فكان كلّما عُلِّم سورةً نَسي التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجِّه إليَّ مَن يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً، فإنّي لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً. فيئس عمرُ من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدّراهمَ إلاّ ضائعةً، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرْياناً لكان أصلحَ. ثم دعا به، فلمّا وقف بين يديه قال له: اقرأ ﴿قُلْ يَا أيُّها الكافِرونَ﴾. قال: أسأل اللهَ العافيةَ! أدخلتَ يَدكَ في الجراب فأخرجتَ شرّ ما فيه وأصعبَه. فأمر به فُوجِئَتْ عنقُه ونفاه. فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به: [من الكامل]

عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فيمَ الوقوفُ وأنتُـم سَفْرُ
ما نَلْتقي إلاّ ثـلاثَ منىً ... حتى يفـرِّق بيننا النَّفْرُ

فلمّا سمِع المُوكَّلون به حسنَ تَرنّمه خلَّوْه وقالوا له: اذهب حيث شئتَ مُصاحَباً بعد استماعهم منه طرائفَ غنائه سائرَ يومهم وليلتهم.

[حجّ محمَّد بن خالد بن عبد الله وسمع جارية محمَّد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال: أَحَجّ خالد بن عبد الله ابنه محمَّداً وأصحبه رِزاماً[3] مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دخلتَ المدينةَ فاصرفه فيما أحبَبْتَ. فلمّا صِرْنا بالمدينة سأل محمَّد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل: عند محمَّد بن عِمْران التَّيْميّ القاضي. فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذِن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[4] ونعلاه في آخر اللِّبْد؛ فسلّمنا عليه فردَّ؛ ونَسَب محمّداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فلَجْلَج الفتى. فقال: كأنّك ذكرتَ فلانة! يا جاريةُ اخرُجي؛

---

1 في ل: أتقرأ.

2 في ل: أتحفظ.

3 رزام: هو رزام بن مسلم أدرك أبا جعفر المنصور.

4 اللبد: بساط من صوف.

فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس ، ثم تغنَّت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخُ يذهب مع حركاتها ويجيء ، إلى أن غنَّت قوله : [من الكامل]

عوجِـي عـليّ فسلِّمي جَبْرُ

فلمّا بلغتْ : [من الكامل]

حتـى يفـرّق بيننـا النَّفْرُ

وثبَ الشيخُ إلى نعله فعلَّقها في أُذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أُذنه والنّعل فيها وجعل يقول : أهدوني أنا بَدَنَةٌ ، أهدوني أنا بَدَنَةٌ . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنّها تساوي ؟ قالوا : ستّمائة دينار . قال : هي وحقّ القبر خيرٌ من ستّة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها عليّ أحدٌ أبداً ، فانصرِفوا إذا شئتم .

[كان ابن جريج في حلقة يحدّث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنّيه بغناء ابن سريج]

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصليّ ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدَّثني سُلَيْم الحساب عن داود المكّيّ قال : كنّا في حَلْقة ابن جُرَيْج وهو يحدِّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من العراقيّين ، إذ مرَّ به ابن تَيْزن قال حمّاد : ويقـال ابن بيرن[1] ، وقد ائتزر بمئْزرة على صدره ، وهي إزْرَةُ الشُّطّار عندنا . فدعاه ابن جُرَيج ؛ فقال له : إنّي مستعجِل ، وقد وعدتُ أصحاباً لي فلا أقدِر أن أحتبس عنهم . فأقْسم عليه حتّى أتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أحبّ أن تُسمعني . قال : أنا أجيئك إلى المنزل ، فلِمَ تُجْلِسني مَع هؤلاء الثقلاء ! . قال : أسألك أن تفعل ؛ قال : امرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات . قال : ويحك ؛ ما أعجلَكَ باليمين ؟! قال : أكره أن أحتبس عن أصحابي . فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال : اعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنّني الصوتَ الذي أخبرتني أنّ ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث من أيّام مِنىً على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه: [من الكامل]

عوجـي عـليّ فسلِّمي جبرُ

فقال ابن جُرَيج : أحسنتَ والله ؛ ثلاثَ مرّات ، ويحك أعِدْه . قال : أمِن الثلاثة ؟ فإنّي قد حَلفتُ . قال : أعِدْه فأعاده ؛ فقال : أحسنت ؛ أعِده من الثلاثة ؛ فأعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأصحابه : لعلّكم أنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنّا لنُنكِره بالعراق . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) قالوا : لا بأس بـه . قـال : فما الفرق بينهما ؟ .

1 في ل : تبزن .

[أحسن الناس حلوقاً في الغناء]

وذكر هارون بن محمَّد بن عبد الملك عن أبي أيّوب المَدينيّ قال : ثلاثةٌ من المُغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً : ابن تَيْزن ، وابن عائشة ، وابن أبي الكنّات .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سَقاني فرَوّاني كُمَيْتاً مُدامــةً   على ظمأٍ منّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُــه أهــلَ المدينة واحداً   سِواهمْ فلم أُغْبَن ولم أَتَندّمِ

عروضُه من الطويل . والشعر لأبي سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفيّ مولى الأشاعثة[1] ، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

---

1 الأشاعثة : منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي .

[97] ـ ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأُمُّ حَرب بن أُميّة بنتُ أبي هَمْهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهْر بن مالك بن النّضر بن كنانة . وأمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزم[1] بن رُوَيْبة[2] بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، وهي عمّة ميمونة أُمّ المؤمنين وأُمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بني العبّاس بن عبد المطّلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أُميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب .

وكان حربُ بن أُميّة قائدَ بني أُميّة ومَن مالأهم في يوم عُكاظ . ويقال : إنّ سبب وفاته أنّ الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة[3] وازدراعِهما إيّاها . وهذا شيءٌ قد ذكرتْه العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

[أراد حرب بن أُميّة ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيّات فماتا]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب ، وأخبرنا محمَّد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ : أنّ حربَ بن أُميّة لمّا انصرف من حرب عكاظ هو إخوتُه مرَّ بالقُرَيّة ، وهي إذ ذاك غَيضةُ شجرٍ ملتَف لا يُرام . فقال له مرداسُ بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى . قال : نِعْمَ المُزْدَرَعُ هو ، فهل لك أن نكونَ شريكين فيه ونُحَرِّق هذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعد ذلك ؟ قال نعم . فأضرما النّار في الغَيْضة . فلمّا استطارت وعلا لَهَبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعتْها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك : [من البسيط]

إنّي انتخبتُ لها حرباً وإخوتَه ... إنّي بحَبْلٍ وثيقِ العَقْد دسّاسُ

1 في ل : الهرم .

2 في ل : رويثة .

3 القُرَيّة : موضع في ديار بني سليم .

إنّي أُقَـوِّمُ قبل الأَمر حُجَّتَه كيما يقالَ وليُّ الأَمـرِ مِرداسُ

قال : فسمِعوا هاتفاً يقول لمّا احترقت الغَيْضةُ : [من مجزوء الرجز]

ويـــلٌ لحـربِ فارسا مُطاعِنـــاً مُخالِسا

ويـــل لعمـرو فارساً إذ لبسـوا القَوانِسا[1]

لَنَقْتُلَـــنْ بقتلــــه جَحاجحـــاً عنـابِسا

ولم يلبث حربُ بن أُميّة ومرداسُ بن أَبي عامر أَن ماتا . فأَمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة . ثم ادّعاها بعد ذلك كليبُ بن أَبي عَهْمـة السُّلَمـيّ ثم الظَّفَريّ . فقال في ذلك عبّاس بن مرداس : [من الكامل]

أَكليبُ مـــا لكَ كلَّ يوم ظالمًا والظلمُ أَنكـدُ وجهُه ملعونُ

قد كان قومُك يحسبونك سيِّداً وإخـال أَنّـــك سيِّـدٌ معيونُ

المعيونُ : الذي أَصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له .

فإذا رجَعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ إن المُسالِـمَ رأسُه مـــدهونُ

وافعـل بقومك مـا أَراد بوائلٍ يـومَ الغديـر سميُّك المطعونُ[2]

وإخال أَنّك سوف تلقى مثلَها في صَفْحَتَيْك سِنانُهــــا المسنونُ

إن القُرَيَّــةَ قـد تبيَّن أَمرُهـا إن كان ينفـع عنـدك التَّبيينُ

حيث انطلقتَ تخطُّها لي ظالمـاً وأَبو يزيــدَ بجوِّها مدفونُ

أَبو يزيد : مرداس بن أَبي عامر .

[منزلته في قريش وفقء عينيه]

وكان أَبو سفيان سيِّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأساً من رؤوس الأَحزاب على رسول الله ﷺ في حياته وكَهْفاً للمنافقين في أَيّامه ، وأَسلم يوم الفَتْح . وله في إسلامه أَخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجراً يجهِّز التجار بماله وأَموالِ قريش إلى أَرض العجم . وشهِد مع رسول الله ﷺ مُشاهَدةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[3] ، فلم يزل أَعْورَ إلى يوم اليَرْموك ، ففُقِئَت عينُه الأُخرى يومئذٍ فعَمِي .

1 القوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

2 يشير إلى تحكّم كليب في الماء .

3 يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأَصاب عينه .

[مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة]

أخبرنا الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عليّ بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره : أنّه سمِع أبا سفيان يُمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلاّ أن تركتُكَ فتركتْك العربُ فما انتطحت جمّاءُ[1] ولا ذاتُ قَرْنٍ ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول : «أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلَة[2] !» .

[سئل وهو مشرك عن زواج بنته برسول الله ﷺ فمدحه]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمِّي مصعب : أنّ رسول الله ﷺ تزوّج أمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله ﷺ ، وقيل له : إنّ محمّداً قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَع[3] أنفُه . واسم أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند[4] ، والصحيح رملة .

[أبطأ رسول الله ﷺ بإذنه فعاتبه فأرضاه]

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال : أذِن رسولُ الله ﷺ يوماً للناس ، فأبطأ بإذن أبي سفيان ، فلمّا دخل قال : يا رسولَ الله ، ما أذِنْتَ لي حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كلُّ الصيد في جوف الفرا» .

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس قال حدَّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجاني قال حدَّثنا عطاءُ بن مُصْعَب قال حدَّثني سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن[5] يحيى البرمكيّ قال : أذِن رسول الله ﷺ للناس ، فكان آخِرُ مَن دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله ، لقد أذِنْتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أنّ حجارةَ الخَنْدَمةِ[6] لَيؤذن لها قبلي . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : «كلُّ الصيدِ في بطن الفَرَا» . أيّ كلّ شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم .

[خرج إلى الشام في تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبيّ ﷺ فأجابه وصدقه]

حدَّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقفيّ قال حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبّيّ قال حدَّثنا

---

1 الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

2 حنظلة : ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

3 يقدع : يضرب .

4 في ل : صفيّة .

5 في ل : عند .

6 الخندمة : جبل بمكّة .

المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمّد بن إسحاق قال حدَّثني الزُّهْريّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن ابن عبّاس قال حدَّثني أبو سفيان بن حرب قال : كنّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصَرَتْنا حتى نَهكتْ[1] أموالَنا . فلمّا كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة] بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشام ، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة ، فقدِمناها حين ظهَر هِرَقْلُ على مَن كان بأرضه من الفرس ، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إيّاه . فلمّا بَلغه ذلك منهم وبلَغه أنّ صليبَه قد استُنْقِذ منهم ، وكانت حمص منزلَه ، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رَدّ عليه ما ردَّ ليصلّيَ في بيت المقدس تُبسَط له البُسُطُ وتُلْقى عليها الرّياحين . فلمّا انتهى إلى إيليا فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم ، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقتُه : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال : أجل ؛ رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر . فقالوا : أيّها الملك ، ما نعلَم أمّةً تَختتِن إلاّ اليهود ، وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كلّ مَن لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُره فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهُود واستَرِح من هذا الهمّ . فوالله إنّهم لفي ذلك من رأيهم يدبّرونه إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب يقوده ، وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ، فقال : أيّها الملك ، إنّ هذا رجلٌ من العرب من أهلِ الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فاسأله . فلمّا انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ، قال هرقلُ لَمن جاء به : سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده ؛ فسأله : فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعمُ أنّه نبيٌّ ، وقد اتّبعه ناسٌ فصدّقوه ، وخالفَه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتُهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه وينْطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له : اقلبِ الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل . فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : انطلِقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلمّا انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : فأيُّكم أمَسُّ به رَحِماً ؛ قال : قلت أنا . قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنّه أنكر من ذلك الأغلف (يعني هِرَقل) ثم قال : أدْنِه ، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ، وقال : إنّي سأسأله ، فإن كذَب فرُدّوا عليه . قال : فوالله لقد علِمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ ، ولكنّي كنتُ امرأً سيِّداً أتبرَّم عن الكذب ؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبْته أن يَحفظوه عليّ ثم يحدِّثوا به

1 في ل : تهتكت .

عنّي ، فلم أُكذِبه قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي . فجعلتُ أُزَهِّد له شأنَه وأُصغِّر له أُمورَه ، وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من شأنه ! إنّ أمرَه ما بلغَك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي . ثم قال : أنْبِئْني فيما أسألُك عنه من شأنه . قال : قلت : سَلْ عمّا بدا لك . قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ ، هو أوْسَطنا[1] نسباً . قال : أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكمُ مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَردّوا عليه مُلكَه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبِرْني عن أتباعه منكم من هُمْ ؟ قال : قلت : الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء ، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتبعه منهم أحدٌ ؛ قال : فأخبرني عمَّن يتبعه أيُحبّه ويَلْزمه أم يَقْليه ويفارقه ؟ قال : قلت : قلَّما يتبعه أحدٌ[2] فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجِد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها . قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدّة[3] ولا نأمَن غدرَه . قال : فوالله ما التفت إليها منّي . ثم كرَّر عليّ الحديث فقال : سألْتُك عن نسبه فيكم ، فزعمتَ أنّه محضٌ من أوسطكم نسباً ؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلاّ من أوسط قومه نسباً . وسألْتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألْتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألْتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنّهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كلّ زمان . وسألْتُك عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلْزمه أم يَقْليه ويفارقه ، فزعمتَ أنّه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألْتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنّها سِجالٌ تُدالون عليه ويُدلّ عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبةُ . وسألْتُك هل يَغْدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتَني عنه فَلَيغْلِبَنَّ على ما تحت قَدَميّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّي عنده فأغسِلُ قدميه ؛ إنطلِقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يَديّ على الأخرى وأقول : يا لعبادِ الله ! لقد أمِرَ[4] أمْرُ ابن أبي كَبْشة[5] ! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر يَهابُونه في ملكهم وسلطانِهم .

---

1 أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

2 في ل : رجل .

3 أي مدّة صلح الحديبية .

4 أمر : عظم .

5 أبو كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور وسمّى المشركون الرسول ﷺ بابن أبي كبشة .

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقته]

قال ابن إسحاق : فقدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ[1] بن خليفة الكلبيّ ، فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمَّد رسول الله ﷺ إلى هِرَقْل عظيم الروم . السلامُ على مَن اتّبع الهُدى . أمّا بعد ، فأسْلِم تَسْلَم يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرَّتين ، وإن تتولّ فإنّ إثمَ الأكابر عليك» .

قال ابن شهاب : فأخبرني أُسْقُفُّ النصارى في زمن عبد الملك زعمَ أنّه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمرِ هرقل وعقَله ، قال : فلمّا قَدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ من قِبَل دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل برُومِيَة[2] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرؤونه ، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة : إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه ، فاتّبعْه وصدِّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرَة[3] ملكه ، وأمر بها فأغلقت[4] عليهم أبوابُها ، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الرّوم ، قد جمعتُكم لخبر[5] ، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنّه النبيُّ الذي كنّا ننتظره ، ونجده في كتابنا ، فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتُنا . قال : فنخَرَتِ الرّومُ نَخْرَةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغْلِقَت دونهم . فقال : كُرّوهم عليّ وخافهم على نفسه ؛ فكَرُّوهم عليه . فقال : يا معشَر الرّوم ، إنّما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث ؛ فقد رأيتُ منكم الذي أسَرُّ به ؛ فَخَرّوا سُجَّداً . وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففُتحت لهم فانطلقوا .

[حديثه مع العبّاس حين بلغتهما بعثة النبيّ ﷺ وهما باليمن وحديث الحبر اليهوديّ معهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس قال قال لي العبّاس : خرجتُ في تِجارة إلى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرسلَ إلى غدائك ؟ فقلتُ : نعم . فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيته

1 دحية : صحابي مشهور كان من أجمل الناس وأحسنهم صورة .
2 رومية : أي روما .
3 الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .
4 في ل : فأسريت .
5 في ل : لخير .

وأرسلت إلى الغداء . فلمّا تغدّى القومُ قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ أخيك يزعمُ أنّه رسول الله ؟ قلت : وأيُّ بني أخي ؟ قال أبو سفيان : إيّاي تكتُم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلاّ رجلٌ واحد ! قلت : وأيُّهم هو على ذلك ؟ قال : محمَّد بن عبد الله . قلتُ : ما فَعل ؟ قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إليّ كتاباً من ابنه حَنْظلة بن أبي سفيان : إنّي أُخبرك أنّ محمّداً قام بالأبطح[1] غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعلّه صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنّي لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر ، وقال الحسن بن عليّ في روايته : على بصيرة من هذا الحديث ثم قال : يا بَني عبد المطّلب ، إنّه والله ما بَرِحتْ قريشٌ تزعمُ أن لكم يُمْنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذاً شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فما كان بعد ذلك إلاّ ليالٍ حتى قدِم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ بالخبر وهو مؤمِنٌ ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس إلى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهوديّ : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعتَ . قال : أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهوديّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثني عنه . قال : لا تسألْني ، فما كنتُ أحسبُ أن يَدّعي هذا الأمر أبداً ، وما أُحِبُّ أن أعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهوديّ : فليس به أذىً ، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه . قال العبّاس : فتأدّى إليّ الخبرُ فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلَغني أنّك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعمُ أنّه رسول الله ، فأخبرَك أنّه عمُّه ، وليس بعمِّه ولكنّه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصَدَق ؟ قال : نعم صدَق . قال فقلت : سلْني عنه ، فإن كذَبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عبّاس : فظننتُ أنّه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءه وجعل يَصيح : ذُبحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

قال العبّاس : فلمّا رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمِن به ، فإن

1 أبطح مكّة : مسيل واديها .

كان حقّاً كنتَ قد سَبَقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أَكفائك ؟ قال : لا والله ما أومِن بـه حتى أَرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكّة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمي ما أَلقيتُ لها بالاً ، إلاّ أَنّي أَعلم أَنّ الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَداء . قال العبّاس : فلمّا فتح رسول الله ﷺ مكّةَ ونظرنا إلى الخيل قد طَلعت من كَداء ، قلتُ : يا أَبا سفيان ، أَتذكر الكلمةَ ؟ قال لي : واللهِ إنّي لذاكرُها ، فالحمدُ لله الذي هداني للإسلام .

[حديث استئمان العبّاس له وإسلامه في غزاة الفتح]

حدَّثنا محمَّد بن جرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا الغَلابيّ أَبو كُرَيْب محمَّد بن العلاء قال حدَّثنا يونس بن بُكَير عن محمَّد بن إسحاق قال حدَّثني الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال : لمّا نزل رسول الله ﷺ مَرّ[1] الظَّهْرانِ (يعني في غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطّلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صَباحَ قريش ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله ﷺ إنّها لهلاكُ قريش آخر الدَّهر . فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال : أَخـرُج إلى الأَراك[2] ، لعلّي أَرى حطَّاباً أَو صاحبَ لَبَن أَو داخلاً يدخل مكّةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيَسْتأمِنونه . فوالله إنّي لأَطوفُ في الأَراك أَلتمس ما خرجتُ له إذ سمِعتُ صوتَ أَبي سفيان وحَكيم[3] بن حِزام وبُدَيْل[4] بـن وَرْقـاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ ؛ فسمعتُ أَبا سفيان وهـو يقول : والله ما رأَيتُ كالليلة قطُّ نيراناً . فقال بُدَيـل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزاعة حَمَشَتها[5] الحربُ . فقال أَبو سفيان : خزاعةُ أَلأَمُ من ذلك وأَذَلّ . فعرَفتُ صوتَه فقلت : أَبا حنظلَة ! فقال : أَبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبَّيْك ، فِداؤك أَبي وأُمّي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسولُ الله ﷺ قد دلف[6] إليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قـال : فما تأمرني ؟ فقلـت : تركـب عَجُزَ هذه البغلة فأَستأمِـنُ لك رسولَ الله ﷺ ، فوالله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنقُك . فرَدِفَني فخرجتُ به أَرْكُض بغلةَ رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ . فكلّما مررتُ بنار من نِيران المسلمين فنظَروا إليّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطّاب

---

1 مرّ الظهران : واد قرب مكّة .
2 الأراك : واد قرب مكّة .
3 هو حكيم بن خويلد ابن أخي خديجة زوج الرسول ﷺ .
4 رجل من خزاعة .
5 حمش الشيء : جمعه وفلاناً هيّجه .
6 دلف : تقدّم .

رضي الله تعالى عنه فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ؛ ثم اشتدّ نحو النبيّ ﷺ ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان قال العبّاس : حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِقُ به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فدخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضْرِبْ عنقَه . قلت : يا رسول الله ، إنّي قد أجَرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دوني . فلمّا أكثر فيه عمرُ قلت : مَهْلاً يا عمر ؛ فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجل من عبد مَناف ، ولو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلتَ هذا ؛ قال : مهلاً يا عبّاسُ ؛ فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطّاب لو أسلَم ؛ وذلك لأنّي أعلم أنّ إسلامَك أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب لو أسلَم . فقال رسول الله ﷺ : «إذهبْ فقد أمّنّاه حتى تَغْدُوَ به عليّ الغَداةَ» فرجَع به إلى منزله . فلمّا أصبح غدا به رسول الله ﷺ . فلمّا رآه قال : «ويحك يا أبا سفيان ألَم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله» ! فقال : بأبي أنتَ وأمّي ! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمَك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئاً . فقال : «ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن] تُضْرَب عنقُك» . قال : فتشهّد . فقال رسول الله ﷺ للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان : «إنصرفْ يا عبّاس فاحْتَبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله» . فقلت : يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر ، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه . فقال : «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومَن دخل المسجد فهو آمنٌ ومَن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ» . فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي ، فمرَّت عليه القبائل ، فجعل يقول : مَنْ هؤلاء يا عبّاس ؟ فأقول : سُلَيْمٌ ، فيقول : ما لي ولسُلَيْم ! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : أسْلَم ، فيقول : ما لي ولأسْلَم ! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة ! حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخَضْراء ، كَتِيبَةِ رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرى منهم إلاّ الحَدَقُ ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنّها النبوّة ؛ قال : نعم إذاً . فقلتُ : إلْحَقْ الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرج سريعاً حتى أتى مكّةَ فصَرَخ في المسجد : يا معشَر قريش ، هذا محمّدٌ قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به . قالوا : فَمَهْ ! قال : مَنْ دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تُغْنِي عنّا دارُك ؟ قال : ومَن دخل المسجدَ فهو آمن ومَن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

[بعض ما أُسند إليه من أخبار تدلّ على عدم إخلاصه]

حدَّثنا محمَّد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال حدَّثنا سَلَمةُ بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزُّبَير قال : لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم ، فكانت الرّومُ إذا هزمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَني الأَصْفَر ، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان : [من الخفيف]

وبَنُو الأَصفر الكرامُ ملوكُ الرّ ... وم لم يبــقَ منهـمُ مَذْكُــورُ

فلمّا فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال : قاتله الله ؛ يأبَى إلاّ نِفاقاً ؛ أَوَلَسْنا خيراً له من بني الأَصفر ؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدِّثهم ، فأحدِّثهم فيَعْجبون من نفاقه .

حدَّثني أحمد بن الجَعْد قال حدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان ، إنّ الأمر أمرُ عالَميّة ، والملكَ ملكُ جاهليّة ، فاجعل أوتاد الأرضِ بَني أُميّة .

حدَّثني محمَّد بن حَيّان الباهليّ قال حدَّثنا عمر بن عليّ الفَلاّس قال حدَّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مِغْوَل عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأبجَر الأكبر قال : جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجْلاً . فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيْتَ اللهَ ورسولَه ﷺ والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال : [من الطويل]

وأضحت قريش بعـد عـزّ ومَنْعةٍ ... خُضُوعاً لتَيْمٍ لا بضربِ القَواضبِ[1]
فيا لهفَ نفسي للذي ظَفِرتْ به ... ومـا زال منهـا فائزاً بالرّغائبِ

وحدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثني محمَّد بن حُمَيد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : لمّا ولي عثمانُ الخلافةَ ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني

1 هو تيم بن مرّة بن كعب ، وبه سُمّيتْ القبيلة التي ينتسب إليها أبو بكر الصديق .

أميّة ، إنّ الخلافةَ صارت في تَيْم وعَدِيّ[1] حتى طمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فوالله ما من جنّة ولا نار هذا أو نحوه فصاح به عثمان : قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل . ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها ، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع .

[شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق]

والأبياتُ التي فيها الغِناء يقولها في سَلام بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم ، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق ، فقَرَاه وأحسنَ ضيافتَه . فقال أبو سفيان فيه : [من الطويل]

سقـاني فرَوّاني كُمَيْتاً مُدامـةً على ظمـأ منّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهـلَ المدينـة واحـداً سواهم فلـم أُغْبَـن ولم أتَنَدَّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن لأُفْرِحَـه أبْشِرْ بعُـرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبـا غُنْـم يجـود ودارُه بِيَثْرِبَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرَمِ[2]

1 هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سُمّيَتْ القبيلة التي ينتسب إليها عمر بن الخطّاب .

2 الخضرم : الجواد الكثير العطيّة وأصله البحر الكثير الماء .

[98] ـ ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أَبي سفيان على سَلام بن مِشْكَم

[خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم]

كانت هذه الغَزاةُ بعد وقعة بَدْر . وذلك أَنّ أَبا سفيان نَذَر أَلاّ يَمَسَّ رأسَه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسولَ الله ﷺ . فخرج في عِدّة من قومه ولم يصنع شيئاً ؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنّما خرجتم تشربون السَّوِيقَ ؛ فسُمِّيت غزوةَ السَّوِيق[1] .

حدَّثنا محمَّد بن جرير ، قرأْتُه عليه ، قال حدَّثنا محمَّد بن حُمَيْد قال حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن محمَّد بن جعفر بن الزُّبَير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أَعلَم الأَنصار ، قال : كان أَبو سفيان حين رجَع إلى مكّة ورجَع قبل قريش من بَدْر ، نذر أَلاّ يمسَّ ماءً من جنابة حتى يغزوَ محمَّداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش لِيُبِرّ يمينه ، فسلَك النَّجديّةَ حتى نزل بصدر قَناةٍ إلى جبل يقال له تيت (من المدينة على بريد أَو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أَتى بَني النَّضير تحت الليل ، فأَتى حُيَـيّ بن أَخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأَبى أَن يفتح له وخافه ؛ وانصرف إلى سَلاَم بن مِشْكم وكان سيّدَ بني النَّضِير في زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم فاستأْذن عليه فأَذِن له ، فقَراه وسقاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج في عِقب ليلته حتى جاء أَصحابه ؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأَتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا في أَصْوارٍ[2] من نخل لها ، وأَتوا رجلاً من الأَنصار وحليفاً لـه في حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر[3] بهم الناسُ ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة[4] الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أَبو سفيان وأَصحابُه ، وقد رأَوْا من مَزاوِد القوم ما قـد طرحـوه في الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجَع بهـم رسول الله ﷺ : أَنطمَع أَن تكون غزوةً ، قال «نعم» . وقد كان أَبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكّة إلى المدينة أَبياتاً من شعر يحرِّض فيها قريشاً فقال : [من مجزوء الرجز]

1 السَّويق : شراب يُتّخذ من الحنطة والشعير .

2 الصور : الجماعة من النخل .

3 نذر : علم .

4 قرقرة الكدر : موضع على ستّة أميال من خيبر .

كُــرّوا على يَثْرِب وجمعِهمُ فإنّ مــا جمَّعــوا لكم نَفَلُ
إن يكُ يــومُ القَلِيب كان لهم فإن مــا بعــده لكــم دَوَلُ
آليتُ لا أقــرَبُ النساءَ ولا يَمسّ رأسي وجلديَ الغُسُلُ
حتى تُبيدوا قبائلَ الأوْسِ والـ ـخَزْرَج إن الفــؤادَ مُشْتعِلُ[1]

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يــا لَهْفَ أمّ المسبِّحِين على جيش ابن حرب بالحَرّة الفَشِلِ[2]
أتَطرحون الرجال من سَنَم الظَّهـ ـــر تَرَقَّــى في قُنَّــة الجبلِ
جاءوا بجَمْعٍ لــو قِيس منزلُه مــا كان إلاّ كمُعْرَس الدُّئِلِ[3]
عارٍ مــن النصر والثراء ومِنْ نَجْدة أهــل البَطْحاء والأسَلِ

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدَّثنا سليمان[4] بن سعد عن الواقِديّ : أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة .

[اشتدّ قيس بن الخطيم على حسّان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسّان]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدَّثنا ابن سعد عن الواقِدِيّ عن أبي الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال : شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلام بن مِشْكَم ، وكان له نديماً ، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبيّ وقيسُ بن الخَطيم ؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تَعالَ أشارِبْك ؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه : أوَخَيْراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَة . قـال : لا ، إلاّ أن تشربه ؛ فأبى حسّان . وقال له سَلاَم بن مِشْكم : يا أبا يزيد ، لا تُكْرِهه على ما لا يَشتَهي ، إنّما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفَّ به وتُسيىءَ مجالستَه . فقال لـه قيس : أفتدعوني أنت على أن تُسيىء مجالستي ؟ فقال له سَلام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملتُ عليك إلاّ لأنّك منّي وأنّي حليفك ، وليست عليك غضاضةٌ في هذا ، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلي ؛ فيجب أن تُكرم لي مَن أكرمتُه . ولعمري إن في الصحو لَمّا تَكتفُون به من حروبكم ؛

---

1 تبيدوا في ل : تبيروا .
2 الفَشِل : الضعيف الجبان .
3 المعرس : الموضع الذي يعرس فيه أيّ ينزل القوم . الدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هي شبيهة بابن عرس .
4 في ل : محمّد .

فافترقوا . وآلى سَلامُ بن مِشْكم على نفسه ألاّ يشرب سنةً ؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

مَـنْ مُبلغ عنّي أبـا كاملٍ ... أنّي إذا ما غـاب كالهامِلِ

قـد زادني شوقاً إلى قربه ... مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كاملٍ . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أنّ لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

* * * *

الفهرس